مقدمة لدرس لغة العرب

و

كيف نضع المعجم الجديد

تأليف

عبد الله العلايلي

المطبعة العصرية

بالفجالة ، بشارع الخليج الناصرى رقم ٦ ، بمصر

الاهداء



حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول

« إِنَّمَا بَسْمَةُ الْحَيَاةِ أَمَانِيٌّ ... فَأَعْظِمْ بِبَسْمَةِ الْآمَالِ »

« يَامَلِيكُ . بَدَتْ طَلَائِعُكَ الْغَرَّا ... ءُ . فِي مَجْدِ أَعْظَمِ اسْتِقْلَالِ »

« عَلَمٌ فِي الْجَنُوبِ قَدْ ظَلَّلَ الْأَ ... جْيَالَ تِيهًا وَآخَرٌ فِي الشِّمَالِ »

«صَفَحاتٌ مِنَ الْحَيَاةِ نَوَاقٍ لَمْ تَضِرْهَا ذَاتِيَّةُ الْأَفْعَالِ»
«رَجَّعَتْهَا قِيثَارَةُ الْخُلْدِ لَحْنًا وَشَدَتْهَا الْأَمْلَاكُ فِي الْآصَالِ»
«مِنْ وَرَاءِ السُّجُوفِ يَبْتَسِمُ التَّا ـ ـ رِيخُ عُجْبًا لِلطُّهْرِ فِي الْأَعْمَالِ»
«ضَفَّرَ «الْغَارَ» فَوْقَ مَفْرِقِكَ الْوَضَّا ـ ـ ءِ أَكْرِمْ بِوَاحِدِ الْأَبْطَالِ»

* * *

«يَوْمُ «مِصْرٍ» وَأَيُّ يَوْمٍ لِمِصْرٍ ضَمَّهَا الْحُبُّ غَوْرَهَا وَالْعَوَالِي»
«مَوْكِبٌ رَائِعٌ تَنَظَّمَتِ الْأَهْوَا ـ ـ ءُ فِيهِ . أَكْبِرْ بِهِ مِنْ مِثَالِ»
«نَضِجَتْ فِي الْجُمُوعِ نَفْسِيَّةُ الْمَوْ ـ ـ طِنِ فَالْتَامُوا فِي عُرَى الْأَوْصَالِ»
«يَا مَلِيكَ «الْعَهْدِ السَّعِيدِ» عَلَى ـ ـ الدَّهْرِ دَوَامًا فِي ظِلِّ الِاسْتِقْلَالِ»

* * *

«وَفُؤَادٌ» قَدْ شَادَ لِلُّغَةِ الْفُصْحَى ـ ـ مِثَالًا يَبْقَى عَلَى الْأَجْيَالِ»
«كَانَ حَامِي الْبَيَانِ فِي مِثْلِهَا اللَّيْثِ فَأَخْلِدْ بِذِكْرِهِ وَالْمَعَالِي»
«كَانَ رُوحًا يُشِيعُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ رَشْحَ الظِّلَالِ»
«أَوْ كَأَنْدَى مِنَ الظِّلَالِ بِلَالًا وَهَنَاءً مِنَ الْقَرَاحِ الْخَالِي»

شكر

أريد أن أقول كلمة واجبة ، أشكر بها العالم اللغوي الياس أنطون الياس صاحب المطبعة العصرية ، الذي جعل من الكتاب حقيقة ذائعة تعيش مع جمهور كبير ، قد يرضاها وقد يتسخّطها . بعد ان كانت تعيش دون مابه يكون الحي ، أيْ فكرةً فقط وشخصية أيضاً .

وأية كلمة ، شهد الله ، لا أراها كفيلة بما أشعر نحوه من شكر وتقدير ، وليس لأني أفدت بنشره ، بل لأنه يخدم فكرة ويبشر بمبدأ ويوجه الدراسة العربية وجهة أخرى ، ربما كانت أصح وأكثر ضمانة لحاج العربية ، ووفاء بحاجتنا منها كلفة .

وهذه الداعية التي تنتظم كل مشاكل اللغة ، والتي لا تفتأ جاهدة في تهيأة الوضع الثابت للعربية هي الدافع الحقيقي للأستاذ الفاضل الى نشر كتاب يعرّف بسبيل جديد عله يأتي محموداً ، أو لا ، فلا أقل من أن ينبه الى معالجات أخرى غير ما كنا نعرف .

والاستاذ بعد ذلك ليس بغريب عن المحيط اللغوي ، فله فيه أثر كبير أو أكبر الآثار . وبحسبه أنه ركّز الترجمة القاموسية على شاكلة الصواب . وفى الحق انها معاجم مبنية على مبالغة فى التحري ، وزيادة في التنقيب ، ومرعاة صحة الدلالة ، وأخذها على الوجه الطباقي .

فاذا كان لي أن أشكره على أن نشر كتابي ، فانى لأجدر بأن أشكره على أن خدم جمهرة المثقفين ، بانجاده لغة العلم ومده لغة التعليم .

مقدمة

بقلم الاستاذ الكبير اسماعيل مظهر

أما أن أتصدّى لكتابة مقدمة لهذا الكتاب ، فذلك مهمٌّ لا يحسدني عليه أحدٌ ممن يعرفون الحالة العقلية التي خلفتها عشرات القرون في العالم العربي. ولا يقتصر إشفاقي على نفسي ، فاني لأكثر إشفاقاً على الأستاذ عبد الله العلايلي فانه بنشر هذا الكتاب ستدور عليه رحى تلك القرون التي تعدُّ بالعشرات ، وسيظل غرضاً يرمى بثفالها وبلهوتها ، حتى يفتح هذا الشرق العربي عينه على الحقائق ويرود نفسه على مواجهة الواقع تاركا من تقاليده القديمة ماينافي روح هذا العصر ، مستمسكا منها بما يلائم الحضارة الحديثة متخذاً منه دعامة لارتقائه وسنداً. فان الجرى على قواعد وضعها اللغويون القدماء — لهم من الله الرحمة ولهم منا عظيم الاجلال والاحترام — واتخاذ تلك القواعد أساساً للغة العرب ، قد ألبس الحالة التي انحدرت الينا بها لغة آبائنا حلة من القداسة ، حتى لقد يخيل للكثيرين ممن لا يدركون أسرار اللغات ان المساس بتلك الحالة ، عن بعد أو عن قرب ، انما يكون تهجماً على حرمتها وانتها كا لقداستها.

أما القول بأن القواعد التي خلفها السلف الصالح من اللغويين قد لابستها حالة من القداسة ، فأمر لا جدال فيه ، وهو من حيث أنه بديهي ولا ريب فيه ، لا يقل عنه بداهة قول التطوريّين (١) ان سلفنا الصالح لم

---

(١) القائلون بمذهب التطور ، وهو مذهب تخضع له اللغة خضوعا تاما .

يلجأ الى تلك القواعد ولم يقررها الا لحاجة غلبت على عصورهم ، فأرادوا بها رد عادية الرطانة والعجمة عن اللغة . ولقد استطاعوا بكدهم وجدهم وصفاء قرائحهم أن يضعوا للغة العرب سوراً أشد من الصلب مرّةً بحيث تقصر عنه هجمات الشعوبيين وأهل العجمة ، فحفظوا بذلك هيكل اللغة صافياً ومواردها عذباً غير مُدَنَّس بأكدار الدخيل من لغات الشعوب التي اختلطت بالعرب بعد القرن الثالث الهجري .

لقد نظلم السلف الصالح ظلماً كبيراً اذا نحن رميناهم بالجمود أو نسبنا اليهم ظلامية العقل والتفكير وحكمنا على القواعد التي وضعوها وقسناها على حاجاتنا فى العصر الحاضر ، من غير أن نُلِمَّ بالحالات التي قامت في عصورهم ، ولو أننا رجعنا الى الحالات التي شهدها أهل العربية فى أوائل القرن الرابع الهجرى ودخول أقوام بعيدين عن العروبة فى جسم العالم العربي يستعملون لغة القرآن فيفسدون من كيانها ويهدمون من بنيتها ، حتى لقد طغى على العربية فى ذلك العصر مدٌّ من العجمة ، لرأينا أن سلفنا الصالح لم يجد من سلاح يقاوم به ذلك الطغيان إلا تلك القواعد التي سوّر بها اللغة واتخذها حصناً لها حصيناً . نضرب بذلك مثلاً من القواعد التي وضعوها فى القياس والسماع ، إذ قالوا بأن الكثرة حد القياس والقلة حد السماع . فما اعتبر قياسياً كان لك أن تصوغ على منواله ، وما اعتبر سماعياً فلك أن تستعمل ما ورد منه عن العرب من غير أن تقيس عليه . هذا المثل وحده يظهرنا على جلال الحكمة التي لجأ اليها قدماؤنا . فانهم بها حفظوا هيكل اللغة كاملا . فكانت تلك القواعد فى لغة العرب بمثابة المنطق فى الفلسفة ، كلاهما قانون ثابت : ذاك للسان ، وهذا للعقل .

وبالرغم مما فى هذا المذهب من صلابة و بعد عن المرونة ، فقد قبله المتكلمون بلغة العرب فى العصور الأولى . ذلك بأنهم قد شعروا شعوراً باطناً بأنه السياج الذى يحول بين العربية والعجمة التى كادت تغزو لغة العرب وتذهب بريحها . وإذن يكون المذهب القديم فى اللغة ضرورة اقتضتها حالات اجتماعية وسياسية واقتصادية قامت فى تلك الازمان .هذا فضلاً عن أن لغة العرب وهذه حدودها قد وسعت العلوم والمعارف التي ذاعت اذ ذاك ولم تقصر عن التعبير عن شىء منها، فلم يشعر أهل اللغة بحاجة الى التوسع فى أقيستها توسعاً يلائم حاجات قامت فى عصرهم قياماً فعلياً .

الى جانب هذا المذهب الصلب الشديد قام مذهب آخر يوسع من أقيسة اللغة جهد ما يصل تصورك .

مذهب يقول بان كل ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب. فاذا سمعنا من العرب قولهم خِنَّوس للأسد ، وقسنا عليه أسماء لحيوانات تعيش في الأشجار وقلنا لواحدها شِجَّوْز فذلك من كلام العرب . واذا سمعنا من العرب لفظة كوسج وقلنا شَوْجَر فذلك أيضاً من كلام العرب. غير أن انتشار العجمة فى ذلك العهد وكثرة الموالى والدخلاء جعل الغلبة للمذهب الاول . ذلك بأن العربى كان يعتز بلغته اعتزازه بقوميته ، فلجأ الى الآمن من السبل احتفاظاً بتراثه اللغوى أن يستهدف لأذواق لم تصقلها السليقة العربية .

كلا المذهبين على جلالها وعظيم ما قدما للغة القرآن من خدمات لم يدرك أهلهما ما ندرك اليوم من تصور اللغة . فاللغة فى تصورنا الحديث جسم حي، يولد ثم ينمو ثم يتوالد.واللغة حى يموت كما تموت جميع الاحياء،

اذا امتنع عليه النماء وتعذر التوالد . وللغة كل خصائص الأحياء مع قياس الفارق . فاذا لم يكن فى اللغة القدرة على التغذى بعناصر جديدة ، وتمثيل تلك العناصر تمثيلا يحولها جزءاً من أصل بنيتها ، فان اللغة تموت كما يموت الحى اذا فقد القدرة على هذه الأشياء .

أضف الى ذلك ان اللغة تنمو بنماء الحضارة وتقوى بقوتها . فاذا انحدرت الحضارة فى مهاوي الفساد انحدرت معها اللغة الى الجمود والاستحجار . وهنالك تجرى عجلة الزمان بغيرها من اللغات التى يتكلمها المتحضرون ويستعملونها فى أغراضهم الثقافية ، فاذا مرّ الزمان وكرّت القرون على لغة جمدت ، تعذرعليها أن تلاحق غيرها من اللغات فى مضمار الرقى والحياة العملية ، مالم تنشط نشاطاً كبيراً في استخدام مواردها وأصولها ونواحى المرونة فيها لتستكمل عدّتها وتستوفى شروط البقاء بقدرتها على التعبير عن مختلف الاغراض التى رُصِدَت اللغات لتحقيقها .

هذا الذى نعلم الآن من أمر اللغة يحملنا على أن ننبذ المذهب الاول ، مذهب الصلابة والتقيُّد ، ويرمينا فى أحضان المذهب الثانى ، مذهب التوسع والسَّماحة ، وعلى قدر ما شعر أوائلنا من حاجة الى المذهب الاول ليدرؤوا به عن اللغة مدّ العجمة ، نشعر بحاجة الى المذهب الثاني لننفض عن اللغة العربية الحنيفة ثوب البلى الذى لابسها مع كر السنين وتلاحق الأعوام ، ولنقابل به حاجات هذا العصر ومطلوباته العلمية والفنية والادبية .

* * *

ان الاستاذ العلايلى بكتابه هذا أول من يرسل الصيحة الاولى لقيام

مذهب التوسع فى اللغة . واذا أردت أن تعرف ماهية هذا الكتاب فاعرف أنه تحقيق عملى قويم لمذهب الامام ابن جنى" القائل بأن كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

وانى لأرجو أن يكون صدور هـذا الكتاب فاتحة عصر جديد . عصر يقتنع فيه القائلون بقصور اللغة العربية عن تأدية الأغراض العلمية والفنية ، بأنها أوسع اللغات قاطبة وأقدرها على التعبير بذات مواردها ، وان فيها من عناصر الحياة ما سوف يجعلها لغة العلم والفن فى الشرق القريب كله ، وإن كلام شاعرنا حافظ بلسان الشرق :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا   إلاَّ بقيـة دمع فى مآقينا
كنا قلادة هذا الدهر فانفرطت   وفى يمين العـلا كنا رياحينا
كانت منازلنا بالعز شامخة   لا تطلع الشمس الا من مغانينا
والشهب لو أنها كانت مسخرة   لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهـر ترمقنا   شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا مال ولا نشب   ولا صديق ولا خل يواسينا

إنمـا هو كلام أثرى نسـتدل به على حال غَبَر ، وعهد عَبَر ، وان لنا من قوميتنا ولغتنا وجامعتنا العربية لقوة سوف تضعنا على هام الأمم عما قريب ؟

اسماعيل مظهر
سكرتير المجمع الملكي المصرى للثقافة العلمية

فهرس

مُقدِّمة

لدرس لغة العرب

وُ

كيف نضع المعجم الجديد

تأليف

عبد الله العلايلي

عُنيت بنشرهِ إدارة

المطبعة العصرية

بالفجالة ، بشارع الخليج الناصرى رقم ٦ ، بمصر

ديباجة

هي ، أي المقـدمة ، تبتدىء الدرس على فروع العربية مرة ثانية فتتناول النحو والصرف والاشتقاق والبلاغة وتصل من وراء دراسة موزونة الى إقرار كل شيء في موضعهِ وعلى اعتباره وهي من وجه آخر حكاية تطور العربيـة في كل أشيائها . ولا يهولك أنهـا جاءت كما يكون المخلوق الجديد بكل مميزاته فرب غير معـروف صار لا يعـرف سواه وشعار كل الدرس الذي انتشرنا به على العربية كلمة وردت في التصدير :

(ليس محافظة التقليد مع الخطأ ، وليس خروجاً التصـحيح الذي يحقق المعرفة)

وأنت أيضاً في خلال ذلك بكلام على المجامع ودور التخصص وتناولت الخط العربي والاملاء وسائر شكليات اللغة بحلول هي أقرب من كل ما اقترح حتى اليوم .

تصدير

تبتدىء محاولتى فى هذا الذى اقدمه من مجهود بعمل لغوى بحت . كان القصد منه اولا ان يكون عملا قاموسياً فقط . يقوم برم النشر الذى تركه سفعة فى وجه اللغة مد التطور العريض . وليس كذلك فحسب . بل زاد حتى ترك من العربية شيئاً منحلامتهافتاً لاتستقيم معه على تعبير . ولاتفى بتحديد تام على وجه علمى دقيق . وضرورى ان تكون على هذا التخلف لاننا نقصد مجتهدين ان نلز بلغة جيلية تعبر عن اهواء وميول وافكار تبعد جداً اشد البعد عنا . نحن اليوم فى كل اولئك جميعاً .

وهذا منطقى ومعقول لان اللغات التى هى بدون ادنى ريب وليدة البيئآت المحدودة بالمستوى العقلى والذوقى معاً . لاتنهض الابالتعبير عن وسطها الذى انبرعت عنه فى حدود آفاقه على نسبتها من الاتساع والضيق .

والحق لولا مرونة العربية الطبيعية . ولولا ما افاض القرآن عليها من معنوية قوية لوقفت فجأة ولتخلفت دفعة واحدة بدون هذا التريث البطىء . على ان هناك سبباً آخر هو كل السبب فى واقع النظر وفى الواقع الصحيح ايضاً واعنى به المدرسة اللغوية التى قامت كذا محافظة على نحو تقليدى محض ظهرت فائدته فى اول العهد الذى كان الغرض منه الجمع والرواية ليأتى على اثره الدرس والاجتهاد عليه . لا ان يظل كذلك رواية وتقليداً فى شكل الحركة ولون الصيغة على موردهما من المادة .

ولقد شعر بضعف هذا الاساس الذى يقوم عليه درس العربية . متأخرو اعلام هذه المدرسة فاتجهوا اتجاهاً آخر فيه نوع من تحلل . ولكن لايبلغ الغرض المطلوب . واذا كان لنا ان نصفه فقد نصفه بانه شكلى صرف خذ مثلا ابا على الفارسى فى كتاب القياس . وابن جنى فى الخصائص وسر الصناعة والخاطريات . وسائر كتبه التى انكشف فيها عن اراء لها قيمتها ولها سمو ملحظها العبقرى . تلمس الاثر المدرسى متجسماً على نحو لايسمح لهم بالاستفادة من الاتجاه العصرى الجديد الذى اخذوا فيه وخطأ هذا الاساس التعليمى من وجوه .

(١) انه طريقة استدلالية ضعيفة جداً ان لم نقل عليها بانها تهافت محض وخلف وذلك لانها نوع من الاستقراء يعتمد الشاهد والشاهدين ليصبغ عليهما و يقرر منهما مذاهب متشعبة . وعنه نشأ تزيد الاقوال فى المسألة الواحدة ودعوى الشذوذ كثيراً عندما يعثر على الشاهد لايتمشى مع مقتضى النظر . واذا اصح لهم الاستقراء احيانا فانهم يفقدون المقارنة دائماً .

(٢) انه حمل على الترويج للزيف فانا لانكاد نطمئن الى كثرة من الشواهد التى تنصب فى محال الخلاف . ونحن على حق فى عدم الاطمئنان . فان نظرة عابرة تأتى بها على مثل خزانة الادب للبغدادى وشواهد العينى . تجعلك تنطوى على حذر غير قليل . وتفوت الحصر الطرائف التى تذكرها كتب النوادر عن اختلاق اللغوى بسبيل تأييد وجهة نظره

(٣) انه افسح المجال للمعرب والتعريب بصورة مطلقة .

(٤) انه دعى الى الوضع الخاطىء الذى تولاه الفنى والعالم .فكل الاوضاع التى عرفناها فى العلوم والصنائع والحكومة لايمكن ان تنتسب الى الشعبة اللغوية بحال. فهي جهد من جهد العالم والفنى والحكومي . وزاد بهم التحرج الى حد انهم لم يذكروها فى معاجمهم . وانما تولاها بالحصر ارباب العلوم انفسهم. خذ الكليات والتعريفات ودستور العلماء واصطلاحات المتصوفة . ومن قبلها الديوان للاسعد بن مماتى وصبح الاعشى وهكذا مما تسقط على الشاهد . بان اللغويين لم يكن هذا من عملهم ولا كانوا راضين عنه ايضاً .

وكما قلت فى سالفة المقال لم يكن من قصدى فى اول الامر ان اتجاوز العمل القاموسى الى هذا الاخذ العريض . الذى يتناول العربية فيما استقرت عليه من القواعد ومناقشة هذه القواعد ان كانت صحيحة ام لا . ثم مجاوزة المناقشة الى شيء غير قليل من التصحيح فيما احسبه كذلك .

وانما كان منى هذا التزيد وتلك المجاوزة لانه لن يتأتى لى ماقصده على وجه من الدقة بدون ان آخذ فيما اخذت به . وهى دراسة فى غير ماتكون من قصدى او دون القصد جاءت فى مناسبتها من الحاجة والتساؤل .

والشيء الوحيد الذى ترمى اليه بمجموعة ما انتهينا به من امرها .ان ماثقفناه ولانزال نثقفه اصبح فى حاجة كبرى الى معاودة الدرس مرة اخرى. وتجديد تدوينة ثانية على وجه يكون اقرب مجازاً .واكبر حظاً من العقلية . واوفر نصيباً من الصدق .ولربما كان هذا العمل متيسراً لنا نحن اليوم .لاناقد اصبحنا وبين ايدينا اشياء كثيرة مما تبلغ بنا الى مانريد وتفضى بنا الى الغاية من اقرب طريق . وبالاخص حينما نقدم بين يدى بحثنا الجديد نتيجة ما انتهو اليه وهى نتيجة مهما قلنا فيها ومهما احصينا من اوهامها فلا يسعنا الا ان نعترف بان فيها كثيراً من الواقع ونقف من مجموعها موقف التقدير

ويسرنى فى هذا الدرس الذى نبدؤه ان لانكون شخصيين فى نتائجه ولو على مقدار فيجمل فيها سيبويه والكسائى مرة اخرى . بل علينا ان نعطي نتيجة جماعية او اجتماعية تفنى فيها الفردية تماما وتذوب . هذه الفردية التى كانت وتكون على الدوام مبعثا للانتصار العصبي. على ان مما تخشى بوادره الاختلاف القطرى الذى نرى اثره فى البيان مستفحلا بين

مايريد جماعة ان ينعتوه بنعت اقليمى .فيكون منه ادب مصرى وسورى وعراقى وهكذا وهو اختلاف لايرهب امره اذا ظل فى محيط البيان غيرمتجاوز له. بل على العكس ربما كان مفيداً جداً اذ يحمل على المنافسة التى توفر الانتاج وتغرى على التجديد من حواشيه

ولكنه ويل الاثر اذا انتقل الى المحيط اللغوى البحت على مقدار ماهو فى نظرى صالح فى حدود البيان. واظنه غير منتقل اذا اخذنا باعداد متن اللغة اعداداً صحيحاً وافياً بحيث لايستضيق عما يطلب له ويستخدم فيه. بل من شروط مابه نأمن شعوب هذا الاختلاف .ان يكون متن اللغة مادة حقيقية للفكرة لا اداة فقط تستخدم للكشف عنها وقد يرى غريباً ان تكون اللغة كذلك مادة تعين على التفكير. وهو حقيقة غريب فى بادى النظر . ولكن من يتعاطى شأن البيان سواء فى النثراو النظم يستطيع ان يرى هذا شيئاً واقعاً وحقيقياً للغاية

فكثير مايكون خيال الفكرة هزيلا ليس على شيء من الابداع العبقرى. وليس على شيء من الافتنان النافذ. ولكن لا تكاد تتناوله الالفاظ حتى تبعثه بعثاً آخر. وتخلقه خلقاً اوفى .فيه قوة ونفوذ ودقة وفحولة. بل كثير ماتغير فى مذهب التفكير مما يجعلنا ندين الفكر الحكيمة والصور العبقرية فى جوانبها الخاصة للالفاظ واللغة. وعليه فجانب من براعة الخيال يرجع الى اللغة التى افرغت عليه ما افرغت وزودته بكل ما نسميه بسمو الفكرة حيث تطالع الانسان فى دهشة بالغة ومطرفة ايضاً واقرب شاهد اسوقه لهذا قول ابى العتاهية فى ارجوزته المشهورة :

يا للشباب المرح التصابى روائح الجنة فى الشباب

قف عند تعبيره الخلاب (روائح الجنة) الذى تسقط منه على سرى من المعنى لاتظن ابداً بان صورته كانت كذلك على تمامها وبكاملها فى خيال ابى العتاهية وانما هو من فيوضات الالفاظ وحدها وهو سر اللغة وسحر البيان. واليك مايقوله ابن بابك ايضاً

« الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة لقى بين اقراط المها والمحابس »

فان من يتذوق مقدار ما افاض تعبيره (لقي) على جمال الصورة التى يريد ان يظهرنا عليها حيث رسم لنا فى خط شديد الوضوح ماكانت عليه المقامة من غمرة فى مستوى الشعور الطافح على سذاجة غير متكلفة .وسنسوق كثيراً من هذا فى فصل (اللغة غاية لاوسيلة) .

واظننى قد انتهيت الى ما من قصدى ان انتهى اليه. وان اقرره فى صراحة ولقد تقدمت ببعض منه. وهو ان الضرورة اصبحت تدعو الى تغيير منهاج دراستنا اللغوية وطريقة قياسها فى الوضع والاشتقاق وما يتبعه من اشكال الاستعمال . ولذا اثرناها مناقشة ضافية

الذيول. ليس من غرضنا فيها الا ان تكون بعثرة لفكرة المحافظة على التراث الاجتهادى الذى لا يزيد عن انه اراء مرسلة افضى بها العالم اللغوى واقتنع بها كما اقتنع من قبله الطبيعي واللاهوتى ولكن مايقتنع به شخص احياناً يجد كثيرين لايقتنعون به ولايكاد يطمئنون اليه اولا يواتيهم هذا الاطمئنان. على شدة تعرفهم الى تلك الآراء ومبالغة تعملهم فى ان يقتنعوا. بها فنازعوها وخطأوها وازروا عليها كثيراً. وتهافتوا منها اشدما يتعاطى التهافت ورأوا فى انفسهم مايعتدون به على امثال ابن جنى وهذه الطبقة. وهذا مايحكيه(1) شيخ الادباء فى القرن الخامس رشيد الدين الوطواط عن فخر خوارزم الزمخشرى فى مراجعة كانت بينهما

والعجب ان ما نأخذ انفسنا به من تقييم انقلب خشية. واحترام انقلب عبادة. لم يكن حتى متأخرة اللغويين يأخذون انفسهم على نسق من مثل ما نفرض على انفسنا فرضاً عنيفاً ونوجبه ايجاباً قاسياً. لانستبيح معه ولومثالة من التنكب والاخذ فى وجهة اخرى. بينما نجد من متأخرة اللغويين الذين اصبحت اللغة وعلومها عندهم دعامات ثابتة لامساغ للتردد فيها من مثل الدماميني والشمنى والرضى والجار بردى. كيف يجوزون بسماح وفى غير دهشة لانفسهم الاجتهاد والتنقيح. وهذا العلامة محى الدين الكافيجى النحوى شيخ السيوطى ينفرد برأى اجتهادى حكاه (يس) فى حاشيته على التصريح وحاصله ان تنوين (اذن) فى مثل (من فعل كذا اذن يحمد) تنوين عوض والكلام فى قوة قولك (من فعل كذا اذا فعله يحمد) ويرد رأى الجماعة النحوية السابقة. وهوهو الذى نراه اشد ما يكون محافظة فى رسالته (وجوه اعراب جاء زيد) التى يذكرها السيوطى تلميذه فى بغية الوعاة ويزعم انها تقع فى رقم السبعين وجهاً. واليك الراعى الاندلسى صاحب شرح الاجرومية والالفية. فهو يظهرنا فيهما على اجتهادات لم يأبه لكونها جاءت مخالفة لرأى النحويين. بما يجعلنا ندرك كيف كانوا يفهمون ان التنقيح شىء يوجبه الاحترام. ويفرضه التمسك والمحافظة. وليس محافظة التقليد مع الخطأ والوهم وليس خروجاً التنقيح الذى يدل على وجهه ويحقق المعرفة.

ومهما يكن من شىء فقد قررت ما اراه معقول العرب فى اللغة من وجه. ومقيل عثار العربية بحيث يعدها للمستقبل الممدود من وجه آخر. وهى اراء لااقول بان كلها حق وصدق وان كنت لا اشك فى انها تقارب الواقع كثيراً. واعتقد بان عملية الوضع التى تأخذ غير الطريق الذى نقرر معالمه ونعين حدوده. ليست فى الواقع الا مداورة للغة لا تخدمها ولا تحفظ وجودها فى شىء.

ولقد آن لنا ان نأخذ بمذهب الجد والا وضعنا العربية فى موضع قلق. لايتسع لها ولا تقوم فيه. ونحن اذا كنا نجد من مثقفة الجيل. تريثاً وانتظاراً للنتائج التى ضمنتها لهم

---

(1) راجع رسائل الحكماء

المجامع. فان ناشئة الجيل سيلقون بكل ذلك حيث لا يركنون اليه ولا يأبهون له. وسيقدمون على مقدم خطر جداً يعرض العربية للتلاشى السريع او للانقلاب المطلق. الذى يجعل منها لغتين لغة القرآن. ولغة تبتدىء فى حدود القرن العشرين. تتفاوت كلتاهما تفاوتاً يكون لا اقل فى اساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية. ويكونون من بعد لم يفعلوا هـذا الا عن حسن نية وطهارة ضمير واخلاص للغة مع ذلك وخدمة للفكرة العـامة. وتبعة كل هذا انما تقع على كاهل اللغويين وحدهم. الذين وقفوا موقفا سلبياً لا يحيد عما تواضعه سالفو اللغويين. من معقول لم يكن فى اوله الا وهماً خاطئاً. ونتيجة درس غير مستقيم ولا محقق. كا كثر ما نرزح تحته اليوم من تقاليد وعادات. لم تكن فى الواقع الماضى با كثر من مغالط صيرها التاريخ عقائد. ولا تحقر عمل التاريخ فى تأسيس التقاليد وتأكيدها وتوجيه النفوس وخلقها خلقاً مطلقاً وما اصدق ماقيل (التاريخ مصدر كل وجدان) وكذلك تجد. اذا اخذت فى تقدير أثره وتنزيله من الوجهة النفسية. والتحرر من الانفعال بالتاريخ (كما يقولون) ميزة العبقرى وظاهرة النابغ.. وبالجملة فان المجموعة اللغوية التى تتلقنها جاهدين وندرسها مطمئنين ونسير على ازاء منها شديد. ليست الا كمثلها مجموعة تقاليد فقط وخواطر أو خاطرات. يقدرها اللغوى فى غير بعد عن حدود تفكيره وفى غير تناء عن شكل ثقافته. ويؤمن بها ويبشر لها كحقيقة لا ينبغى الريب فيها او الشك. ولقد يكون اكثر امانة لو بشر بها على انها افكار مجردة تعنيه بالذات اكثر مما تعنى اللغة. ويكون من بعد قد ادى الواجب العلمى فى غير مكابرة لغوب. واما ان يعالن بهذا الشكل الذى يصورها وكأنها ملحظ العربى. ومذهبه الوضعى وينحلها شواهد ما اراد كثرة فهذا ما نأخذهم به فى غير لين.

والمضحك فى استشهادهم احياناً تنازع الشاهد الواحد لمذهبين ونصبه دليلا على جمع الرأيين من نحو قول الشاعر « كأن ظبية تعطو الى وراق السلم ».

ويقين انى لا اجد منصفاً يتقن وسائل الدرس. يرتاب فى ان تقديرات اللغويين التى ندعوها اليوم علم اللغة. لا تجاوز كونها من هذا النوع الذى نسميه (الفكرة الشخصية) فهى تعبر عن ملحظ مقدريها أكثر مما تعبر عن ملحظ العرب انفسهم. وعليه فمن العبث البارد جداً ان نقف عند حدود ما سموه قياساً وسماعاً الذى ستجد فى فصل (السماع) من المقدمة ان ابتنـاءه لم يكن الا على كثرة الورود وقلته. وان نعجب من بعد فلقولهم على لسان ابى عمرو بن العلاء. فى عبارة (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافراً لا نتهى اليكم علم وشعر كثير) وفى عبارة (انما نحن بالأضافة الى من قبلنا كبقل فى اصل رقل) فاى معنى اذن لقلة الورود الا الضياع وعدم التحمل.. ومن هنا نجد للجماعة تفاوتاً منطقياً يقضى بالتناقض التام. على اننا بين هذا وذاك. نستطيع ان نتهمهم بالتهجم على العربية تهجماً لا يجيزه هذا الورع الذى يأخذون الناس به واعنى به جمع لغات

الجزيرة و بعبارة ادق لهجات الجزيرة. والمداخلة بينها مداخلة مطلقة فى غير تميز ولا تنبيه والاستنتاج منها هكذا مجتمعة قواعد اللغة . و بينها ما نعلم من اختلاف شهدوا به بصورة مؤكدة . وان كنت ستجد انا لا نقر هذا الاختلاف على معناهم به وانما نقول بانه تطور فقط يأخذ سنة ارتقائية . ولكنه منا اخذ بمنطق الجماعة على سبيل التنزل لبيان مقدار التنافى على مواطن الرأى . وربما تأتى لنا تعليل هذا الموقف المتفاوت باسباب اهمها :

عدم تفاهم المصرين البصرة والكوفة . واتخاذ هذا الاختلاف صبغه تعصبية صرفة فتشددوا بمنطق السماع وعدم الحفظ أخذاً على مذهب الخصوم . وليس معناى بهذا ان السماع كان من اوله كذلك . ولكن اريد ان اقول بان هذا الانتزاع الشديد فيه هو من جرى التعصب القائم والتحامل البالغ .

وهذا مأخذ شعروا به ولكن سموه تنقيحاً واليك ما يحكونه فى هذا الصدد قالوا [1] [ينتظم التنقيح للغة العربية باربعة ادوار :—

(١) كان بعمل يعرب بن قحطان (٢) كان بعمل اسماعيل لما اصهر الى جرهم (٣) كان بعمل قريش بالتدريج انتخاباً من لغات قبائل العرب التى كانت تفد عليهم فى كل عام (٤) كان بعمل علماء المصريين اذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب لم تحتك بغيرها الخ]

فى هذا تنتظم ادوار التنقيح عندهم وما احرانا ان نأخذ بسبيل لا يخرج على العربية فى اساسها ابداً و يكون من بعد اقل ابتداعاً من اخذهم السابق ونسميه تنقيحاً خامساً وسترى أنه ينحصر عند رأيى :

(١) فى حذف السماع من اللغة الاعلى المعنى الذى اقررناه فى بحث (السماع) من المقدمة .

(٢) فى اباحة صوغ موازين الثلاثى برمتها من اى ثلاثى وكذلك موازين الرباعى

(٣) فى تخصيص الموازين مفردة او مجموعة بدلالات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد (ففعال) يخص بما يدل على الزائدة (auto) فى الاجنبية و (فعالية) يخص بما يلاقى فى الاجنبية (ism) وبذلك تسهل مهمة الوضع ويكون ايضاً اكثر علمية .

(٤) فى توحيد معانى المشتقات جميعها للمادة . على شكل ان نتوسل بورود المرجاس من رجس بمعنى مقياس الماء الى ان نشتق من رجس بمعنى قياس الماء . وليس فى هذا خروج على مذهب الوضع العربى. فان العرب قالوا (رجس الماء بالمرجاس) قاسه وقدره وعليه فقد اكتسبت مادة الاصل من معنى الفرع بالتخصيص . واليك مثلا آخر من

---

(١) راجع خطبة حفني ناصف ص ٧٦ من مجموعة خطب نادى دار العلوم

العربية قالوا دفق الماء بمعنى صب او انصب ثم قالوا ناقة دفاق اى سريعة ثم اشتقوا من دفق بمعنى اسرع فقالوا امشى الدفقى الذى هو ليس من . معنى الاصل وانما معناه بالتأصيل عن الفرع بلا ريب . وايضاً قالوا تهز هزاليه قلبى ارتاح للسرور .واهتز عرش الرحمن لموت سعد اى ارتاح بروحه . الذى يرينا تعاوناً بين فروع المادة على اشد فارقة من الصيغة ويظهر انه قانون عام فى اللغات ففى الانجليزية نرى ايضاً نوعاً من هـذا التعاون والتأثر الشديد قالوا (plain) اى بسيط الذى قالوا منه (plainness) اى بساطة بتأثير هذه اللاحقة التى هى بمنزلة الصيغة فى العربية وانظر كيف تأثرت المادة بمعنى الفرع بقطع النظر حينما قالوا (plainly) اى ببساطة الذى يظهر فيه ان نفس المادة الجامدة (plain) اكتسبت معنى الفرع الذى هو (plainness) . .وفى الفرنسـية قالوا (automobile) بمعنى السيـارة ثم قالوا (autocanon) بمعنى المدفع على سيارة وانظر كيف تأثرت (auto) بمعنى الفرع (automobile) واكتسبت معناه بعض الشىء والا فهى فى الاصل لاتدل الا على الوحد والنفس .ولو اردنا ان نفهم (autocanon) على نحو لغوى لـكان معناه الحاصل .المدفع المنطلق وحده او بنفسه .

هذا أهم ما فى الدعوة الجديدة أو التنقيح الجديد من أهداف ، ويجىء فى الدرجة الثانية من الاعتبار .

(١) الاستفادة من قاعدة الدوائر أو القاعدة الدائرية التى ستراها مبسوطة فى المقدمة بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهم وضعوها أو وضعوها وأميتت .

(٢) الاستفادة من سنة الرباعى وما اليه بزيادة الحرف على الآخر بعد تحرير معانى الحروف الهجائية

(٣) المعاقبة أو الابدال .

ومابقى مما جاء فى المقدمـة فلواحق فى الواقع لا يؤثر أبداً عدم اعتمادها كالمجاز والتضمين .والفك فى محل الادغام لدلالة .والتصحيح مع موجب الاعلال لغرض وهكذا مما بسطناه فى المقدمة

والغرض منه انبساط رقعة الوضع أمام الواضع الجديد بحيث لا يصادفه عناء ملحف ولا مجالدة جهيدة ولا عنت مرهق .

ولشد ما يحفظنى اعتماد لغويينا اليوم لوحى وجدان استولده التاريخ عندهم على حدوده من المحافظة.وهم يشهدون من مطالب العصر على اللغة ما كان واجبا أن يجعلهم يغيرون من هذا الاعتماد . وينتحون له وجهاً آخر يكون أكثر ملائمة للعربية. وأكثر انتهاجاً فيها وانتاجاً عليها . وبرغم اننا حيال طغيان على العربية تكاد لا تثبت له.نجد من اللغويين من يجهد ناصباً بترقيع أمزاق الماضى. على أى وجه وان كان لا يستقيم .وأغرب ما بلغنى أن

استاذاً يوسم بالاقتعاد فى النحو هنا فى مصر .لم أعد أذكر اسمه ويظهر أنه كذلك باقعة نحوية أو نحوى عرض للكلام على (لو) فى مصنف يقع فى ثلاثة مجلدات أو أجزاء لا أدرى أسماه (ترويق الجو فى تحقيق الكلام على لو) ثروة عظيمة من الكلام فى كلمة . وكتاب فى أجزاء تزيد على حروفها: هو يستطيع أن يخرج ثلاثة أجزاء فى الكلام على (لو) ولا يستطيع ينهى حيرتنا فى الأبيات المثلثة الأعاريب. أى التى تجوز بالوجوه الثلاثة الرفع والجر والنصب. وهو فى ابتداءه بالتأليف احد نحاتنا هناك فى لبنان وقد أطلعنى عليه يوماً كنت فيه نجياً له. فذهلت حقاً من كثرة ما اسمعنى و يسمعنى. حتى انتهى إلى قول الشاعر (تحيرت والرحمن لا شك فى أمرى) وراح يسرد على وجوه أعاريبها فقلت بحسبك رحماك فقد تحيرت والرحمن على الوجوه الثلاثة . فكانت ضحكة عريضة طويلة . وكان معناها فى نفسى على غير معناها فى نفسه . وما درى هؤلاء أنهم وهم يخدمون اللغة على ما يظنون ينحرونها نحراً جهيزاً . والحق لو كانت مجلدات (لو) هذه وحياً لكفرنا به وما اطمئننا إلى مغالطاته . وهل يكثر الكلام هذه الكثرة فى حرف بسيط الوضع والمعنى. الاوان يكون مغالطات لنحويين . كان لديهم من الفراغ ما يهيء لهم أن يقولوا كذلك بدون حساب والوقع أنه الفراغ فقط . فهو الذى جعل (المقرى ، الزبيدى) يخرج كتاب (عنوان الشرف) الذى وضعه على انه فى الفقه ولكن يستخرج منه النحو والعروض والقافية والتاريخ بتحيل حرفى عجيب . يحملك على التقدير الممزوج والاكبار الآسى . وهو شيء وضعه الفراغ لنفسه فانى على يقين ان من يريد هذه العلوم لن يأخذها منه أبداً . وانما يقف عنده للفراغ واشباع نهمه ومن ثم يلتقى فيه المورد على المصدر

وأقل ما فى هذا النهج الخاطىء. ان لا يتأتى لز لغتنا العربية بازاء قريب من اللغات الحية. الا بتوسيع باب الاشتراك على صورة مرعبة مخوفة . ونحن وان كنا لا ننكر كون الاشتراك قانونا لغوياً عاماً تخضع له اللغات كافتها . ولكن على هذه الصورة فلا قطعاً .

هذه الصورة التى يكون التعريب أقوم منها سبيلا . حين يعتاص على أحدنا التعبير عن تمام أفكاره الا بضعفى موضوعه قرائن . لتكشف عن المعنى المراد فى مشترك الألفاظ . عدا عن ان العمل اللغوى يظل بطاء جداً . ومتخلفاً حقاً فلا يخرج للقرن العشرين الا مولدات القرن الثامن عشر . وهكذا على نسبة لو كانت لا يتسنى لها أن تخدم العربية فى شيء وشاهد هذا أنك لو ذهبت تحصى ما استطاع كل لغوى عمله على نبالة جميعهم . فى مدة طويلة لوجدتها تقع فى رقم دون المائة ، وهو ما يدهش بحق . على أن أحدهم يتمدح بأنه انكشف عن ميحاد هذا الرقم . فهذا العلامة المأسوف عليه الشيخ عبدالله البستانى [١] يفخر فى مناظرته مع الشيخ عبد القادر المغربى . بأنه أول من أستعمل كلمة (عقيلة) لتقابل كلمة (مدام) إلى كلمات أخرى ، واذا أردت أن تقف على احصاء واف تقريباً عن ثروة ما

(١) راجع كتاب مناظرة لغوية ادبية ص ٦٨

انتهى به الوضع الجديد فارجع [١] إلى مقال للأستاذ المعلوف . وفيه تشهد مقدار ما يعاني اللغوى .وما يصادف من توعر يبطىء عمله إلى حد كبير . على أن اللغويين اليوم رغم ما يأخذون أنفسهم به من محافظة .بدأوا يشعرون أو اضطروا إلى الشعور بخطورة شأنها وانهم إذا راموا خدمة اللغة فلن تكون عند غاية هذه المحافظة على شكلها . ولكبير نقع على أثر للتساهل [٢] حتى عند المأسوف عليه الشيخ عبد الله البستاني الذى يمكننا اعتباره رمز المحافظة اللاحمة فى غير تنكب .

وهناك فى الساحل المعروف إلى مصر كثيراً (بيروت) يوجد لغويان بكل المعنى ومع انهما شبأ وشابا على كونها من سدنة اللغة فهما يفهمانها على غير ما يعهد باللغويين فهمها

أما أولهما [٣] وهو الذى كان يخيل إلى فيه صورة كاملة عن (الحاتمي) فى فلسفته على اللغة . فكنت أعجب لاجتهاداته التى لا تتقيد ولا تتعبد. وانما يتناول علوم اللغة على أنها لم تستوف غايتها بعد .وهي فيما يظهر وكأنها وافية بالغرض على كثير من الخطأ . وربما انكشف عن شيء منها فى رسالته التى وضعها للرد على المأسوف عليه الشيخ ابراهيم اليازجي ولقد استوقفنى رأيه فى فهم الغلط الذى يدعو اليه الارتجال حينما تناول ما أخذت به (نزهون الغرناطية) وهو فى غايته يريد أن يظهرنا على أن هذا الغلط كثيراً ما كان فى العربية الأولى سراً من أسرار تزيدها في الجموع والمصادر . والى جانب هذا لا يشيح عن الاجتهادات الجديدة بل يأبه لها ويهتم بها . ويرى العربية ليست فى كثير مما قيل . وربما كانت فى كثير مما يقال .

وأما ثانيهما [٤] فله آراء تحدث عنها فى مناسبات كثيرة.بواسطة الصحف والكتب من أهمها ما سنتكلم عليه فى (بحث اللهجة) وأيضاً انكشف عن شيء منها فى كتبه النحوية وفى كتاب (نظرات فى اللغة والأدب) حتى خيل إلى فى هذا الأخير. أنه من أنصار الغلط الشائع ولكن بالتماسات قاعدية . فهو من هذه الناحية قد يكون لنا رأى آخر لا يستوى مع المقصود من الكتاب . ولكن على كل حال كأنهما يعطيانا بعملهما ان الأديب إذا وقعت منه مجاوزات شكلية.فلا ضير ان تتسع لها اللغة وتحتويها المعاجم. باعتبارها أصبحت

---

(١) منشور في مجلة العرفان ج ٦ مجلد ٢٧ سنه ١٣٥٦

(٢) راجع كتاب مناظرة لغوية أدبية .

(٣) هو الشيخ عبدالرحمن سلام لغوى قديم أدرك عهد اللغة الزاهر في بيروت وكان من عيونه وهو إلى هذا يتمتع بخواطر عبقرية بكل المعنى وله من الكتب دفع الاوهام في الرد على اليازجي وشرح وتصحيح ديوان ابي تمام . والمثنيات استدرك على المحبي فيه والاذواء اتسع فيه لاكثر مما استوعبه ابن الاثير في المرصع وله ترجمة واسعة في كتابنا (طبقات علماء وأدباء بيروت) .

(٤) هو الشيخ مصطفى الغلاييني لغوى أدرك العهد المذكور وهو معروف بتواليفه الكثيرة ومقالاته العديدة وله ترجمة واسعة فى كتابنا المذكور .

وافية الدلالة صحيحة الغرض . وليتنبه إلى الفرق بين الغلط والاستعمال المتجاوز بعض الشيء عن الوضع .

والجملة فى هذا القول المتشعب المديد . ان العربية ستظل فى موقفها وعلى وضعها ما دمنا نفهمها على لونها من المسحة التقليدية. ولم نسمح لأنفسنا بما سمح العربى لنفسه . ولشدما يحز على نفسي . أن أسمع المتفرغين (١) إلى اللغة أو الفارغين اليها. يتمنون عليها الأمانى . ويجتهدون بأن يعملوا ويصدقون فى العمل ولكن لا يكون لهم من بعد عملهم الشاق الا شيء كمبيرخة (٢) المهاج لاتنتقل بالسيارة ولاتغير من موقفها. رغم انه قدكان لهادوى وهدير.

وذلك لأنهم لم يشخصوا الداء على وجهه كما يقولون وهو يستفحل يوماً بعد يوم ويتزايد خطره رغم الضمادات التى تتخذ له .والاسعافات الوقتية العجلى التى تجرى عليه . وهذا الداء أصبح يشعر به كل أحد. وأيضاً يشعر بأن الوسائل التى يحتاط بها . لم تعد صالحة أو لا تفى بالمطلوب العصرى .

وعلى كثرة ما قرأت وسمعت من عبارات تصور مبلغ الداء .لم يمر بى ابلغ من نادرة ارسلها عفواً اخى الشقيق(٣) فى محاضرة من محاضر السمار. كانت حقيقة حكيمة وان كان لها وجه النادرة العابثة . وفى عبثها وجه آخر من حكمتها . قال وقد اخذنا بالحديث عن اللغة . ومقدار ما عراه من تخلف عن مطالب العصر الذى كأنها تعيش على هامشه او فى ضميره :

(كانت العربية تتسع لمطالب السماء فاصبحت تضيق عن قطرة الماء) هذه الكلمة التى اخذتها فى اول الامر مأخذاً لا استغراب فيه . لانى ظننتها مزاوجة وتسجيعاً ولا تعنى شيئاً وراء النادرة . ولكن بعد لأى وقفت منها موقف الدهشة. اذ فهمت انه يعنى بقطرة الماء ما تنحل اليه من عناصر كيمية. لم ترم العربية من وجدانها على وجه يفى بالتعبير عنها .

وفى غير اكثار ومعاودة. فانى ارى الحديث يلتف على قلمى التفافاً. فلا يبتدىء الا على وجه ما انتهى. وربما كان السبب فيه ان الموضوع اصبح متجهاً مركزياً لمجموع تفكيرى فهو يظهر فى اشد حالات اغفاله . والاعراض عنه والانصراف الى سواه. . وفى غير ما اكون كخباز ابن الرومى اقول. هذه افكار نصتها مدة لم تكن يسيرة فتحسب من الخاطر الهائم . ولم تكن طويلة فتحسب فى جميعها من الناموس الحى بل فيها ما هو حق لامرية

---

(١) راجع مقال المرحوم زكي مغامز عضو مجمع الشام في مجلد العام الفائت .

(٢) هاتان الكلمتان من وضعنا الجديد ومعنى الثانية فراشة الأتومبيل ومعنى الاولى حركة الفراشة المذكورة إذا كانت فى غير فائدة وبتعبير العربية الشائعة (على الفاضى)

(٣) هو الشيخ مختار العلايلى المتشرع الاصولى الفقيه وله ترجمة واسعة فى كتابنا المذكور

فيه كله الصدق والواقع . وفيها ماهو تقدير شديد الوضوح. لايعدم وجهاً من الحق قريب ولا يخفى ان الحقيقة لم تكن حقيقة فى اولها بل كانت مجازفة وتجربة. والواقع ان المجازفة العلمية ام الحقائق وناموس النواميس . وهى وان جاءت فى بعضها دون مابه تكون الحقيقة . فان لها من بعض مقدماتها مايحمل على التعويل عليها حتى يتبين وجه خطأها . كما هو الشأن العلمى فى اسلوب التعليل والشرح فى كل نحو . فى كل عصر .

ونحن ندعو مجموعة ما انتهينا اليه درساً ومناقشة وتصحيحاً (مقدمة) بيد ليس لها مفهوم المقدمات .وانما كان منا هذه التسمية وكان منها ذلك القبول . من حيث سبب اليها المعجم . فبدأت ولم يكن لها موضع من القصد . وانتهت وقد انصرفنا اليها بكل القصد . فعالجنا بها الناحية الصرفية والاشتقاقية بكثير من التطويل .ووقفنا على مقدار اللحظات عند تعليل بعض ظواهر العربية . واستطردنا بين التصدير والخاتمة . بابحاث دعت اليها حاجة وجرت اليها مناسبة . فتناولنا المجامع ودور التعليم وبعضاً من شكليات العربية. وابدينا آراء فى البلاغة والعروض . والاملاء والخط . من حيث كانت المقدمة تعبيراً عن آراء شخصية تعالج العربية فى دورها الاخير . وكنا اضفنا فصولا [1] تعلل النحو والادوات وتدرس ظواهر الاعراب والبناء . ولكن عدنا فاسقطناها لتنشر فى مناسبة اخرى كتاباً مستقلا لايتناول سواها لما اتسع بين ايدينا من مجال القول .

والمقدمة تقع فى اقسام ثلاثة . تناولنا بالقسم الاول متفرقات لايجمع بينها الا ملابسات الموضوع الواحد . واهم ماجاء فيها تحقيق ان دلالة الكلمة من اللغة على المعنى الحاصل فى خيال المستعمل دلالة مقايسة وموازنة . وابحاث اخرى لها خطرها ولها نبل خاطراتها . واتينا فى القسم الثانى على تاريخ النشوء اللغوى وتطور اللهجة فبدا عاجلا من حيث الوقوف عند تحقيق كل فكرة على مايقتضى الاسلوب العلمى الخالص .فقد تجد فيها اراء مرسلة ولكن يطمئن اليها من حيث الشرح والتفسير. واهم ما انتهينا اليه من اراء فرض ان الجدول الهجائى باصواته (حركاته) هو لغة الانسان القديم . وتقدير ان نشوء العربية كذلك كان احادياً فثنائيا فثلاثياً الخ . وتحقيق ان العربية انتقلت من دور كانت فيه صوتية تماما على ادوار متعاقبة. وان القرآن تناولها ولما تستقر بحيث كان سبباً قوياً فى تهيئة الاستقرار على اكمل الوجوه . وظلت غير خالصة من علائق الفوضى فى الموازين وصيغ الجموع وابواب الافعال . الخ

---

(١) وضعنا كتاباً بعنوان (دراسات على فنون العربية) النحو والصرف والاشتقاق والبيان والمعاني والبديع والعروض والقافيه والاملاء والخط افردنا بكل فرع منها قطعة واسعة من الكتاب بحثناه فيها تاريخاً ونقداً وتهذيباً على الوجه المطلوب . وانا اسقطت ما اسقطت مضطراً بين تخوف الناشر ودلال المشترك . والذى اضعه بين يديك من المقدمة هو اقل ما كنت احب ان اخرجها عليه .

وجاء القسم الثالث فتناولنا فيه القواعد على النحو الذى يجب ان تكون عليه .فكان فيه نقد لماتعارفنا من قواعد الاعلال حين فرضناه باعتبار آخر. وما اليه من اقرار الافعال على باب من الابواب.وستجد انا عانينا كثيراً فى التقدير والافتراض حتى انتهينا الى اصحه فى اسلوب النقد والتعليل.وسترى كيف نعيد مدار الحديث حول استنكار المحافظة فى كل فصل. فى كل بحث.لان المقدمة فى غايتها لاتعنى سوى هدم ما تعارفنا. ان فى تاريخ اللغة او فى القواعد. وهى ان تكن تكشف فى بيان وجه النقض عن قاعدة نفرض فيها الصحة على مقدارها فلم تكن معنية الا على القدر الذى يستقيم به النقض وينتهج اسلوبه . ولذا جاءت القواعد مختلطة اختلاطاً كبيراً لم نجتهد بتنقيتها والتفريع عليها . وكما سبق فرغت الى سبكها باسلوب قاعدى تعليمى فى كتاب (دراسات على فنون العربية) وانما قصدنا هذا القصد وتعمدناه نظراً الى ماتثيره المفاجئة.والفرع انمايفرغ اليه بعد تصحيح الاساس.

وبحسنا ما نخرج الآن من هذا المقدار. ليكون اعداداً للظرف المناسب والتربة الصالحة. وموجهاً للافكار لتعمل تحت أبحاث اخرى. اولاتحت ايحاء بطابع مخصوص. الذى يأخذ دائماً السبيل دون الوصول الى الحقيقة .

القسم الاول

« اللغة غاية لا وسيلة »

ان ما نفيض به فى هذه المقالة سيجد قلة تؤمن به وتسيغه . وانما كانت قلة لأن ما اشتهر من أن اللغة الفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. جعلها شيئاً دون الغرض تتناوله للكشف عنه ومشاركته . وهوملحظ حق وصحيح .حينما نتجه بنظرنا إلى اللغة فى دورها النشوئى . وأما هى بعده فمجموعة من الأفكار والتقاليد والعواطف والاحاسيس والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات. تنتظمها الألفاظ انتظاماً أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة .

فللألفاظ بعد هذا الدور. وجود معنوى على مقدارها لا تنزل دونه فى الاعتبار كما لا يقع دونها كذلك . ونحن وان كنا لا نختلف مع الجماعة .فى أن الذى أنزلها هذه المنزلة هو الوضع والاصطلاح .وهو أيضاً الذى أفرغ عليها ما أفرغ وحملها بما ترآى عليه . فاننا لا نوافق على اطلاق القول اطلاقاً يشمل اللغة حتى فى دور كمالها. فانها تكون على ملء الاهاب .وإذا تناولنا بها (وهى على ما هى) أية صورة ذهنية . كان لنا أحياناً من فضول الألفاظ زوائد لا تكون أبداً فى خيالنا حينما نريدها على تأدية ما كان اليه القصد . فهذه الزيادة التى يتأتى لنا أن نصفها بالطُفَيْلية. لا يسهل تعليلها إذا كانت اللغة وسيلة. فقط تكيفها المعانى المتجددة على مقاديرها . وانما نكون أقرب قصداً فى التعليل حينما نجمل للالفاظ فى وجودها الشاخص أو الشاهد قياماً معنوياً . وبعبارة أكثر اصطلاحية كوناً معنوياً. تحكيه أفكارنا حكاية نتوسل إلى الكشف عنها بالقياس على كون الألفاظ : وهذا رأى لا نفرد به بل سبق اليه (صاحب النهاية) أبو المعالى الموصلى المعروف بابن الخباز. حين حد الحقيقة بانها (لفظ يستعمل لشيء وضع الواضع مثله لمثله لاعينه لعينه) راجع الارتشاف لأبى حيان : فألفاظ اللغة عندى تتناول الأفكار كما تتناول المقاييس الابعاد. وللمقاييس حقيقه فى نفسها ووجود زائد على وجود الابعاد قطعاً .وفى النتيجة هى غاية دون الابعاد والامتدادات . وان كان بالنظر إلى ما يفيدنا منها تكون

غاية بملحظ من الوسيلة . وأكثر الغايات يكون لها هذا النصاب من الملحظ فهى غايات غير استقلالية . يفرض فيها التعاون مما يتأتي لنا تسميتها بالغاية (١) المطاوعة. والمقصود من هـذا المنتحى فى أسلوب الشرح. بيان ان دلالة الألفاظ على المعانى المتجددة لا المستقرة دلالة مقايسة فاذا أردنا أن نؤدى صورة مّا كمثل (شعر) (٢)

« فِتْنَةُ العَابِدِ فى مِحْرَابِهِ ورُؤى الشَّاعِرِ فِى لَوْحِ السَّماءْ »
« نَشْوَةُ القِيْثَارِ فِى أَوْتَارِهِ وَلُحُون الزُّهْرِ فِى زَهْرِ الفَضَاءْ »
« وَحَنِينُ الحِبِّ فِى تَطْرِيبِهِ وَرَجِيعُ الشَّوقِ مِن أَلفِ النَّشَاءْ »
« زُرْقَةُ الأَمْواجِ فِى إِزْبادِها وَخَرِيرُ الماءِ فِى أُذْنِ الضِّياءْ »

فانما نؤديها بضرب من المقايسة المحضة بين ما هو حاصل فى خيالنا و بين معانى الألفاظ المستقرة فألفاظ « فتنة العابد » و « نشوة القيثار » الخ مما وقع فى الأبيات تدل على معانيها المتجددة دلالة مقايسة . فكان لألفاظ اللغة أية لغة . التى تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد أحيانًا تفرغ على الصورة ما يزيد فى معناها بحيث لا يظن انها كانت كذلك على كمالها فى خيال الأديب أو العالم . وهذا طبعًا غير الجمال التعبيرى الذى نتأثر به من جهة ذوق البيان لأن ما نعنى به . نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الديباجة ورَوْنَقة الالفاظ ورَصاعة التعبير . وسنسوق لك مثلا من الشعر المقارن يظهر فيه ما نجهد باظهار الفرق بينه قال الشاعر

« ولمّا قضَينا من مِنًى كلّ حاجةٍ ومسَّح بالاركانِ مَنْ هو ماسحُ »
«وشُدَّت على حُدْب المهارى رحالُنا ولم يَنْظُرِ الغادى الذي هو رائحُ »
« أخذْنا باطرافِ الاحاديثِ بَيْننا وَسَالَتْ بأعْنَاقِ المَطِيِّ الاباطحُ »

هذه الابيات التى هى مثال قديم من اشراق الالفاظ وجمالها على بساطة المعنى . ويقول عمر ابن ابي ربيعة من قصيدة .

---

(١) ووجه الاصطلاح بالنظر إلى اصطلاح المطاوع في الصرف الذي هو بمعنى الفعل المنفعل فتخوف مثلا فاعل منفعل فالغاية المطاوعة معناها الغاية التى تنفعل فتكون وسيلة .

(٢) من قصيدة لنا رحلة الى الخلد.

« نَظَرْتُ اليْهَا بِالمُحَصَّبِ مِنْ مِنَى   وَلِي نَظَرٌ لَوْلاَ التَّحَرُّجُ عَارِمُ »

« طَلَبْنَ الصِّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصَبْنَهُ   نَزَعْنَ وَهُنَّ المُسلماتُ الظَّوالِمُ »

هذان البيتان اللذان انا مفتون بهما منتهي الفتنة عند عمر. وكم كان فاتناً في نفسه وادبه. وقد اتهم باني سأتكلم عليهما كلاماً مفتوناً على مقدار ما اَجِدُني منها وقد يكون صدقاً وحقاً مايقتضيني به هـذا الاتهام. ولكن يجعلني امضي فيه ان الاتهام سيكون له جهة مشتركة تلتقي عليه وجهة النظر وترتفع معه الخصومة. وهـذه ظاهرة الابداع.

لا اجد حاجة الى ان اقف عند الابيات الاولى التي ليس فيها اكثر من مشهد طريق جميل التصوير مُترَف البيان. لأفرُغ الى بيان بيتي عمر وأدلَّ على ما يَخلِبني منهما.

يقول في وضوح بالغ. انه ارسل اليها مِن عَلَ المحصب نظرة كانت شديدة ونافذة لولا تحرج الرقباء فقط. دون تَأَثُّمٍ المشهد القدسي طبعاً عند من كان يستغل اغراء القداسة لارواء العاطفة. ويجيب نداء الدين لانه استحال في وَقْدَة الهوى صدى الرغبة الثائرة. فهو يسمعه قبل أيِّ آخر. اذ يسمع فيه صوت هند والثريا والرباب وزُمْرة عشيقاته الكثيرات. فهو لا يتأثم ولكن يتحرج. واذا رهب فما يرى الله وانما يرى الناس ذوي القالة المُتطفِّلة. المُتطَلِّعة ونطيل بيان هذا القول لِنَدُلَّ عَرَضاً على ما في قوله « لولا التحرج » من فحولة زائدة على جمال موقعه الشِّعْرِي. ثم يسوق صوراً اخرى نطويها سِرَاعاً لنقف معه عند قوله في ختام القصيدة

« طَلَبْنَ الصِّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصَبْنَهُ   نَزَعْنَ وَهُنَّ المُسلمَاتُ الظَّوالِمُ »

الذي يريد فيه ان يصفهن بِنَزَاهة الهوى. وطُهر النُّزوع فقد طابن الصبا وأصَبْنَه ولكن لم يَتَهَاوَيْنَ. بل نزعن في شيء من العقوق او في كل العقوق. هذا معنـاه في البيتين وليس هو شاهدنا منهما. وانما في قوله « نظرٌ عَارِمُ » و « المُسلمَاتُ الظَّوَالِمُ » وهو مانسميه (بزائدة الالفاظ)

وبيان الاول . ان العرَم حينما نذهب مستعرضين لاستعمالاته الكثيرة نجد معناه الشدة المتدافعة . ووجه الوصف حينئذ فاتن غاية الفتنة جميل غاية الجمال . اى نظر يتهاوى نحوها على مثل مايكون التدافع الشديد . وفيه تصوير للنظر المُلتهم الجَشِع . ونحن على غير شك فى ان المعنى الذى كان في خيال شاعرنا ليس شيئاً وراء انه نظر شديد حَسْبُ .

وبيان الثانى. (المسلمات الظوالم) الذي وقع بعد المسلمات موقعاً غاية فى الملاحة وحسن القَصْد البيانى . وشاعرنا بدون ريب لايقصد اكثر من انهن ظلمن بنزوعهن وما بقى مما نُهَوِّلُ بجماله آت من موقعه بعد المسلمات موقعاً يقتضى انه صفته . وربما يوضح هـذا الذى نريد ان نصل اليه منه . قول (بشار) خريج مدرسة (عمر) وتلميذه الخصيص

« أُنُسٌ غَرَائِرُ مَاهَمَمْنَ بِرِيبَةٍ كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ »

« يُحْسَبْنَ مِنْ لِينِ الحَدِيثِ زَوَانِيًا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الخَنَا الإِسْلَامُ »

فبشار كعمر . يريد ان يقول بان الاسلام حِفَاظُهُنَّ دون الخنا . وسِيَاجُهُنَّ دون نبالة الاحساب . ولا اظن بان (عمر) يريد ان يظهرنا على شىء وراء ذلك واما الظوالم التى هى زيادته . فليست الا تذييلا اقتضته القافية . ضمنه شكوى مريرة نكاد نشعر بشديد طعمها . وما تبقى فمن (زائدة الالفاظ) والزائدة هنا على مانرى هى فى انهن نَزَعْن نزوعاً فيه عقوق شديد . فلم يقفن عند حدود مايقتضى الاسلام . بل تجاوزن بالصريمة الى مالا يَتَحَرَّجُه الاسلام ولايتأثمه . فهن مسلمات وظوالم لهذا ، او ان صَبْوَتَهُن كان ملؤها العفاف . فلم تكن على شاكلة يأباها الاسلام . فلما نزعن كن مسلمات ظوالماً بنزوعهن عن صبوة لايتحرجها الاسلام عليهن . وربما دل لهذا قوله من قصيدة .

« حَافِظَاتٍ عِنْدَ الهَوَى الاَ حْسَابَا »

وكأنه اوقع لفظ (مسلمات) كناية عن عفيفات فى ماضى الصبوة . وافاده لفظ مسلمات غير المقصود .

وهـذا موضوع على ما فيه من جلاء ملاء غموضاً . ولذا غبر وهو محل للاخذ والرد بين ادباء الجيل . وكان ان استقر في رُوْع الكثيرين . ماليس الى المنطق الحق . وراح من لم يتدرَّب على فُصَح العربية او العربية اصلا . يركب مركبا ذَ لَقاً ويغشي مثل الوَغْث والطَّبَع . اخذاً بقاعدة الانانية والشهوة (الغاية (١) تبرر الواسطة) اى على اى اعتبار . فلم يأبهوا بعد ذلك ان يؤدوا مايقصدونه على اى نهج . استقام اوالتوى مادام لايلتوى مع غايتهم التى من اجلها يعملون . وهي اذا جومِل بها العلماء والفنيون فما يجامل بها الادباء الذين هم اهل اختصاص فى الواقع . وفي الحق انى مُغرَض جداً ومُحْفَظ من لز منطق الغاية هذا . فى محيط الادب بل فى محيط البيان العربى عموماً . وجدير بي وحَرِىٌّ بكل عربي . ان ينطوى على حفيظة مغرضة من هذا النوع واسميها مغرضة لانى ابتغيها غير قابلة للتفاهم ابداً . اولا تسمح بأية مناقشة دون رعاية اساسها .

والمعجب فى نهضة مصر الادبية . انها تسير بخُطَى ثابتة فى جُدَد من العربية الصريحة . وعلى مقدار تعلقها بتجديد الفكرة تعلقها بسلامة اللغة وعربية التعبير . وواجب ان اسجل وان لم اكن فى مقام تأريخ . ان نهضة الاسلوب العربى تَدِين لمصر وحدها كما تدين النهضة اللغوية للبنان القديم .

ولهذا فقط قصدت ان اهدم . بتحقيق ان اللغة غاية كما يكون الحساب والهندسة وما اليهما من انواع الرياضى . مايفزَعُون اليه اذا راموا اللغة عَابِثِين . وقررت مالم يكن فى معرفة الكثيرين . من ان دلالة مفردات اللغة على المعاني المتجددة دلالة مقايسة وموازنة . والا لودلت بالنفس لكان لها (على نهج الفلسفة القديمة) . وجودات متعددة بتعدد الاشخاص اللَّاغِين . والتلازم خُلْفٌ فارتفعت الملازمة على وجه الاقتضاء . وبحسبنا من حديثه ما انتهينا اليه . لنفيض فى بيانه على ابيات من الشعر نَدُلُّ فيها على ما يجدر بالناقد البصير تمييزه . واعنى به تحقيق الفرق بين اشراق اللفظ

---

(١) راجع مقدمة كتاب (السفلس) للدكتور ابو جرة وكتاب الغربال للاستاذ نعيمة

وبين زائدة اللفظ و ينبني عليه في درس الادب والاديب كثيرٌ من التصحيح . قال قيس بن الملوح مجنون ليلى

« بِعَيْشِكَ هَلْ ضَمَمْتَ اِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ اَوْ قَبَّلْتَ فَاهَا »

« وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ فُرُوعُ لَيْلَى رَفِيفَ الأُقْحُوَانَةِ فِى مَدَاهَا »

يكاد يكون هذا القسم عاماً على لسان الشعراء والعرب جميعاً . وهو لايزيد فى اعتبارهم على (بربك) و (لعمرك) وامثالهما . ويقين انه لم يكن من معناه فى خيال المجنون اكثر من الحَلف والتأكيد على هـذا الذى حظي بالسعادة كلها مجموعة بين يديه دونه . فى غير مكابدة . ولاعلاقة لاغبة . وعلى خيال الحلف وحده اكد المجنون على مخاطبه . او بعبارة اقرب مزاحه فقال (بِعَيْشِكَ) ولكن اى معنى تَرَى . لو ابدل لفظاً مكان لفظ . واقام تعبيراً فى محل تعبير . لما كان يزيد عن انه قسم عادي جداً لا نشعر معه بشدة الزَفْرَة . التى فى مثل مايكون من الموقد اذ يصيبه الماء ثم يخمد فى غير ضجيج . ليعبر عن الاسى المُضمَت بثوبه الفَحْمِي الدَّاكِن . وهذا البيت جاءت به الرواية ايضاً على وجه آخر من التعبير فلم يكن من وقعه الاطنين القسم اجوفاً .

« بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ اَوْ قَبَّلْتَ فَاهَا »

ولكن كيف يشعر ذلك التعبير بما نُهَوِّلُ به . سأجيب بأنه من زائدة الالفاظ وذلك حين تمثل المجنون يرى العيش فى ظل التى يهوى سعادة دونها السعادات . وهو من نُشْدانها ظل يبكيها ابداً فى اُنْشُودَةِ الحُزْنِ المرة . بهذا النظر طالع القسم حين يستفهمه عن شكل من اشكال تلك السعادة . ولون ثري من الوانها مرسوماً بضمة السَحَر وقُبلة فى عين الصباح . بربك اما تشعربامي ينقطع فى انفاسه . و يذوب فى نبرَاته . مع القسَم اذ يرسله جامعاً بين الامانى العِذاب وتاوهات العذاب وهو أروع[1] قسم سمعته فى الشعر على تاريخ البيان

قالت نَزهُون الغرناطيِة

---

(١) راجع الكلام عليه مبسوطاً في بحث (القسم فى القرآن من مقدمة التفسير)

« لِلّٰهِ دَرُّ اللَّيالِي مَا أَحْيَسَنَهَا ... وَمَا أَحَيْسَنَ مِنهَا لَيلَةَ الأَحَدِ »
« لَوْ كُنْتَ حَاضِرَنَا فِيهَا وقَدْ غَفَلَتْ ... عَيْنُ الرَّقِيبِ فلم تَنظُرْ الى اَحَدَ »
« ابَصَرتَ شَمْسَ الضُّحَى فِى سَاعِدَىْ قَمَرٍ ... بَلْ رِيمَ خَازِمَة فى سَاعِدَىْ اَسَدِ »

لا اجتهد بان ادل على مواطن الجمال في هذه الابيات . التى ينزل البيت الاخير منها منزلة ابرع الشعر وامتنه واخلقه بكلمة الشعر . وانما اقتصر منها على محل الشاهد الذى هو (زائدة الالفاظ) واين تقع منها . وفى غير كبير تَعَمُّلٍ . تعثر عليها فى (فلم تَنْظُرُ الى احد) وفي (بل ريم خازمة) ولكن كيف يكون لهذين التعبيرين ماذكر من ابداء الصورة على شكل ماتظهربه من سَرَى وثَرَاء . فهذا ما نتناوله ونجتهد فى تمثيله على وجه قريب من الاصل . ولكن طبعاً لاتكون له تلك العذوبة التى لاصله

تقول فى البيت الثانى كلاماً عادياً حتى تنتهي الى (فلم تنظر الى احد) فتنشر بكل اِفْتنان صورة من غفلة الرقيب . التى لم تكن عادية ولم تكن غفلة مختلسة كما هو شأنها . بل كانت غفلة على معنى الاباحة . حتى كأنّ الرقيب جعلهامنحة للفناء فى الحب والاغراق فى النشوة . فكنت تشهد مناظر من النجوى المطمئنة التى لاترتقب مفاجئة من الارجاء . ولا تخشي عيناً يسترها الهواء . فهي نجوى مُتَبَسّطَة تزيد تبسطاً فى مر النسيم فلاترهب من حفيفة حساً . ولا تحذر من غنائه صوتاً . وانت لاتسمع فى خلالها الا قُبلَةً لاتنتهي الى موضع اللام [1] منها.وهذا منظر لسنا نحن نرسمه على انفراد بل بريشة (نزهون) وحدها . واسمع كيف تقول لم تنظر الى احد . فقد كان هناك آحاد . وعين الرقيب لم تنظر اليهم . فهو اذن مشهد ممتد . يحوى مناظر عديدة من هنا وهنا تَنْتَشِى الحب من رَاوُوقه الصافى وتهيم فى رِوَاقِه المشرق الهانى . وانا على غير ريب في ان (نزهون) لم تقصد تصوير كل هذا . حين ارسلت (فلم تنظر الى احد) وان مانعتقد انها تصورته لايزيد عن ان عين الرقيب غفلت فى مشهد ماتريد ان تطلع عليه . مرسوماً في البيت الثانى على لوحتين . تزدادان براعة مع

---

(١) كناية اجريناها مجرى الصناعة عن استدامة القبلة وطولها لانه بنطق اللام تنفرج الشفتان وتنهي القبلة

دوام النظر . تبدو اللوحة الاولى منهما دقيقة ومشرقة على مقدار ما لوحدث فى الطبيعة . وكانت الشمس فى ساعدى القمر حقيقة . وتتجاوزها الى اللوحة الثانية التى فيها مانعنيه بالزائدة . بيد أن الصورة نفسها لاتعبر عن شيء وراء ماتعبر عنه الصورة الاولى فلا نشرحها . وانما نقف عند اللفظ الذى اثارفى نظرنا زائدة حقيقية وهو (بل)

وهي اى نزهون لو قالت بعبارة (او) لما كان لها ذلك الوجه الذى نحكي عنه . وانظر كيف تثيره (بل) هذه وتحملنا حملا على التنبه اليه . فهى تقول ما كنت تبصر جميلة في ساعدى جميل فقط بل فتنة مَشْبُوبَة . تؤلف من اختلاف الطبائع طبيعة تجد معناها وحقيقتها فيما كان يمتاز عنها بالمعنى والحقيقة . وتجعل من القَسْوَرَة الشرس حملا وديعاً . ينطوى بتحامُل وحُنُوٍّ نَشْوانًا بالمعني الذى هو وراء وُجُودَيْهما فيَشُدُّهُ في خَدَرٍ صليب . وسُبَاتٍ هانىء لذيذ . وفي اللوحتين تعرض مثلا من الجمال فى الحب . ومثلامن الفتنة في الحب . ومثلا من الجمال العاشق . ومثلا من الفتنة المحبة .

حقيقة ان معني الصورة الثانية فى صميم الالفاظ ولكن (بل) وحدها هي التى تثيره وتُنَبِّهُ اليه . ولولاها لكانت غفلة الخاطر عن المعنى حقيقيَّةً . (ونزهون) من بعدُ لم تقصد الا تنويع الصور كما يظهر

قال حافظ[1] بك ابراهيم على ما أنشدنيه بعض خُلَطَائه لما زارلبنان .

« ياغُلَامُ . المُدَامَ والطَّاس وَالكَاس وَهَيِّىءْ لَنَا «شَرَابًا» كَأَمْسِ »
« وَاسْقِنَا ياغُلَامُ حَتَّى تَرَانَا لانُطِيقُ الكَلَامَ إلاَّ بِهَمْسِ »
« خَمْرَةً قِيلَ إنَّهُمْ عَصَرُوهَا مِنْ خُدُودِ الملَاحِ فِى يَوْمِ عُرْسِ »

وروايتها في الديوان (وهيء لنا مكانًا كامس) ونحن سنمضي بالكلام عليها على النسق الذى بلغنا منها . فانه التعبير الذى يستوقفنا اى (شرابًا كأمس) على تقدير ان متعلق الجار والمجرور · صفة الشراب لا (هيء) والا فهو يعدل رواية (مكانًا

(١) الشاعر الفذ الذى لم يحسن المصريون شرحه وقدموه فهدموا من نهضة بيانهم علما خالداً

كاس) ويبدو البيت بعـد ذلك عاديا صرفاً وحديثاً منظوماً . ووجه الجمال فيه والزائدة انه وضع الامس هنا كناية عن الذكرى . اى شراباً يفعل بنا نشوة كما تفعل الذكرى . واذا صحت هذه الرواية لحافظ . فيكون قد وقع على معنى مرقص غير مسبوق به . ولما ان حديث الادب ذو شجون وقد جاءت مناسبته . فما احيلى (قيل) عنده . واظن بانها لم تحسن فى شعر باكثر مما حسنت هنا . وما ابرعه تظرُّفاً لو قال (قَطَرُوها) فى محل (عَصَرُوها) ولا اقول هذا لما استدرك به بعضهم [١] من ان عصر تقـال في الاستعمال العامي على الدمامل . فانا لو اردنا ان نحكمه اى الاستعمال العامي . لاتى على اكثر الادب واستقبح اعلق الالفاظ بالملاحة . واَدَلُّها ظَرَفاً كمُعَرَّس وعِلْق . وما اليهما . مما لو اعتبرناه لاسقطنا ثُروة من اللغة . وكفي الشاعر انه ينظم بالعربية الخالصة او عربية البيان الرفيع على انها لفظة عَرِيقة في الادب العربي بهذا الاستعمال والمعني . وفى هذا الموضع بعينه . وارفع الالفـاظ نسباً بهذا الاعتبار . فقد وقعت فى القرآن (اِنى اَرَانِى اَعْصِرُ خَمْراً) ووقعت عند ديك الجن قال .

« وَقَهْوَة كَوْكَبُهَا يَزْهَرُ يَنْفَحُ مِنْهَا الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ »
« وَرْدِيَّةٌ يَحُدَّهَا شَادِنٌ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ تُعْصَرُ »

ووقعت كذلك عند كثرة من الادباء . لم يعد يحضرني منها الا ماذكرت . على انه في غايته استدراك بارد بارد كما يقولون . وما مثله فى الواقع الا كمن يأخذ على متكلم بالانجليزية مرادف كلمة هواء . لانها فى العربية تقال على مايقبح ذكره . اوكمن يدخل متحرشاً بين محبين يطلب المُدَلَّهُ منهما قُبْلَة تَنْدى عليه حبه فيزجره لانها تقال فى العربية ايضاً على الصِنْو الآخر . وانما ملحظنا ان عصر فى موضعها الشعري قَلِقة من حيث ان الخمرة التى يريدها كالذكرى لايتسق معها (عصر) . هذا اذا صحت الرواية التى بنينا الكلام عليها . والا فهي سائغة كما تكون العُقَار فى حلق شاربها .

---

(١) هو المرحوم مصطفى صادق الرافعي الاديب الواحد في نهج من الادب امتاز به واما في النقد فانه يبدو كما هو اديباً فقط . فيه صورة من الادب وليس فيه صورة من النقد

قال الصافي[١] من قصيدة

« واسكُنُ كُوخًا مَا بِهِ أيُ زُخْرُفَ   ولَكِنَّهُ كُوخٌ أقَامَتهُ لِي يَدِي »

هو بيت يُرَى على اشد مايكون الوضوح . حتي كاد يكون حديثًا عاديًا ولكن رغم ما يبدوعليه من بساطة سابغة . اشعر بانهُ مُلتَقي نزوات شتى وفلسفات وجدانية عميقة . وهو بين القناعة والكبرياء . والزهد والإدلال . يحقر العظمات التى تُقيمها اياد اخرى . ويسخر من القِنفخرِيَّات[٢] الذليلة التى تَصطَنِعُهَا جهات . تستعبدها استعباداً يعدو على كل حرية . ويرى العظمة غير المزيفة والقِنفخرِيَّة الحقيقية فيما تهبه اليد لصاحبها .

وكذلك يَطَّلِعُ على كل الناس من كوخه مُدِلاً تياهًا وهو بعدُ كوخ حقير . وانا لم اسمع اشد نكاية . ولا اكثر سخرية . ولا ابلغ تهكماً . ولا أمَرَّ تعريضاً . من قوله (اقامته لى يدى) وهـذا كله ليس محل الشاهد وانما اردت التعريف (ببيت) يمر به اكثر الناس . ولا يشعرون بالجانب الروحى فيه . والزائدة في البيت (ولكن) هذا الاستدراك الموطأ له بكلمة (زُخْرُف) . ومن ثم استمع لإذُن بلاغية شاعرة . تدرك مقدار ما تثير من معنى عميق تنزل عنه الالفاظ . ويبقي حيث هو فى تسام مدهش .

قلت من قصيدة[٣]

« مَنْ رَأى الرَّوْضَ يُغَنِي السَّحَرَا   مَنْ رَأى الظَّبيَ يُنَاجِي الجُؤْذَرَا »

« مَنْ رَأى الفِتنَةَ   فِي رَاوُوقِها   سُكِبَتْ فِي الرَّوْضِ حَتَّى نَوَّرَا »

« مَنْ رَأى الطَّيْرَ يُعاطِي إلفَهُ   رَشفَاتِ الحُبِّ فِي جوفِ الكَرَى »

---

(١) احمد الصافي النجفى ، شاعر عصرى ثائر حتى فى صموته . وشعره لايشف عنه كثيراً . ولو استطاع ان يفرغ كل نفسه فى شعره . لجاء به شعراً فوق الشعر . وشعره على وجه العموم صامت واعني بالشعر الصامت . الذى ينزل عن مستوى المعني ، ولايتناوله الا على غموض

(٢) من وضعنا الجديد بمعني (الارستقراطية) و (قِنفَخرِى) فى محل الارستقراطى من قول العرب (قِنفَخر) للمفتخر بنسبه التاريخى

(٣) هذه ابيات من قصيدة قلتها فى خطبة اخي الشقيق

« مَنْ رَأى الْبُلْبُلَ يَشْجُو صادِحًا مِثْلَما يَشْجُو مُحِبٌّ هُجِرا »
« مَنْ رَأى الْجَدْوَلَ مَضْنِيًّا عَلى ذِكْرَيَاتٍ أَسْكَرَتْهُ فَجَرى »
« مَنْ رَأى الغَابَ يَصِيخُ خَاشِعًا لأَلِيفَيْنِ اسْتَمَاحَا الْقَدَرَا »
« مَنْ رَأى الخَوْدَ احْتَوَاهَا مِرْجَزٌ (١) لَعِبَ الرِّيحُ بِهِ فَاسْتَكْرَا »
« مَنْ رَأى الْخَودَ تَعَاطَيْنَ مَعًا بِوِهَازٍ (٢) يَسْبِى كُلَّ الْوَرَى »
« مَنْ رَأى هَـذَا فَإِنِّي مِثْلُهُ لَعِبَ الْمَيْدُ بِهِ فَازْدَخَرَا »

تأمل فى ذوق النقد (استماحا القدرا) تجد تحته سريًا من المعنى . هومن هِبَات الالفاظ وحدها . التى لم يكن من عوالقها في الخيال الا معنى غامضًا اشد الغموض . او كان فى سَمَاوة من الذهن تائهة . إِرْتَسَم فى نَسْج الالفاظ خَلْقًا سَوِيًّا . وهـذا شىء لا احكيه عن الغير فاتهم به . ولا اقدره تقديراً مرسلا فارمى بالتخطئة . وانما هو شعور النفس بالنفس .

« العربية واللغات »

يوهم هذا العنوان شيئًا لا أقصده الآن بالحديث . وأيضًا لا أفرغ اليه فيه . فلست أريد أن انتشر بمقارنة دقيقة على العربية واللغات . ولا غير دقيقة . ولست مَعنياً كذلك بأن أُمثّل من طبيعة اللغات وطبيعة العربيـة . ما نخرج بعده بموازنة تحكى عن المميزات الحيوية لكلا الطبيعتين .

وانما أريد أن أتناول بالتحليل التربَوِى والبسيكولوجى عناصر الشكوى التى لا يفتأ يطالع بها كتاب العهـد الجديد . ومن ورائهم الناشئة على اختلافهم بالدار والبيئة والنشأة .

هذا الشكوى التى يخطىء أكثر الدراسين بتمثيل أسبابها على الوجه الصحيح .

---

(١) من وضعنا الجديد للاتوموبيل الذى لا يسع الا اثنين اولموتوسيكل السل « السبت »
(٢) من وضعنا الجديد للرقص التوقيعي

فهم يَعزُونها أحياناً إلى ما فى طبيعة العربية من صعوبة تنزل منزلة الشخصية . وأحياناً إلى خَطَل الأسلوب التعليمى . وأحياناً وأحياناً إلى أشياء أخرى يجهدون فى التماسها ظناً منهم انهم يُسَدّدون أو يقاربون . وما هم منه الا على مقداره مما ابتدؤا بشرحه وتعليله .

وذلك لأنهم يطلبون أسباب الشكوى فى العربية طبيعتَها وبَيَانها وموسُوع استعمالها وما بَرَحُوا الا عـكُوفاً على هذا النظر . فلن تكون لهم الا هذه النتيجة بكل ما عليها من تهافت ومجانبة وضعف . وان أسبابها الحقيقية تقع بعيداً عن العربية فى مُلاَبَسَات حياة العربى .

ومن ثم كان ضروريًا علينا أن نأخذ ببيان الأسباب الحقيقية عند نظرنا . لأنه يترتب على جلائها تصحيح الأسلوب التعليمى وتقويم المنهج التربوى وتخفيف النَصَب الذى يقع دائماً دون ثمرته .

والأسباب التى نسميها حقيقية . ونراها كذلك (لا تجاوز الواقع ولا تقع بعيدة عنه على اعتباراتها واشباهها من النظار) . أدت إلى صبغ النفس العربية بصبغةٍ من النُزُوع . شديدة الأثر رمت العربية بما أثار الشكوى . ويتأتّى لنا حصرها فى وجوه .

(١) عـدم الثمرة العملية التي يصادفها متخصص العربية . فان شدة الاتصال الاوربى بحياتنا من أقطارها . فرض علينا لوناً لا أظن اننا نتحلل منه بسرعة . وصبغ محيطنا بصبغة لا يمكن أن نعيش بدونها فى سهولة . ولقد أصبح العربى فى وسـطه ومحيطه بل فى ذوى قرابته يشعر بأنه غريب عن عصره بعيد عنه غاية البعد . فأساس المعاملات حتى الضرورى منها يقوم بالأجنبية بله التبابع وما اليه . وقصارى القول قد أصبحت اللغات الاجنبية (أى الأوروبية الرئيسية طبعاً) تنزل من الحيـاة العامة منزلة اللسان من الانسان .

(٢) عدم الرُكُون الثقافى . لان الانتاج الفكرى اجنبي من كل نواحيه وسبيلنا فى التَعَرُّف اليه اللغة حسبُ . فاتقان اي فرع من فروع العلم . وتحقيق اي بحث من الابحاث انما نستطيعه اذا ضربنا بسهم وافر من لغات الغرب . فليس لنا افـكار

يرغب الغرب فى ان يَتَعَرَّف اليهـا . بينما نحن في حاجة الى ان نتعرف بـكل افكار الغرب .

فبدت لذلك العربية اثرية بكل المعني . وهزيلة في نواح عديدة . مالم تَستَوفِها فلن تكون عصرية تكفل مطالب الحى .

ومن هنا يمكننا ان نمثل مقدار تقصير حكومات الشرق العربى فى عدم انشاء مؤسسات خاصة شتى اللجان على فروع الاختصاص . تهتم بترجمة كل كتاب وكل فكرة . ونشرها على نَسَق كُتب دَوْرِية تصدر بالتتابع (serial) . العمل الذي به ينشط الفكر العربى للثقافة وتَفَهُّمها ومناقشتها والمساهمة فى اعدادها .

واما الاعتماد على العمل الشخصي الذي يقوم به فى فترات طائفة من الادباء والعلماء . فلا يكفي ابداً لاعْدَاد العقل العربى على الوجه الاكمل ولا على اى وجه . فان كثرة من العبقريات المخزونة فى محيطنا العربى لم يسعفها الحظ بدرس اللغات . فلا يتسنى لها الانتاج الصحيح . وانما تقضي كذلك وافكارها الثرية الغنية لاتزال في غلافها .

واقرب مثل اسوقه الشاعر العبقرى المرحوم (صادق الزهاوى) فان شاعراً كما هو في لغته . وفيلسوفاً كما هو فى ذهنه . يضرب في كل وجه . ويفكر احياناً على نهج علمي . وينتج ثروة بالغة عظماً . وفيها افكار لاتنكر قيمتها . يشاء ان يناقش نيوتن . ويفهم داروين وهيكل وسبنسر وهكسلى وستيوارت ومارکس وبرجسون . ومن اليهم من الكثرة التى لا تحصى وهو لايتصل بهم الا عن طريق (المقتطف . والهلال) ونتف من الكتب المترجمة ويتجاوز هذا وهو غير جامع للنصيب الكافي من الثقافة الى مناقشة الشرائع الدينية والتقليدية . والنحل الاجتماعية من حيث ملاءمتها لمقَدَّرَات العصر . ومقادير الاستعداد الشخصي للاجتماع .

وبهذه المناسبة اتمكن من التصريح بان هيمنة السوريين وبالاخص اللبنانيون منهم ردحاً غيرقصير من الزمن على التفكير المصرى . انماكان بالترجمة وحدها . ومن ثم قيل عنهم . بانهم باعثوا اليقظة الفكرية الشاملة بما القوا من لِقَاح في محيط العرب الراكد .

وربما كان شاهداً حقيقياً (الدكتور شبلى شميل) . بما ترجم من افكار جريئة فى ذلك الحين . وبما تظاهر به من استفزازات أغرَت بالتطلع وحملت على التساؤل الذى هو طريق المعرفة (كما يقول ارسطو)

وبالجملة فان من التخاف الذى يؤخذ على العرب ان كتاباً ككتاب (داروين) وهو بحق منقطع النظير فى منهج تناول النظريات واسلوب تقريرها . وبسطها ومنطق مناقشتها . لا يعرف فى محيطهم حتى يقوم بهذا الواجب لسنوات خلت استاذ [1] يدفعه اليه الشغف الموضوعى . واعنى بهذا ان الفكرة لو لم تكن تعنيه او لو لم يكن من انصارها لما وقف عنده وعنَّى نفسه باخراجه .

وايضاً كتاب (ماركس) لا يجد من يتصدى لنقله وقد اصبحت الاشتراكية من دوافع العصر ومعنوياته . وهو في واقع النظر من اجل ماعرف حتى اليوم . فى تعليل حوادث التاريخ بعلل اقتصادية بحتة . والنقل لايعنى ملائمة الفكرة للحق .

والذى يضعف من وجه آخر . الركون على المثقفة فى ان يقوموا بهذا الواجب وحدهم دون معونة الحكومات الشغف المتملّكهمْ بان يظهروا بمظهر المؤلفين قبل كل شىء . ومن هنا اصبحنا لا نعرف بفكرة الا ملتوية ممسوخة او مشوهة غاية التشويه لان الكاتب او المؤلف حمل نفسه على ان يتجاوز النقل الى كثير من التصرف . والاحتجاج بفداحة النفقات احتجاج يقصد به التنصل فقط . فان كثرة [2] من الاعتمادات الاضافية فى غير داعية اليها ابداً .

---

(١) هو الاستاذ اسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور وعضو مجمع الثقافة المصرى ويمتاز بدقة الترجمة وانزال المصطلح منزلته من الاعتبار .

(٢) منها الميزانية المخصصة لطبع الكتب القديمة في الدار الملكية هنا بمصر . اذ حركة المطابع الحره النشيطة اليوم تغني عنها وتكفي امرها واذا كان القصد نشر النفائس الخطية ذات الخطر . فان هذا (عدا عن انه يأتي دون غايته اذ لا يقوم الا بتعريف الندر منها) يمكن الاحتياط له بأخذ صور فتوغرافية عديدة عن عموم الكتب الخطية الموجودة في الدار واباحة استعارتها كالكتب المطبوعة بحيث يتسني للجميع الاستفادة منها وبهذا نحفظ شيئين (قيمتها العلمية) بالاستفادة منها الغير الحاصلة اليوم لانه لا يسمح بها الا بمعاملات مخصوصة على وجه مخصوص . وايضا لاشخاص مخصوصين . فهذا الخصوص في الخصوص يجعلها على مثل الفصوص تسمع ولا ترى او ترى ولاتمس . و (قيمتها الاثرية) بالابقاء على النسخ الخطية بدون كبير مساس يعجل اليها التلف

وإذا استطعنا أن نحقق مؤسسة من هذا النوع . ضمنا النهوض بالمستوى الثقافى العام . والنهوض بالمستوى التعبيرى . الاصطلاحى والبيانى للغة . وبحسبنا الآن هذا المقدار من التعريف بالفكرة . ونشرها لنتناولها فى مناسبة أخرى . تكون موضوعها فان الاستطراد قد فصم عروة ما أنا آخذ بالكلام عليه .

وخلاصة هذا السبب الثانى . أن عدم الركون إلى تحقيق أية فكرة وفهمها إلا عن طريق الأجنبية . وفقر العربية من هذه الناحية . نفى السأم عن دراسة الاجنبية فبدت على ماهى من سهولة تقابلها صعوبة مريرة في العربية التى لاتدرس إلا بانصراف وازورار .

(٣) كون اللغات الأجنبية بالنظر العام عُنْوان الحضارة فى الحياة والشخص وعُلْوان الترف العلمي والعقلى والاجتماعي من كل الوجوه . ومن ثم أصبح الناشىء إذا ذهب يعبر عن ارائه يعترض بينها بكلمات أجنبية . ليس فيها شىء من الاصطلاح فيعذر له . وأحياناً يكون مرادفها مما يجاوز الحصر فى العربية المشهورة . بحيث لايعزى إلى شىء سوى أنه يقدم البرهان على امتيازه .

(٤) تعلق المرأة (التى هى ذات فطرة شديدة الولوع) باللغات الأجنبية حتى غدت ولا يلين لها لسان إلا بها . ولا يحقر أثر المرأة فى موائل الاجتماع والحياة العامة . فان المرأة من الحياة بمنزلة العنوان من الكتاب . الذى يبدو فى كل سطر من سطور الكتاب . أيان قلبت من صفحاته . والواقع كذلك نجد المرأة وحدها . كيفما التفتنا إلى الحياة .

ولقد أذكرتنى هذه المناسبة . قصة تحدث بها إستاذ (١) من اقدر اساتذة العربية فى لبنان . كان مغزاها أن المرأة دائماً عدد صحيح . والرجل بجانبه (صفر) فليعرف الرجل كيف يقف منها . فهو لاشىء إذا لم تكن . وقد يكون كل شىء إذا كانت . ولكن المرأة هى المرأة فى كل دور . وكذلك هى (الدِرَاز) (٢) الشاخص فى حياة الناس .

---

(١) هو الاستاذ جورج المقدسي مدرس اللغة العربية فى جامعة الاميركان ببيروت

(٢) من وضعنا الجديد بمعني (model) واشتقاقها من مادة (درز) التى من معانيها (النسق العالى من الملبوس)

واذكر من ويل أثر هذا التعلق . أن سيدتين عربيتين رأيتهما فى (ذهبية) [1] على النيل . وصادف أن نادت احداهما (البربرى) بلهجة كلها قحة (an arab) فانطلقت وأنا اشهد وأبصر كيف تذوب حصاة الأمة فى بوتقة التقليد إلى حد انكار الشخصية

وانما نجعل المرأة وحدها سبباً نفسياً فى هذا التَّحَرُّج . لأنهـا سريعة الانطباع سريعة التحلل . فهي لا تأسف على ماتركت في نشوة ماتأخذ به . وهذا سبيلها فى الحياة الدائمة فهي سريعة التأثر إلى حد التجاهل . ثم سريعة التقليد إلى حد الانكار . وهي مع ذلك (الطابع) [2] للمجتمع من أطرافه تغير كل شيء على هواها بين الفتنة والدَّالَّة.

هذه هى الأسباب التى أراها حقيقية فى الشكوى المذكورة . والتصعب فى غير هُوْن ، ومَعْنايَ بهذه الأسباب . ان مَثَار الشكوى نفسى صرف أى ذاتى يبعد أشد البعد عن أن يكون موضوعياً بالمعنى المجرد .

فهذه الأسباب انكرت العربية فانكرها الناشىء بتحيل . وكيف يرجى أن تهون عنده . وهى مكروهة غير محببة . يدرسها بازورار فيشعر بما يشعر فيها من التوأ آت . والا فالعربية شهد الله أسهل من كل اللغات . إنْ فى قانون نحوها أو صرفها أو املائها او اشتقاقها أو خطها . بل أكثر من جميعها آلية إذا صح هذا التعبير . على ما فيها من فوضى اجتهدنا بفهمها ومداواتها فى بحوث المقدمة المقصودة .

ولا بأس من أن نأخذ بمقارنة تجلى تشمل النواحى البارزة على صورة موضوعية صرفة نستبين منها مقدار ما يُجازَف فى زعم ما يُزْعَم .

الخط العربى

هو أى الخط العربى أشغل الرؤوس فى أقدم ما كان . وما فَتِئَ شُغْلَة على جانب عظيم من صعوبة الحل . وكذلك لا يزال يُراخِى بالرؤوس بين الأكف لتتناهى فى تفكير عميق .

وعلى صعوبة ما صادف الأولين من عنائه . فأن ما يصادفنا نحن منه يزيد على

---

(١) كلمة في العامية المصرية بمعنى حراقة

(٢) من اوضاعنا الجديدة بمعنى الاكليشيه

أعضلها أو عليها كافتها . وربما كانت هـذه آخر معاضله . وإذا استقامت فيه فليس أجمل منه . وما أخصره قلماً .

وتلك هي مشكلة الخط المُعْرَب. أى الدال بنفسه على الحركات . وسميناه مُعرَباً بصيغه اسم الفاعل أو المفعول بملاحظة الاعراب بمعنى البيان . وهو مطلب خطير الشأن غَنِيُّ الجانب . ضرورى أن يشترك اللغويون والفنيون من كتبة الخطوط بالسعى الحَثِيث اليه حتى يسقطوا منه على ما يكفى حاجة العربية

والحق ان متن اللغة فى أحوج ما يكون اليه حاجة . فكل ما يرمى به من صعوبة آتية من سذاجة الخط . فاذا كفيت العربية أمره . لم يعد مفر من ضبط كل كلمة على ما هو فى الأجنبية . وتلقينها كذلك وتداولها على وجهها من الصحة . بله تربية النشء على أقوم اللهجات وأصحها . بحيث يمكن أن نضمن بمرور ربع قرن على شيوع هذه الحروف أن تصبح اللهجةُ القويمةُ الفصحى . هى اللجةَ المشتركةَ العامةَ

وفى هذا شىء كبير من تشذيب العامية ورفع مستواها . وتقريب ما بين مختلفها كالمصرية والسورية والعراقيـة والحجازية واليمنية والمغربية . وما اليها مما يَكْبُرُ على الاحصاء .

وبالأخص حين يصبح التعليم اجبارياً فى عموم المحيط العربى وهو آخذ فى تحقيق هذه الصفة له . على أنه وإن لم تكن له اية صبغة رسمية . فالنهضة التى شملت الناس عامة . والصحافة التي شغفت الجميع . وانبهت كل امرىء إلى تقدير المسؤولية ولو من بعض وجوهها . ستحققان هـذه الغاية من وراء الخط المذكور على شكله . وسيجمعان الأقطار العربية على ثقافة لسـانية لم يكن العصر العباسى الذهبى على شاكلة منها .

ولا تعجب إذا سمعت أن الأجنبية فيها كثير من هذا الاختلاف وهذا الضبط والضبط وحده شغل جزءاً كبيراً من المعاجم . وربما كان على وجه أصعب من العربية ولـكن انما سهلت على الأجنبية واستعصت فى العربية . لما أنها تلقن كذلك وتقرأ كذلك . ويتخاطب بها كذلك . ومن ثم لم يعد لها مناسبة تجاوز فيها فصيح نطقها فيلتوى الذهن على الخطأ . وتنطبع كذلك على الهوى .

واليك المثل عليه من الانجليزية ففيها .

(pear) بمعنى الاجاص . وتضبط هكذا (par)

(pear) بمعنى أميراوند . وتضبط هكذا (par) واليك مثل منها على وجه آخر

(patrol) وضبطها (patrôl)

(patron) وضبطها (patrun وهذا كثير يفوت الحصر . ولذلك كان واجب المعجم عندهم . كما هو الحال عندنا يقضى بضبط كل كلمة حتى يكون المرء على بينة من فصيح نطقها .

ومنه نتبين أن ليس الخط المعرب . هو كل السبب لشيوع الفصيح فى الأجنبية . بل وراءه أيضاً أسباب أخري . نثرنا ذكرها بين هنا وهناك من موضوع الاملاء وغيره .

وأهم الأسباب فيما تبدو عليه العربية . مزاحمة العامية . فللحديث اليومى وجه . وللحديث العلمي وجه آخر . وأيضاً التلقين الخاطيء الذى يضعف من شأنه الخط المعرب .

وفى غير بسط وتمطيط من جوانب الموضوع وحواشيه . نذكر اقتراحنا هذا الذى نرى فيه أنه علاج لايبعد صلاحه . وإذا لم يكن مما يحقق كل المراد فلا ريب فى أنه يمهد السبيل الفنى فى أقل التقدير .

ونحن نقترح مانقترح من أمره مع المحافظة الشديدة على الشكل الهندسى والارتفاع به حتى يكون دونه مجال الاقتراح . فان ما وراء هذا الرسم لانشاوه بحال . وترى أنى لا أتكلف لهذا الاقتراح (عَرَقَ القِرْبة) واعتصر الذهن على أشكال مناسبة . وانما غاية ما كان من أمرى ان اخذت بالاقتصاد فى زمن يكثر الاسراف فيه . فان المجموعة الخطية المختلفة الاوضاع عندنا تشكل ثروة تجوز العد . وهى تتقارب فى أشكالها وهندسة الحروف تقاربا لا يبلغ حد الاشتباه بل تختلف بما تمتاز به . وهذه الثروة عوضاً عن أن تبقى لتفاريف الخط على مثل التطاريف . نضعها موضع الفائدة . ونأخذ بها مأخذ الاستثمارية . ونحكم منها خطاً قد يأتى موزوناً جداً . وستجد له أشكالا نعرضها هنا حتى لايعزّ الشاهد .

ومن رأينا أن يؤلف (الخط الجديد) من النسخ . والرقعى . والفارسى والديوانى والثلث .

فالثلث – للحروف المضمومة . أولا ووسطاً وآخراً .
والنسخ – للحروف المفتوحة . كذلك .
والرقعى – للحروف الساكنة كذلك .
ومن الفارسى والديوانى – للحروف المكسورة كذلك .

وهذا وإن كان يعسر التمييز بينه للتقارب فى أول الأمر . فانه يُعَبَّد على المران والتعهد . وفى اليونانية حروف على هذا النسق متقاربة . ولكن لاتبعث على الاشتباه للمزاولة المتعاهدة من أول الأمر بالتعليم . حتى يُنْتَظَم بها حاسة دقيقة جداً . كما هو الحال فى كل الأشياء . وكذلك نجد فى السريانية تقارباً بين بعض الحروف . وفى العبرية أيضاً . ومع ذلك يشعر قبيل كل لغة بسهولتها .

وكذلك نجدها سائغة إذا أردنا أن لانتصعب عليها . ونَعْتَلَّهَا متأففين . وقد يؤخذ بأنها تُكَبِّدُ الطالب إتقان فروع من الخط كثيرة . ولكن يجب أن لاينسى أنها تكفيه أيضاً مؤونة اللغة ضبطاً وتصحيحاً وأيضاً مؤونة النحو . على أن هناك فرقاً بين المران على تمييزها وبين احسان رسمها . وإنما يكلف الطالب بالتمييز دون الآخر الذى هو من هَمِّ الخطاط وحده . وإذا صرفنا النظر وجدنا فى الأجنبية تعداداً للخطوط . يكلف الطالب بجزء كبير منها . فهو مضطر ليساير الشائع أن يكتب (Capital-letter) أول الأعلام وابتدأت الأسطر وهكذا .

ومن ثم تصبح العناية بالنحو واللغه فى التعليم الاولى قليلة من حيث ما يلزم للمطالعة منها . وقد يُعتلُّ بأن هذا الخلط فى الخط . ربما أضاع جمال الهندسة العربية . وهذا قد يكون صحيحاً . بيد أن الخطاطين إذا تناولوه بالتهذيب . أخرجوا منه قلماً جميلا بدون ما شك . ولايبعد المثل عليه فهذا (الخط الأيوبى)(١) الذى اخترع بين الثلث والنسخ . ما زالت أيدى الخطاطين تراوحه حتى بدا أجمل منهما معاً . ويكفى أنه اتخذ قلم دولة . ومظهر حكومة

ولا نجد داعياً إلى وضع حرف مشدد بل نلتزم الاحتفاظ بالشدة . ووضعها فوق

---

(١) راجع كتاب قانون الرسائل للصيرفى ص (٨)

الحرف الذى بشكله يدل على حركة الشدة . وأما (ال) الشمسية فنرى رسمها فى الساكن (الرقعى) وإذا وقعت بعد ساكن . تحرك بالكسر أو بالفتح . وانما اخترنا أن تكون هى دليل الحركة فى الحرف . لئلا يظن أن الحركة أصل في الساكن قبلها . وليكون دليلا على عروضه لالتقاء الساكنين . وأما همزة الوصل فترسم فى الساكن (الرقعى) وأما التنوين فى الحرف فاشارته (،) مثل (لٍ) .

على أن ملاحظة الآخر على سنة هذه الحروف . صعبة لعلة الاعراب فى العربية الذى يتغير كثيراً . مما يصح معه أن نصطلح على إعمال الخط المعرب فيما عدا الاعراب الذى لا يفتقر إلى كبير مجهود . وبما ان الأصل فى الأواخر (الوقف عليها بالسكون) . فنرسم أواخر الحروف مطلقاً التى هى متراوح الاعراب فى الساكن (الرقعى) . ولما هو مقرر من ان (العارض بمنزلة المعدوم) . وأيضاً الشكوى ليست من الاعراب وانما من البناء أى تحقيق ما هو مقتضى الابنية فى العربية الصحيحة .

هذا ما ترآاى . وستجد مثاله في الحروف المثبتة والأشكال المعروضة . وللهيئآت الخطية أن تبدى رأيها . وتأخذها بما يلائم من اصلاح وفنية .

بيد يبقى رغم كل ما يدخل عليه من اصلاح وتهذيب وتحسين . صعباً على الطفل البدىء . فهو من الناحية التربيوية . يبدو عقيما بعض الشىء وهذا مأخذ قد يكون جوهرياً ولكن يمكن أن يحتاط له بأحد أسلوبين

(١) أن يعلم شكلا من أشكال الخطوط العربية كالنسخ والرقعى ساذجاً . وفى الأول ابتدائى يؤخذ بتعليمه الخط المعرب .

(٢) أن يكون تعليم هذا الخط المعرب على طريقة التوزيع بمعنى أن يعمد إلى الكلمات المضمومة فى كل حروفها . والتى توضع فى الثلث - والكلمات المفتوحة فى كل حروفها والتى توضع فى النسخ - والكلمات المكسورة فى كل حروفها . والتى توضع فى الخط المختاط - ويقتصر عليها في ترويض الطفل للوهلة الاولى . حتى يتمرن من مزاولتها على هذا الشكل . وتنطبع في ذهنه فوارق الخطوط بكل وضوح وهكذا حتى يدرك بنفسه ميزات كل خط بدون تلقين أبداً . ولكن بالاستنتاج المجرد . ومن ثم يؤخذ

الطفل إذا قطع هذه المرحلة . بالكلمات المختلفة الحركات والمعترضة بالسكون . حتى تم منزلة هذه الخطوط من نفس الطفل كما لو كانت من طبيعة الحروف . وبهذا يعود الخط فى ذهن التلميذ . وله قياس مترتب الحلقات . مطرود النظام . بحيث يستسيغه استساغة مطلقة .

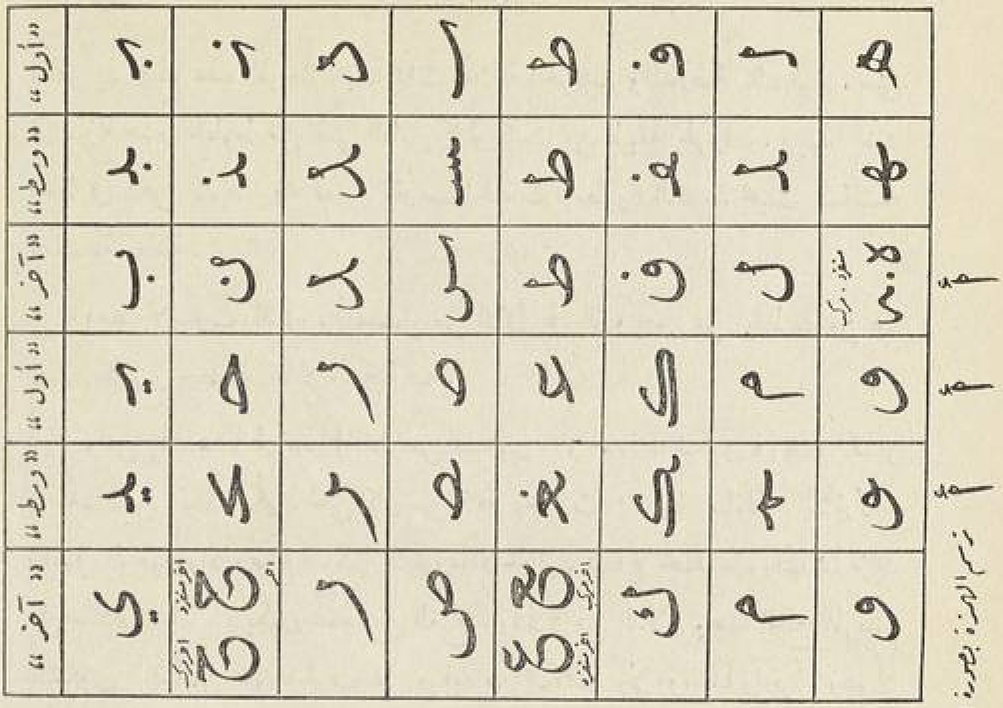
وهذا الاسلوب الثانى . أفضـل من الأول فى الترويض على الخط . ومن هنا يصبح كما ترى خطاً سائغا لا مشكلة فيه .

ونحن إذا حمدنا لهم هذا المقدار من الشكوى . أو حمدناها شكوى فى هذا المقدار واصغينا اليها بانتباه حكيم . حتى كان من كافة رجالات العربية مناولة لها مشتركة . بأفضل الوجوه والأوضاع الممكنة التقدير والاحتمال . فاننا لا نحمد ما وراءها مما يزيد على مقادير الجد . ويكون غُنْجاً من الغُنْج . ودلالا من الدلال . هذا الغنج المرتسم بالشكوى أيضاً من صور الحرف على موقعه من الكلمة أولا ووسطاً وآخراً . وهو لا يفسر الا بأحد تفسيرين .

إما ان الجماعة تريد أن تدرس العربية ولـكن كما يقول العامة (بدون نفس) وما احيلاها كلمة فيها قوة . وفيها حقيقه وفيها براعة اخاذة .

وإما أن يكون استثارة مثل هذا لأمر مقصود وراء ما تعطى الألفاظ . ووراء ما تخفي الظواهر . وهو على المكشوف وضع العربية والعرب . أمام الأمر الواقع الذى لا مفر معه من اعتماد العـرب على أحد لونين . إما الـكتابة بالحروف الصوتيـة . وإما الـكتابة بالحروف اللاتينية من أول الأمر . مما يختار أوْلاها وهو الثانى في بادى النظر قطعاً . وذلك لما يسببه الأول من ارتباك لا أقل فيه من الذى اجتهدوا بالخلاص منه . ونحن نميل الى الاتهام ونعتبرها ليست شكوى . بل طلائع محاولة خطرة . إذا تم وأخذ المصريون بها انعزلت مصر . وفقدت كل ما تتمتع به من مكانة سامية . فان هذا الطرف منها والحق . ليس له لون الشكوى فى شىء وانما هو الإلْجاء والإِحْراج .

حروف الضم

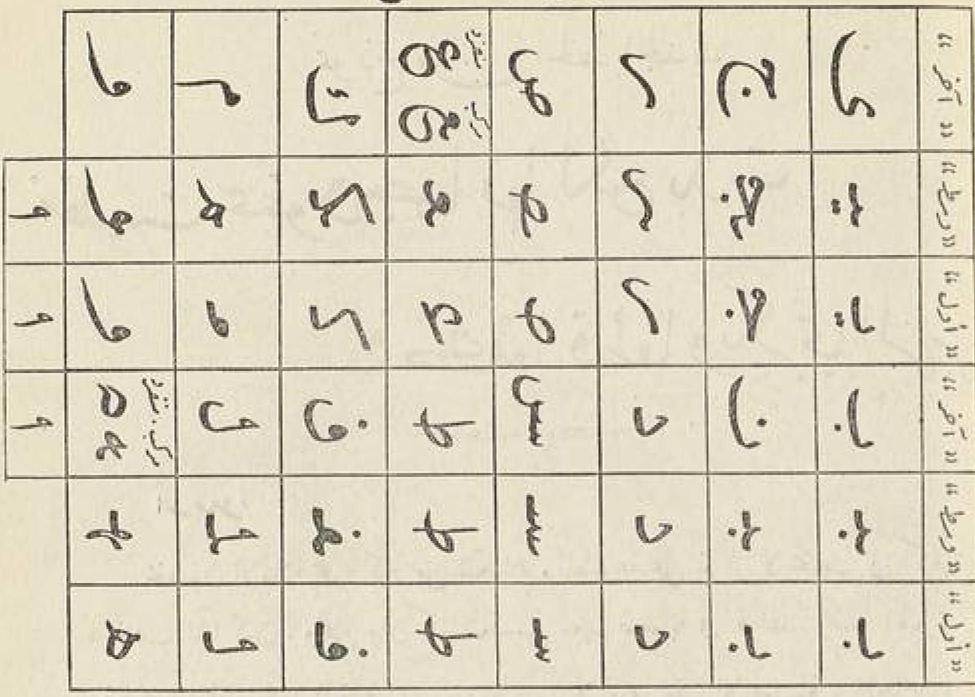


حروف الكسر

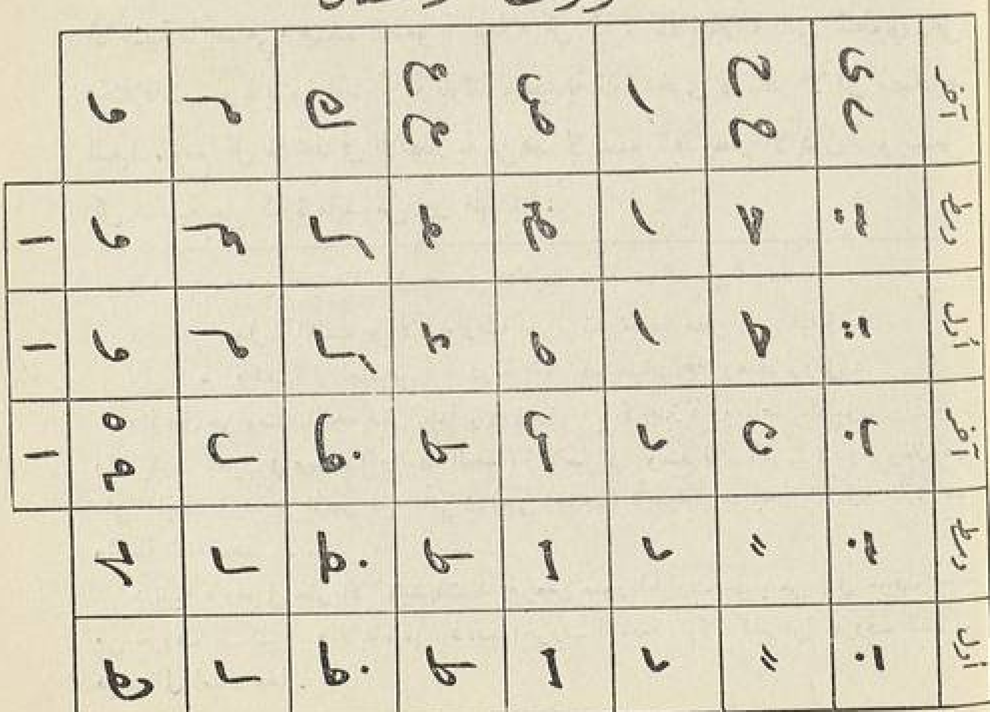


ترسم الهمزة بصورة ساذجة والالف على حسب الحركة

حروف الفتح



حروف الاسكان



نموذج من الخط الجديد

نظمت عقود جمانها لئن بدت
في كلها قطفا وبكري الزبرق (١)

الاملاء

يخصون الاملاء بجزء كبير من شكواهم . المطبوعة على غِرَار لا يختلف فى كثرة مايختلف الشا كون . ونحن وان كنا نتحسس معهم صعوبة فى قواعد وضع الهمزة . وفيما يخص الف اللين المنقلبة عن ياء او واو . لا نرى من الانصـاف اللجاج فى الشكوى . فان العربيه اذا كان فى هذين وجه صعوبتها فقط . ففي بعض اللغات الاجنبية ما يضاهي هـذه الصعوبة باملاء كل كلمة . كالانجليزية التى تنطوي على اختلافات . و بقايا وزوائد اثرية تارة . وتقليدية تارة اخرى لا تنظر الا الى مصدرها البعيد . ومع كل ما نجد فى الانجليزية من هذا لا نسمع تأففاً يصم الآذان . ويستغل كل مناسبة على كثرة ماتدرس بين ظهرانينا .

---

(١) بيت من قصيدة قلتها في صديقي الاديب (بكرى الصدفي) وقبله . . .

« صدفي اكتننت على لآلىء رطبة — قد جادها مطر رخي غيدق »

« وكانما اصدافهـا درية — قد اطبقت حملا زهاها رونق »

والزبرق من اوضاعنا الجديدة لكلمة (locket) فى الانجليزية ومعناها المداليون اوالذخيرة وكان يقول العرب في معناها (واسطة العقد) والاصل في الوضع قول العرب للبدر زبرقان وهو مثنى أميت مفرده على ما نص عليه المحبي فى (جني الجنتين) فأحييناه لمعنى بدر اللآلىء الذى هو واسطة العقد عادة . . .

« تنبيه » وقع في حفر الا كليشهات تقديم بعض صور الحروف على بعض كما في حرف الحاء من حروف الكسر . والابقاء على أذناب الحروف الواقعة اولاً كاللم من حروف الفم . فليتنبه الى امثال هذا .

ولا اجد داعياً الى ان اسوق شـواهد واستكثرها من هـذا الاختلاف . فانه اللغة برمتها وافية . وان كان قد يلتمس له علل لغوية فلا ينافي صعوبة الاملاء الى حد الارهاق .

ورغم اننا نرى العربيـة ليست على صعوبة من هذا القبيل . فلا علينا ان تبقى على ماهي من املائية لا ترهق دراستها . كنا ابدينا رأياً يضعها فى نحو ايسر طلباً واطوع عملية . نأتى هنا على تلخيصه فانه لايعدو مناسبته .

لا نظن بان احداً يستريب فى قواعد الاملاء . وان خضوعها للفرض باكثر مما خضعت للمحاكات الدقيقة والاستنتاج عليها . وهذا ضرورى فى جانب تراث حظه من التقدم الـكتابى ضئيل . ومن وجه آخر نشاهد بان اللغة مفرداتها وموازينها . لم تستقر على وجه التمام . مما يكون معه على جانب كبير من البداهة . تقدير وجود املاآت قَبَلية مختلفة اختلافاً بيناً بصورة غير يسيرة . ويشهد لهذا حتم عثمان (ض) على كتبة المصاحف (الام) بان يكون الرسم آخذاً سنة قريش فى الـكتابة والتصوير . على ماذكره الدانى والسيوطى وغيرهما .

فلا سبيل اذن الى انكار ان بعضاً من الصور الاملائية التى تقبلها اللغويون على علاتها . اى كصورة متممة للاستقراء الاملائى . باعتباره موضوعاً من الصرف هى من الاملاآت الاثرية التى تمثل عهـداً انقضى او ينقضي باوزانه ورسومه . وانما بقائها فى العربية الحديثة كبقاء حيوان من الفصائل المنقرضة يغالب الحياة فى ان تقبله مع منافسه الا صلح . (ويمكن ان تسمى هذه الاثريات بالمتحجرات اللغوية التى يبقى عليها لصالح التاريخ ومن ثم يظهر وجه كيف تكون اللغة ايضاً فى سلك التاريخ الطبيعي) .

وفي اللغة تبقى النفايات لاعتبارات عدا المنافسة . تتبع القبيلة فى سيرها الارتقائى . وعليه فالخطأ الذى وقع فيه اللغويون من وجهين .

(١) ظن ان الاثرى من اللغة الحديثة التى عرضوا لدرسها واستنتاج قواعدها

(٢) اخذ القبائل جميعها بملاحظة واحدة . فلم يستقرؤوا الملاحظات القَبَلية فى وجه الاختلافات .

ومن هنا يظهر بعض من سر الابقاء على املائية القرآن من غير تغيير . او حجر هذا التغيير كذلك . لان القرآن كتب ممثلا نهج قبيلة بعينها . هى اتقن ماتكون للوسائل الكتابية . عند مقايسة القبائل . ولما تعهد اللغويون وضع قواعد الاملاء . تناولوا الآثار الكتابية . وحكموا اجتهاداتهم الصرفية بصورة كبيرة . رفعوا مستوى القرآن عن ان يأخذوه بها .

على ان اللغويين كادوا يتورطون باجتهاداتهم على القرآن . ولكن لما اجتمع امر القراء بانفصال القراءة عن اللغة . واصبح لهم بما يسمى فى لغة العصر (نقابة) او شبهها . وقفوا وقفة كان لها مطلق الأثر بعد ذلك بحفظ هذه الاملائية . وصيانتها من التغيير وزادوا محافظة حين افردوا املائية القرآن بالتأليف وجعلوها فرعاً من علومهم . وهنا اذكر قصة تقف منها على صحة ما نقول من اخذ اللغويين بقواعدهم على القرآن رغم اختلافها . فكاد يكون فى القرآن رسمان مختلفان اشد الاختلاف او رسوم . ذكرها (ابن الانباري) فى كتابه [1] نزهة الالبا قال :

(ويحكى ان بعض أكابر أولاد طاهر . سأل (أبا العباس ثعلب) أن يكتب له مصحفاً . فكتب والضحى بالياء . ومن مذهب الكوفيين انه اذا كان كلمة من هـذا النحو أولها ضمة أو كسرة كتب بالياء وان كان من ذوات الواو . والبصريون يكتبون بالألف . فنظر (المبرد) فى ذلك المصحف فقال ينبغى أن يكتب والضحى بالألف . لانه من ذوات الواو . فجمع ابن طاهر بينهما فقال المبرد لثعلب لم كتبت والضحى بالياء ؟ فقال لضمة أوله . فقال له ولم إذن ضم أوله وهو من ذوات الواو . وتكتب بالياء ؟ فقـال لان الضمة تشبه الواو وما أوله واو يكون آخره ياء . فتوهموا ان اوله واو . . فقال أبو العباس المبرد أفلا يزول هذا التوهم الى يوم القيامة ؟ . .)

وكذلك لم تضبط قواعد الاملاء . ولم توضع اصوله بعيداً عن النظر الصرفى . ولذا لم يفرد بالتأليف . ومن كتب فيه كتب بصورة عامة لا تخصه بالذات كابن درستويه فى (المتمم او ادب الكتاب) . والصولى فى (ادب الكتاب) .

---

(١) نزهة الالبا فى اخبار الادبا ص ٢٨٨ . .

وابن قتيبة فى (ادب الكاتب) واكثر ما يظهر فيه هـذا . قواعد وضع الهمزة . والف اللين المنقلبة . ولذا بقيت فيهما مشوشة نوعاً ما . ومن ثم لانرى مانعاً يمنعنا من المضي فى تقرير قواعد جديدة للهمزة ومكانها لا تكون على هذا المضطرب البين (وكل هذا اذا لم تقرر حروف مشكولة) .

وانما لم نر مانعاً لاننا بعرض نسق الكتابة عند العرب لانستطيع ان نخرج بقواعد واحدة . او لانخرج بقواعد ابداً . مما ندرك معه ضعف التعويل على اسلوب عربى عريق فى شِرْعة الاملاء . وبالاخص حينما نعلم ان الاملاء أخضع لتطويرات على مقتضى الحاجة فكان يُتأَنَّى ويُحْتَاط به مع مايستوى والحاجة الباعثة قال (١) أحد لغويينا اللبنانيين ظاهر الشويرى (ان قواعد الاملاء اصطلاحات كان لبعضها أوجه قبل النقط والشكل وأما الآن فقد صارت ليست عديمة الفائدة فقط بل من جملة العوائق). ومن ثم نتركه للاجتهـاد الصرف او للأرتآء وحده كالخط . فلم يكن التجـديد فيه . وتحديد قواعده خاضعاً لملاحظ اعتبـارية . وعليه فلم يعد صعباً اختصار قواعد وضع الهمزة . اولا ووسطاً وآخراً ومفردة ومركبة على حرف من جنس حركتها . او بعبارة ابن درستويه . (على حرف من جنس ماتسهل اليه) . وفى حالة الاسكان تكتب على حرف من جنس حركة ما قبلها .

وقواعد كتابة الالف المقصورة تختصر بكتابتها على مثل لفظها الذى هو الالف الهوائية . بقطع النظر . لان ماوراءه ملحظ صرفى يضاف الى اللغة ويتعلق بالاشتقاق .

ويجب ان لايعزب عن البال . بانا نرسل نَمُوذجات لا قواعد محتومة التقليد . وهى بعدُ دعوةٌ مرسلة قد تجد وقعاً . وتصادف هوى .

ومع انى اعتقدها دعوة . حتمٌ علينا الاخذ بها . ووضعها موضع العمل . تسهيلاً على الناشئة . وترفيهاً على الاحداث . فلا ارى ان نتناول بها القرآن . لانه برسمه التقليدى يجمع العـالم الاسلامى على رامُوز واحد . له مسحة قدسية عميقة . مما تصغر معه اية غاية اخرى .

---

(١) راجع رسالة اللمع النواجم فى اللغة والمعاجم ص (٤)

البيان

مضينا فى دراسات واحاديث حتى جاء حديث البيان . وللبيان حديث طويل واسع . تتناوله فتتناول به علما غير واضح القصد ولا ظاهر الغرض . وموضوعاً لايقوم فى مسائل وانما يقوم فى خواطر . فجاء البيان كذلك منجرداً عن صبغة مابه يكون العلم . وانت حين تأخذ فيه تشعر بكل ماتريد ان تشعر به من تكلفه . حتي اذا اتيت عليه لم يبق منه الا انه (ايساغوجى والقاطيغورياس) . اجريا على الادب فى غير تقليد محكم . والا فأيُّ معنى لمثل (مجرى التشبيه من الكليات للجزئيات) الا ان يكون تصويراً لحركة النفس فى المعقولات .

ثم أيُّ معنى لان نأخذ فى اللغة بتقسيمات دقيقة من نوع الوهميات وما اليها . مما هو خليق بان يكون تصنيفاً للصور الحاصلة بالحصول الشبحى . وايضاً فاى معنى لرأى السكاكى فى (انبت الربيع البقل) الا ما تقرر من الانتزاع الفلسفى البعيد عن قصد الاديب .

والواقع ان درس البيان . لن يكون بهذا البيان . ونحن لاننكر على المعلومات . التى يطالعوننا بها فى هذا العلم (كما يشاؤون تسميته) . انها صارت وتقررت قسماً من علمنا . فلا نشجبها باستغناء مطلق . وانما نريد ان نجعل دراستها للمتخصص . فهو يدرسها على انها حلقة من حلقات تطور هذا العلم . وهو يتقنها لا من حيث ان لها ضرورة . فيفهم على شا كلتها بيان العرب وادبهم . بل ليتحقق لوناً من دراسات الاولين .

والا فاى اخذ هـذا ياقوم . لاسلوب العرب اذا كان على نهج (ليس كمثله شىء) الذى كان نهجاً كافراً جعل لله امثالاً . فى نفس الآية التي جاءت لتنفى المثلية والمثل . وما أضار وأوضر الا لز منطق المتفلسفة فى محيط الادب . واخذه على هذا النسق البعيد عنه اشد البعد . ومن اجل ماكانت عليه الآية من تجاذب الرد والمناقشة . الفت فيها رسائل كأنها المعضلة الخطرة . ولما تزل يبحثونها .

وانا لا استجيز لنفسى ان اقف من هذه المجموعة الثرة بالافكار . موقف الملحد

لها او المقبر . وانما اريد ان ندرسها (كما سبق وصرحت) فى دور الاختصاص . كفكرة نبتت فى محيط هذا الفن . من مثل ما يدرس المتخصص للفلسفة . نظارية الحكماء فى الافلاك . والعقول العشرة . ونظرية ادراك الكواكب وما اليهامن الالاهى . ونظريتهم فى الثقل وانه قوة او كمية وما اليها من الطبيعى .

* * *

واما مايجب ان ندرس من البيان كفن عملى لنا اليوم . فشيء غير هذا ابداً . لا يستقيم معه ولا يسايره ولا يأخذ نهجه . وانما علينا ان ندون فنه مرة اخرى .

ولقد تمثل هذا للاولين على اوضح صورة واليك ما يحدثنا (الزركشى) فى عبارة مأثورة عن نقد العلوم (اما علم الحديث والفقه فقد نضج واحترق . واما علم النحو والاصول فقد نضج وما احترق . واما علم التفسير والبلاغة فما نضج ولا احترق) ونرى لنهجه الجديد احد وجهين .

(١) الغاء كل مباحثه واصطلاحاته سوى التشبيه والكناية . فان ما بقي يرجع اليهما من أقرب الطرق . إذا أنصفنا التطبيق ولم نتحرَّجْ عليه بتحيل محض . فهذه (الاستعارة بالكناية) يمكن أن ترد الى التشبيه الكنائى فيقال فى مثل .

« وإذَا المَنِيَّةُ أنْشَبَتْ أظفَارَهَا　　　ألفيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ »

شبهنا المنية بشيء له أظفار . وأرسلناه كناية عن الامساك في دقة وشدة تعلق . وما وراء هذا من التخييل تخيل . أو بدون ملحظ التشبيه أصلا . وإنما من أول الأمر يقال جعل للمنية أظفاراً. كناية عن دقة التعلق وعسر الخلاص .

ويمكن أن نرد مثل (لا صلبنكم فى جذوع النخل) إلى الكناية أيضاً والمعنى لا صلبنكم صلباً فى الجذوع . كناية عن شدته . لأن التعلق فى الظرفية أشد . وإذا أبقينا على التضمين النحوى فى أصطلاحاتنا (وما فهمناه على أنه حيلة اللغوى ليعلل به فوضى العربية فى الأدوات وعدم استقرارها كما سيجيء بحثه فى موضوع التعدية واللزوم من المقدمة) أمكن رد الآية اليه فى غير عناء .

وعندى أن الأولى أن ترد الاستعارة فى الحرف إلى التجريد . وعليه

---

(١) راجع كتاب شرح عقود الجمان للسيوطى ص (٣) .

فالكلام - حقيقة . ومجاز . وتجريد .

والحقيقة - قسمان (ا) لغوية وهى ما كانت على مقتضى الظاهر (ب) بيانية وهى ما كانت على خلاف مقتضى الظاهر . وتشمل المجاز العقلى . والمجاز بالحذف . والمجاز بالزيادة . من كل ما كانت الحقيقية مرعية فيه بملابسة أو رمزية . وهذا بقطع النظر عن أن يكون فى الاسناد أو فى ظرفية أو فى فضلة تابعة .

والتجريد - قسمان (ا) تضمين نحوى (ب) تضمين بيانى .

والمجاز - قسمان (ا) تشبيه (ب) كناية وكل منهما مطلق . ومرشح . ومجرد . (وتعريف المجاز عندنا كتعريفه عندهم وهو الاستعمال في غير الموضوع لعلاقة مع قرينة مانعة) . ومن ثم يرد كيف يعد التشبيه مجازاً ؟ والجواب عليه ليس بعسير بعد إنعام النظر . فان التشبيه بأنواعه الثلاثة يصدق عليه أنه استعمال فى غير ماوضع لعلاقة وهى وجه الشبه . مع قرينة وهى التصريح بالمشبه . وتتقوى القرينة باداة التشبيه . ولكن بعد أن نفهم فى (القرينة والعلاقة معنى على التسامح)

فالتشبيه المطلق - هو المذكور فيه الأداة ووجه الشبه .

والمرشح - هو المحذوف منه الأداة ووجه الشبه .

والمجرد - هو المذكور فيه أحدهما .

والكناية المطلقة - تشمل . الكناية البسيطة كزيد كثير الرماد . والمجاز المركب مثل (أراك تقدم رجلاً وتأخر أخرى) .

والمرشحة - تشمل . المجاز بالاستعارة مطلقاً من كل كناية مبنيـة على تشبيه . والكناية المركبة مثل (ليس كمثله شىء) .

والمجردة - تشمل . المجازات المرسلة مثل (إنى أرانى أعصر خمراً) كناية عن شدة وضوح الغاية وهكذا ينبغى أن لايفهم من عبارتنا بالاصطلاح . انا نبقي عليه وفيه موطن العلة . بل كان الغرض منه توضيح كيف ترد مسائل علم البيان إلى هذا التقسيم . وإلا فالاصطلاحات التى يتم الاحتفاظ بها هى .

(الحقيقة . والمجاز . والتجريد . والتشبيه . والكناية . والمرشح . والمجرد . والمطلق حسب) وما وراءها لغو من اللغو فى سياسة التعليم .

(٢) من الوجهين - أن يقال . الكلام حقيقة ومجاز . وكل منهما . كناية . وتجريد .

والكناية الحقيقية - تشمل الكناية البسيطة . والتشبيه . والمجاز المرسل . والمجاز المركب .

والكناية المجازية - تشمل كل كناية انبنت على تشبيه . والكناية المركبة .

والتجريد الحقيقى - يشمل التضمين النحوى .

والتجريد المجازى - يشمل المجاز العقلى . والمجاز بالحذف . والمجاز بالزياده .

وكلا الوجهين منبنيان على اعتبارات مختلفة لم نأت عليها اقتصاداً فى بيان الفكرة . واقتصاراً على مقدار الاقتراح . وإذا أبدى المحيط العربى استعداده لدرس هذه الأفكار بجد . بعيداً عن الهوى الثائر . أخرجنا مانقف منه على مقدار الضبط والسهولة فى كل من الوجهين بل الدقة أيضاً فى حصر مسائل الفن .

المعانى والبديع والنحو والصرف

سأتكلم عليها كلاماً مجملاً وعاجلاً على مقدار اجمال العنوان . لأن ما تتناول من النواحي . اما بيانية صرفة كما فى الاولين . واما لغوية على وجه الاعراب أو البنية كما فى الاخريين .

فالمعانى - للغة بمثابة المنطق فى علوم المعقول . وتنقيحه بعدم درسه فى كتب القواعد كعلم . بل يدرس على نهجه فى كتب الأدب كما نجد عند الجرجانى فى (دلائل الاعجاز) وعند الزمخشرى فى التفسير . بتهذيب يتسق عند أخذه . فى اسلوب مدرسى تخريجي . وبهذا يكون أدخل فى الذوق وأقرب مناطاً بالنفس . وكذلك البديع . . . .

والنحو - صعوبته ليست فى نفسه . وليس لأنه يحتاج إلى تكميل . أو من نقص يبدو فى قواعده . فأنه بحق أو فى المجموعة الدراسية التى أعطاها علماء الأدب وأصحها أيضاً . وإنما صعوبته آتية من أن الاجتهادات التى تمت عليه فى خلال عصور عديدة كانت تنضاف اليه مجتمعة . بحيث يستوعبها الفن بدون تصنيف ولا ربط بينها . ومن ثم كان كمثله مجموعة اجتهادية لم تنقح ولم ترتب .

وعليه فليس يلزمنا فيه إلا أن نقتصر من علمه على أبسطه وأدخله فى شائع الاستعمال دون ما وراءه . ونختار من مذاهب النحاة ما ينتهج وذوق العرب اليوم . دون ما نظر إلى كبير موافقتها للآثار الأدبية المحفوظة . مادامت قد عرفت لغةً عربيةً . وحفظت على أنها كذلك لا نُكْرَ فيها ولا دَخَل . وبذلك ينسبك فى شكل فنى . واسلوب تخريجى مدرسى . وطريقة تربيوية . والحق أنه كذلك واف بالمراد . وكافل للغاية التى يطلب من أجلها . وليس فى حاجة إلى زيادة درس فيما سوى تصنيف تلك الافكار وتأليفها على نحو يدخل فى (سيكولوجية التربية) وبهذا ينتقل اصلاح النحو من أن يكون لغويًا إلى أن يكون فنيًا محضًا يعنى شعبة اختصاص أخرى .

والشىء الذى يجب أن لا يغفل عنه هو أن التصنيف المذكور ضرورى أن يدرس على ضوء القواعد التى أقررناها فى القسم الثانى والثالث من المقدمة وعلى بصيص التطور الذى أثبتنا أثره على العربية من كل الجهات . وهناك دعوة ترمى إلى إصلاح النحو على صورة تجعل قواعده كَيْفِيَّة . بيد لا أفهم لها وجهًا يجعلها موفقة .

وأما الصرف — فهو فى حاجة إلى التدوين مرة أخرى ويقتصر منه على أدخل مباحثه فى النحو كالنسب والتصغير والجمع . وما بقى من الاعلال ومثله يضاف إلى علم الاشتقاق . وسترى فى ابحاث المقدمة ما ينسفه نسفًا . ويلاشى اعتباراته المرسلة ارسالا .

العروض أيضًا :

العروض وان يكن وجه المناسبة فيه لموضوعنا ضعيفًا . حتى يبدو وأسبابه فى مثل خيوط الشعاعة . تناولته وقصدته بالحديث كما لو كان من أركان الموضوع . لما أنه من جملة أشياء العربية التى تستثار بالشكوى . ومهما يكن من ظروف هذه الشكوى وقوتها ومناسبتها . فالحق انها فى هذه الفرع من فنون العربية حقيقة بالاثارة وجديرة بالاستماع .

فان العروض هو الفرع الوحيد الذى بقى لا يدين إلا إلى عمل واحد فقط . فنحن ندرسه على ترسم لحدود (الخليل) . وهو نتاج العقلية الأولى التى توفرت على

اختراعه . والخليل عدا عن أنه عمل منفرداً فى شىء لم يسبق بلون منه . ينتشر انتشاراً واسعاً على ما للعرب من أدب شعرى يقايسه و يوازنه ويحاكى بينه . ويستمع لأذن دقيقة الحس ثم يجتهد بضبطه وتسميته . و يفرغ عليه كل ما به يأخذ صبغة الفن . .

وهذا عمل مهما قيل عليه . فانه واسع النواحى . رحب الجنبات يقتضى استقراء فى الرواية وتعاوناً على النظر . لا يقوم له الواحد .

وعلى انى أنظر فى الخليل أمة عبقرية . وجماعة مولدين ونسقاً فذاً . فلا أستطيع إلا أن أحكمه بالشخصية التى لا يمكن أن تجىء إلا فى افاق محدودة . وكأنما لمس هذا أو لمسه بالفعل (السكاكى) فى بحث الشعر من (المفتاح) فقال عبارة تنصف الخليل وتنصف الفن وتكبر من العلم والعالم .

« لا [1] يظنن أحد الفضول عندهم فى الباب من ضم زيادة على ما حصروه ليست فى كلام العرب . فضلا على الامام الخليل بن أحمد . ذلك البحر الزاخر مخترع هذا النوع . وعلى الأئمة المغتر فين منه من العلماء المتقدمين رضوان الله عليهم أجمعين . والا فمن أنبألهم . لم يكونوا يرون الزيادة على التى حصروها من حيث الوزن مستقيمة . والزيادة عليها تنادى بأرفع صوت

لَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ القَوْلِ ذَا سَعَةٍ   فَانْ وَجَدْتَ لِسَاناً قَائِلاً فَقُلِ)

إلى أن قال وهي أى استقامة الطبع المعلم الأول المستغنى عن التعلم . فاعرف واياك أن نقل اليك وزن منسوب إلى العرب لا تراه فى الحصر . أن تعدفواته قصوراً فى المخترع . فلعله تعمد اهماله لجهة من الجهات . وأى نقيصة فى أن يفوته شىء هو فى زاوية من زوايا النقل لا العقـل . على أنه أن عد قصوراً كان العيب فيه لمقدمى عهده حيث لم يهيئوا لامام مثله ما يتم له المطلوب . من مجرد نقـل الرواة ومجرد الاستظهار بذلك اللهم صبراً) .

فالخليل تفرغ بمفرده لوضع الفن بكل ما فيه من اصطلاحات . وبكل ما فيه من شكليات معتبرة اعتبار القاعدة . فمن ثم كان عملا غير هين . وعمــلا قد يترك

---

(١) المفتاح ص ٢٧٥ .

واضعه متصعبا بضبطه . بيد أن النبوغ يفترع الصفا . و يستندى الحجر . (كما يقولون). وهنا تنجلى عبقرية الخليل بكاملها حين بدأ عملا وانتهى منه . فانتهى فى اعتبار الناس كذلك . وان كنت تعثر على اجتهادات للاخفش والزجاج وقطرب والحاتمي فانها اجتهادات فى الشرح فقط .

ونحن من وراء ما قدمنا نريد أن نصل إلى أن الخليل حين قرر ما قرر . لم يقصد به أنه كذلك قضية حاصرة . وانما يعنى انها ظاهرة فقط . وأظن بأن الفرق بينهما واضح . وذلك لان كونها قضية حاصرة . يقضى بعدم جواز الخروج عليه . وأما انها ظاهرة فتعنى وصف ما هو واقع دون حظر أو تحكم . والفرق فى أخصر عبارة كالفرق بين التعليل والوصف .

وان كان قد أخذ عمله بعد ذلك على وجه الالزام للشاعر بأن لا يتنكبه . غير ان الشاعر كان جوابه الصريح على هذا التحرج بلسان أبى العتاهية (انى سبقت الخليل) حينما قيل له فى بعض شعره انه على خلاف علم الخليل . فقد وقع ان جاءت عنده فى الخفيف عروض مجزوءة مخبونة مقصورة تصيرفيها (مستفع لن) إلى (متفع لْ) وتحول إلى (فعولن) وكذلك الضرب فيكون هكذا .

« فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن »

قال . . . « عتْبُ ما لِلْخيالِ خَبِّرِيني وَمالى »

وكذلك ما استحدث من وقع المدق عند قصار وقال عليه .

« لِلْمَنُونِ دَائرًا تٌ يُدِرْنَ صَرْفَها »

« حَتَّى يَنْتَقِينَنَا وَاحِداً فَواحِداً »

وما أجدر كلمته أن يرسلها مثلا . كل مجدد ملْهَم يقف منه المحافظون موقفا حرجا . وما أجدر الشعراء أن يقولوا اليوم كذلك . أو يتخذوا كلمة أبي العتاهية شعار نهضتهم . على معني انهم فوق سلطان النقد من هذه الناحية التى تعنى الشاعر قبل الناقد . ثُمَّ هى من هبته على الادب . لا من هبة الادب عليه . ولقد كان هذا فى قرارة الشعراء

على التـاريخ كشيء هم أولو أمره . فهذا (المتنبي) لا يلتزم ما التزموه من وجوب القبض فى عروض الطويل . على ما أخذه به الصاحب بن عباد فى رسالته (الكشف عن مساوىء أبي الطيب) . وهـذا (البهاء زهير) . يشذ كذلك فى أبيـات بحيث لا يعرف لها بحر على ماذكره (الصبان) فى حد الشعر . وان راح يتعمل بلزها فمن بعض المجازىء بعنف .

وكذلك وجدنا الشعراء يَفْتَنُّون دائماً - فكان ان استحدثوا المستطيل وما اليه من الموشحات والقوما . الى غيرها من الانواع الكثيرة التى ذكرها ابن خلدون وغيره .

والذى لا ينكر . انه قد عرى الجماعة ضرب من التحكم فى بعض دراستهم أو قصدوا أن يأخذوا الموضوع بشيء منه . واليك ما يذكره السكاكى وفيه تلمس ما نعنى، قال فى الـكلام على البسيط من المفتاح (١)

(وعن الخليل ان العروض المقطوعة لا تجامع غير الضرب المقطوع والكسائى يروى خلاف ذلك الى أن قال وفى قصيدة عَبيد بن الابرص وهى

(أقفرَ مِنْ أهْلِهِ مَلْحوبُ)

كثير من هـذا القبيل . وهذه القصيدة عندى منْ عجائب الدنيا فى اختلاف الوزن . والاولى بها أن تلحق بالخطب كما هو رأى كثير من الفضلاء)

قف عند قوله (الاولى أن تلحق بالخطب) ففيه الشاهد الصريح لما نقرر .

واليك قصيدة(٢) النمرِ بن توْلب العـكْلى التى يقول فيها

« صَحَا القَلْبُ عَنْ ذِكْرِهِ تُكْتَمَا وكَانَ رَهِينًا بِهَا مُغْرَمَا »
« وَقَصَّرَ عَنْهَا وَآيَاتُها يُذَكِّرْنَهُ دَاءَهُ الاقْدَمَا »

وهى تصح من المتقارب المثمن المحذوف الضرب والعروض . الذى اقتصروا فيه على العروض السالمة وهكذا مما نلمس نقصه . وعلينا أن نحرر من أمره ما يتساوق مع مطالبنا . ويتسع لها وينهض بالادب .

---

(١) ص ٢٨٢ (٢) راجع مختارات ابن الشجري ج ١ ص ١٦

ونحن من اعتبارات الاوائل بين ما يبيح لنا هذا الاخذ . فقد ذكروا فى حدالشعر انه القول الموزون دون زيادة قيد (على نهج مخصوص) . مما يعلمنا بأنهم لايتحرجون من قبول النظم على غير الموازين المحفوظة . أو عليها مع تغييرات فى الضروب لم تحفظ . ولا يستضيقون من اطلاق كلمة (شعر) عليها وان خرجت على مألوف ما أثر . ويؤكد هذا قول السكاكى حينما عرض لتعريف الشعر قال [1] { ومذهب الامام أبي اسحاق الزجاج فى الشعر انه لابد من أن يكون الوزن من الاوزان التى عليها أشعار العرب . وإلا فلا يكون شعراً ولا أدرى أحداً تبعه فى مذهبه هذا } . . .

وعليه فلا مانع من أن نعمل بجد فى هذا السبيل . وأن نأخذ بقصد وعزيمة . .

وإن أبى علينا جماعة من الناس هذا النهج . فما أجْدَرَنا أن نترك لهم كلمة (الشعر) ومجموعة أوزانه المحفوظة . ونعتمد فى شأننا مذهب الامام أبى اسحاق الزجاج . من أن الشعر لايقال الا لماهو جار على وزن من أوزان العرب . ونسمى مانعمد اليه من التحلل . اسماً غير الشعر إذا كان كل ما فى الأمر تغيير الاسم . ومن ثم تطلق للأديب الحرية بحيث يتسنى له افراغ مايريده بكل مطاوعة ومواتاة . . .

* * *

ويستوى هذا القصد عندنا فى أن نقسم الكلام الموزون إلى شعر . ونظيم .

والشعر – ما جاء على وَفْق ماحفظ عن العرب الأولين فى أوزانهم وضروبهم .

والنظيم – ماجاء موزوناً على غير ما حفظ عن العرب . وهو مباح للأديب ما دام صحيح الموسيقى لا تباين في مقاطعهُ ونبراته وهو على قسمين . . .

(١) نظيم يأخذ منهج الشعر ويتقيد به . ولكن يتحلل باجراء التغييرات مطلقاً فى كل بحر مادامت معروضة لتفعيلاته . ولا تخرج بالبحر عن جرسه . ولا يتقيد بوضع تكون عليه العروض فى البيت أو الضرب . بل يتحرر على نسق ما رأينا عند أبى العتاهية فى الخفيف . وتجد شواهده فى كثير من الشعر الذى مثلنا به فى المعجم . واليك قطعة من قصيدة [2]

« خُلِبَ الشَّيْخُ عَلَى حُنْكَتِهِ ... بِدِهَانٍ وَطِلَاءٍ وَرُوَاءْ »

« ظَنَّ مَعْنَى الْخُلْدِ فِي غَضِّ الْحَيَاةْ ... وَيْحَهُ مِنْ خُلْدِهَا الزَّاهِى الْكِسَاءْ »

---

(١) المفتاح ص ٢٧٥ (٢) وهى قصيدتنا (رحلة الى الخلد)

فأنك لو أخذت العروضين فى البيتين لوجدت بينهما فى وزان تفعيلة العروض اختلافاً لا يصح فى نهج الشعر . فالأولى . محذوفة . والثانية محذوفة مزالة . . . واليك مثالا من قصيدة [١] على الخفيف ليتضح عليها الغرض .

« إِنَّمَا بَسْمَةُ الْحَيَاةِ أَمَانِيُّ   فَاعْظِمْ بِبَسْمَةِ الآمَالِ »
« فاعلاتن . متفعلن . فعلاتن   فعلاتن . متفعلن . فاعتن »
« يا مَلِيكٌ بَدَتْ طَلائِعُكَ   الغرّاءُ فِي مَجْدٍ أَعْظَمِ اسْتِقْلالِ »
« فاعلاتن . متفعلن . فعلاتن   فاعلاتن . متفعلن . فاعتن »
« عَلَمٌ فِي الْجُنُوبِ قَدْ ظَلَّلَ   الأَجْيالَ تِيهاً وَآخَرٌ فِي الشَّمَالِ »
« فعلاتن . متفعلن . فاعلاتن   فاعلاتن . متفعلن . فعلاتن »

وبمقايسة ماصارت اليه التفاعيل من أبيات القصيدة يتبين لك مقدار مانقصد من الأخذ الجديد . الذى يتسع بالاعاريض اتساعاً لايخرج بها على سنة البحر ولا يغير من موسيقاه ولا جرسه . بل ربما كان إلى بدائه الأذواق أقبل من بعض الزحافات التى قبلوها لشعراء سابقين . من مثل [٢] ماذكره الآمدي فى شعر أعشى بن النباش التميمى .

« وَيْلُ أُمِّ بَنِي الْحَجَّاجِ إِنْ نُدِبُوا   لاَبُخْلَ فِيهِمْ وَلاَ فِي الْخَصْمِ إِيثَارُ »

وتقويه (ويل لأم بني الخ .

وكذلك نجد الجماعة تقرر فى زحاف الخفيف . ان التشعيث يجرى فى فاعلاتن الضربية والعروضية . ولكن مع التصريع لا غير . واختلفوا فى كيفية إيقاع التشعيث . وهكذا مما تجد فى القصيدة المثبتة مجاوزة شأنه وخلافه . وانما قيدناه بالنظيم الشعرى من حيث هو جار مع أوزان العربية بازاء تام إلا فى تعميم اجراء التغييرات على الشرط السابق من عدم الخروج بالبحر ولا الاخلال بالتوازن الموسيقي . كما يظهر من عمل أبي العتاهيه على الخفيف . فعندهم التشعيت لا يجري فى بعض البحور . وعندنا يجري

---

(١) هي قصيدة الاهداء الى جلالة الملك التى توجنا بها الكتاب
(٢) المؤتلف والمختلف ص ٢١

فى كل وتد مجموع من أى بحر وهلم جرا . ونعني بالتجاوز والخروج أن يجمع فى القصيدة الواحدة بين بيت تام و بيت مجزوء . أو التغيير بحيث ينقل البيت من بحر إلى بحر آخر يداخله على قرب . ومن ثمّ نعرف ان المحذور هو هذا فقط . وما وراءه من لزوم للعروض في القصيدة أو للضرب أو للتفعيلة على وجه فما لا نرى أمره . حتى ولو كان بين البيتين في العروضين . حذف وكف كمثل [1] (شعر)

« وَفيهِ افْتِدَاه حُقُوقٍ غَدَتْ تَئِنُّ بِلَيْلٍ إذَا مَا اعْتَرَمْ »
« وَفيهِ نِدَاه يُصِمُّ بِرَوْعِ ظَلُوماً غَشُوماً إذَا مَا احْتَكَمْ »
« وَفيهِ نِدَاه أيَا الظَّالِمين رُوَيْداً رُوَيْداً فَلَلْحَقّ يومْ »

فانك تجد بين عروض الأول وبين عروض الثانى والثالث مخالفة . إذ الأولى محذوفة . والثانيتان مكفوفتان . ولا وجه عندى لمنعه . و إن كان الأكمل التزام التغيير على أى الوجوه ولو فى النظيم .

(٢) النظيم الجارى على ابتداع واختراع كـكثير من أخذ شعرائنا اليوم وفى السابق. فالمستطيل يقال له نظيم ولا يقال له شعر . وكذلك الموشحات . ومن ثم تجد كيف اقتصرنا باسم الشعر على ما كان بالوفاء التام على أوزان العرب وبحورهم . أو بعبارة أدق بالوفاء التام على أوزان الخليل وبحوره . لأنا لانستطيع أن نحكم العرب بعمل الخليل الذى لابد أن يكون قد أتى قاصراً عن الاحاطة بعض الشىء . . . .

وأرجو أن أكون أوضحت بهذا . منحى قد يجد الشعراء عليه سهوله تحقق بعضاً من أهدافهم . فلا يعالجون من الشعر كما يُعالج من علك الشكيم . وأنا أعرف أشخاصاً عندهم سري من الألهام الشعري قعدوا عنه لاعتياصهم بالشعر على فنيته المقررة. وهذا الاعتياص شمل كل شاعر مهما اقتمد. فقد حدثني بعض من لغويينا هناك فى لبنان. بأن الجزء الاول من ديوان المرحوم أمير الشعراء (شوقى) فى الطبعة القديمة . مملوء بالأغاليط العروضية .

وفى الحق لا أرى أفضل من اعتماد رأى الزجاج . وبه نتمكن من احلال ماتريد محل الاعتبار حتى من جماعة المحافظة المستدقة.

---

(١) من قصيدة لنا بعنوان (ذكرى عاشوراء محرم)

« داء العربية ودواؤها »

« أو تخصيص الموازيين »

ليس ما أحاول هنا عملاً من تلك الأعمال التي قد تكون هينة المطلب . ولا عملاً يركب الخاطر الشارد في جذر الدهر ومد الفطرة الأولى . وتأتى نتائجه على نسقه من التقدير المرسل . فان ما اعمله وأريده مجتهـداً . هو شيء خلاف التقدير وغير الخاطر فهو لايتناول اللغة في تاريخها . ولا الفـكرة اللغوية من حيث خيالها على اللغة . وإنما يتناولها في مقدار قرارها بين أشياء المستقبل المعتم . ومقدار ثباتها في جانب الموجودات الحقيقية . التي لاتقبل إلى جانبها موجوداً ليس منها وليس له ذلك النصيب من الحقيقة الذي يحفظه . وإنما كل مافيه من معني الوجود انه كان فقط .

ولذلك فهو موجود غير متماسك . حيث تكون الحياة فيه على انفصـالات . وفي أطراف غير متواصلة . ومن ثم كان الاخلاص عند رجال اللغة يدعوهم إلى الأخذ في مذهب آخر أكثر جدية . يمكن أن يركن اليه وتكون به اللغة . فان عمـل اللغويين في الفترة الماضية . لا يعدو أنه برهان على قدرتهم اللغوية وعدم عجزهم المسيطر فقط . واما اعداد اللغة للوجود بين متنازع الحياة ومعترك البقاء . فهذا ما لا أظنهم يستطيعون أن يزعموا بصراحة أنهم فعلوه . وربما كانت مِثالة عملهم كقلب السعـادة الذي يجمعه الساحر من كل قلب وما هو في الحقيقة الا أمزاق فانية من كل قلب .

وأنا أعدو هذا الآن لآخذ في مذهب الجد الذي أراه . واجتهد بتقريره وأدعو الناس اليه في جرأة وصرامة . وانما استجيز هذا المنطق الصارم . لأن الناس لايزالون يتمسكون بأوليات . يزعمونها . لم ترقَ في يوم من الأيام إلى الظن فضلا عن رتبة العلم فالضرورة . والذي جعل لها هذه الأولية . مزاولة درسها والنصب على تعاطيها بدون مناقشة لها ولاتردد في قبولها . وهذا شأن كل دراسة مها كان نوع صحتها . ومهما كانت نسبة العقل فيهـا . ولعل أقرب مثل لهذا ، التنجيم المنبنى بدون شك على اعتبارات تجريدية وضوحية فقط . ومع ذلك نجد من الهنديين من لايجرؤ على الشك بنتائجه .

ولا يسمح لنفسه أيضاً فى قرارة الضمير أن تتساءل عنها . على أننا أصبحنا اليوم وجهاً لوجه أمام المذهب العلمي الذي يأخذ كل شيء على أنه فى حاجة إلى الدرس مرة أخرى. ويتساءل ما استطاع فى صدق كل هذا . وبعبارة أحصر امام المنحي العلمي الذى يبتدىء كل تفكير . وبحق كان (ماركوني) مديناً للجرأة فى هدم الأولية الطبيعية التى حالت زمناً دون تقدم اللاسلكى . .

واظن قد آن لنا ان نتحلل من مسحة التفكير الصوفي (سلم تسلم) . لان السلامة اصبحت فى شيء آخر يبعد اشد البعد عن التسليم باى معانيه . فقد اصبحت اليوم فى ضد ذلك الشيء . الذي غبر الناس على تسميته بالفضول . فالعلم اليوم يفرض الفضول . و يفرض ان يكون كل عالم بحق فضولياً ويفخر بهذا الفضول الذي هو ضمانة التصحيح العلمي .

على ان العهد برجال اللغة الاولين عدم هذا الركون الذى نأخذ انفسنا به . بل ونحملها عليه حملاً فظيماً . فقد حدثنا ابو البركات ابن الانباري فى (نزهة الالبا) حيث ترجم لشيخه ابي منصور الجواليقي . كيف كانوا يناقشون باستخفاف بالغ اية فكرة حول مسألة لا تشرحها . وانما تتكلف فيها مالايسهل التسليم به . فهو يذكر لنا كيف اعتمد شيخه ماذكره ابن دريد فى (ليس) وان اصلها (لا ايس) . وكيف انبعث ابن الانبارى يناقشها عليه فى سخرية لاذعة .

هـذه الحكاية على كونها طرفة او نادرة ترينا منحي من فقه اللغة فى سير الدراسات الاولى التى لاتخرج فى مجموعها عن كونها التماسات مجردة . ومن ثم قالوا (النكات لاتتزاحم) . .

ومن وجوه الضعف فيها ايضاً الاجتهاد بتعليل كل شاهد على حدة . بدون اية ملاحظة عمومية . ومن ثم انتهت بهم دراساتهم الى ما انتهت اليه من عدم التلاؤم وزاد فيها هذا المعنى . حينما ظهرت حاجة العربية الآن الى مالم يكن لها به عهد فوقفت على معنى الحروف لانه اخذ لايلائمها فاعتاصت عليه .

وجملة مانكثر من الحديث بين يديه . ان تكون نظرتنا الجديدة فى درس

العربية نظرة اقتصادية محضة تعمل على الاستثمار وحده . وان نجتهد في الاستفادة من الموجودات التاريخية في غير ما نتركها دُمًى او عاديات او شواهد قبور . فان الاحتكام بمنطق السماع يجعل مخلفات العربية شيئاً من هذا القبيل فقط. لا فائدة فيه اكثر من انه ثروة من التاريخ . واذا جاوز وضعه التاريخي . سقط وسقطت قيمته واعتبر كالمزيفات التقليدية تصادر وتطارد بين هنا وهناك .

وسبيل الاستثمار عندنا يقع في نحوين .

(١) توحيد المعاني في المادة الواحدة . ونعنى بهذا جعل كل معانى المشتقات مزيدة او مجردة من مادة . معانى للمادة . مما يصح معه اشتقاق المجرد من المزيد الذى جوزه الشاطبي وغيره . ومن ثم تكثر الوحدات المادية . للمادة الواحدة . وقد أريناك شيئاً من هذا عند العرب ودللنا عليه في غير هـذا الموضع من المقدمة . وفى اللغات الحية الاخرى مما يكون له اعتبار المذهب اللغوى العام . على ان هذا قد وقع فى ملحظ الامام ابى اسحاق الزجاج حين قرر[1] فى كتـاب (الاشتقاق) ان كل لفظين اتفقا ببعض الحروف . وان نقصت حروف احدهما عن الآخر . فهما مشتقان فكان يقول بان (الرَجُل) مشتق من (الرِجْل) و (العقْل) مشتق من (العاقول) وهذا كله بحسب ظهور المعنى ووضوحه بين المشتقين .

ولقد نص رجال اللغة باشتقاق العرب . مثل مزكوم من ازكمه، ومقرور من اقره، ومكزوز من اكزه ، ومغموم من اغمه ، ومحموم من احمـه . فلا مفر من اعتبار الوحدة المادية لتوسيع باب الاشتقاق . وهو اعتبار من صميم اللغة وروحها فى غير اعمال ولا افتعال . ولـكي يبقى هذا كشيء له وجه صحيح . يجب ان نجيب على سؤال . وهو اذا سلمنا مايقضي به توحيد المعانى ووضعناه موضع العمل على سنة الموازين المخصصة. فسيكون من المفرد الواحد عدد كبير من الكلمات على عـدد الموازين . ولايخفى مايكون من تداخل بينها مع الاختلاف المعنوي طبعاً . او لا فيكون الوضع تحكمياً . والجواب باختيـار الشق الثانى ولاضير فانه من السنن اللغوية التى تتفق على تباين

---

(١) راجع معجم الادباء لياقوت ج ا ص ١٤٥ و ١٤٦ .

مابين اللغات . . فلو اخـذنا مادة (سَفَح) بمعني صب الدمع و (سَفْح) بمعنى وجه الجبل. وجعلنا هذين المعنيين وحدتي اشتقاق واجرينا عليهما الموازيين ذات الخصوصية. لزم ان يكون معنا (سُفاح) بمعنيين على حسب الوحدة المادية . وعليه فنعمد الى التخصيص الموقوف على التحكم . والاختيار الارتآ ئي المجرد دفعاً للاشتراك . .

(٢) تخصيص الموازيين بمعان وتأديات تقوم بها مقام اللواحق فى الأجنبيـة وهذا سبيل لا مفر منه . ما دامت العربية من اللغات الاشتقاقية لا التركيبية . فلا بد من أن تغني الصيغة فيها غَناء مّا . وتراد لارادة بعينها . ويرى المتتبع لكلمات العربية انها قد أخذت بعضاً من هذا الأخذ فى صيغ بعينها سيمر بنا تعدادها والكلام عليها في فصل (تعليق واستنتاج) . ولكن لم تمائل فيه . فظل أثره كأخذ محدود

وهذا فى نظري شيء قد كانت العربية على دَراك له . لولا أسباب إنقلابية مفاجئة وقفت بها عند حد مانراها مسطورة في غضون الكتب المعجميـة . ومن ثم أصبح حتما علينا نحن اليوم أن نقوم بهذا العمل عمل تخصيص الموازيين . واحلالها لتأديات بعينها قارة . ومن وجه آخر نطلق سبيل الوضع عليها . والاشتقاق وفق ابنيتها من أيّة مادة . و إلا فأي معنى فى قرارة وجدان العربي لتخصيص وزان (فَعْفَعِيل) مثلا بمرمريص . ووزان (فِعلِمَال) بحلبلاب . دون أن نقول منها حَسْحَسِين وحِسِنْسَان إذا ثبت أن لا أمتياز لمادة عن مادة . وأما امتياز التعدي واللزوم فسيأتي الكلام عليه . وبيان وجهه والأسباب فيما يظهر لنا أنه مذهب العرب .

ومن الشطط فى العبث إذن . أن لانروم ما كان يرام وأن لانقول من فعفعيل الامرمريص وهكذا . بل ضرورى أن نستفيد من هذه الموازيين الكثيرة الجمة كما استفاد العرب منها . على مقدار الحاجة الذى هو التعليل الصحيح لعدم وجود إلا مثال أو مثالين من الوزان . عدا عما اضاعه الرواة وفات المعجميين .

وأنا لا أفهم شيئاً وراء هذا من تعاليل تروح هكذا ملتوية حيرى . وكيف أستطيع أن افهم خلاف هذا وفيه وحده ثروة العربية وروحها الوثابة . مما يضمن لها

حياة ثَرَّة في غير تخاذل ولا وهن ولا ضعف . وتعود من قوة حيويتها كما كانت تسيطر على مطاق الأفكار . وتذهب مع شتى التصورات مذاهبها من الدقة والاحتمال ولا تضعف أو تلين لشيء من الآثار المنتشرة بين ضمير الكون وحسه . ولا يلحقها رَهَق ولا مَعجزة في هضم وتمثيل علوم وآداب الأمم المختلفة . بينما تكون حافظة لشخصها رغم ماحُمل عليها وماتمثلته في وجودها .

والحق ان دراسة هذه الموازين من الصعوبة بمكان . ولكنها في الوقت نفسه طريفة ايما طرافة وهي توضح من سير الاشتقاق في العربية وسنة التفريع . وسر الزيادة وان كان على شيء من الغموض ايضا نظرا الى ان النصوص التي بين ايدينا اليوم لا تفي بكل المقصود من الدرس . فهي لا تحتفظ بشيء زائد عما يسمى بالمعاني المطلقة أي لا تحتفظ بخصوصيات هذه المعاني حتى يتأتى لنا درك الملحظ الاعتباري الزائد في الوزان الشكلي . بيد أنها تكشف في الحين نفسه عن أنها خضعت لتطورات كثيرة لبِّدت فيها الخصوصيات الزائدة حتى لم يبق لاكثر هذه الزيادات الا دلالات مبالغية فقط واليك (وزان فُعّال كخطاف وفَعَّال كقذاف وفِعوال الذي منه جلواخ الخ) مما لو ذهبت تتبعه تتقصّى أمره لوجدت دلالات متفاهمة ومعان متصاقبة . لا تباعد بينها الا في اعتبارات قد لا تكون ملحظ العربي ابدا . والشيء الآخر الذي يعتبر التقصير فيه أبلغ . ان الكلمات التي جاءت على هذه الموازين لم تحفظ لنا في استعمالات وشواهد يمكننا أن نطمئن اليها .

ونحن رغم هذا التقصير اجتهدنا في استخراج معان قارة وثابتة لها . بعضها من لطائف الاستعمال . وبعضها من التشخيص المادي . وبعض أخذنا فيه بالتحكم العلمي في مواطن الاصطلاح . وما هذا بغريب عن اللغات حتى التي تنبني ابنباء تركيبيا يسهل معه ايجاد الملاحظة بصورة وافية . فلم يكن اذن مقابلة اللاحقات الكيماوية شيئا يمكن استنتاجه على مقاربة بل بالتحكم المحض والاصطلاح وحده . ولا ضير في هذا ما دامت الكيميائية نفسها تنبني انبناء اصطلاحيا حتى في الاجنبية نفسها .

والواقع أن العبء الذي نضطلع به من هذا . ليس باليسير الهين بل يثقل الى حد الارهاق و يظلع دونه . وهو حري بهذا فانه يقتضي نفوذاً الى ضمائر الالفاظ وهي مستدقة .

وأنا بعد ذلك لا انزلها منزلة أكثر من أنها افكار لها نصيب من الجهد . تدفع بالعربية فى طريق معبد . يزداد مع الجهود المجموعة المستتبعة تعبيدا . ولا أظن أى دارس منصف يرى فيها فرَى على العربية . بل الفرْية الحقيقية فى أن تقف بهذه الموازين على المقدار الاثرى فقط . والفرية فى أن تبقى دراستنا صادرة عن (أي كذا خلقت) هذا الذى كم العربية فى شتى أوقاتها . وجعلها حتى فى أخصب عهود دراستها . لا تخدم مجتمعها فى شيء ولا تصوره ولا تتلون على نسق منه . والسبب فيه هو ما قدمناه من درس العربية على النحو المذكور .

ولقـد يتعاطاك العجب حينما تتولى تأريخ الأثر اللغوى . فى جنب الحضـارة الاسلاميـة فلا تجده الا نذرا أو لا تكاد تعثرله على أثر . إن فى لغة العلم أو الفن أو السياسة أو الادارة . ونظرة واحدة تأتى بها على مثل كتاب(صبح الاعشى)للقلقشندى وديوان الرسائل للصيرفى و (رسالة الديوان) للاسعد ابن مماتى . التى الفت لتصوير الحياة الادارية . وجانب من علم الدولة . تكفى للاقتناع بتخلف اللغة وعـدم خدمتها لشيء ما من أشياء الحياة الجديدة . سواء فى جانب الجد أو الهزل . هذا الجانب الذى يشتمل على الطرف السار المرح من تطريات الحضارة ومباهجها .

وكبير جدا هـذا التخلف الذى نشهده . فان لغة كالعربية امتازت بالسعة فى مذاهب البيان . والتفسح فى جنبات القول الى حد المعجزة . تقف على هذا الشكل عن تناول هبات الحضارة . يبدو عجيبا .

وليس لهذه الظاهرة التى تناقض طبيعة اللغة . وتناقض مرونتها المعهودة . حين كانت تتسع لكل الاشيـاء ولادق الخوالج . بين الانسان والانسان . وبين الانسان وعواطفه وبين الانسان والمجتمع وبين الانسان وكونه الا تعليل واحد هو عدم فهم قدامى اللغويين . مذهب العرب ومعقولهم فى اللغة حتى اضطر الادباء والناس من ورائهم الى تناول الاشياء على ما هي . لان التقدم سنة الطبيعة يشمل كل شيء على رغمه والبيان سنة الانسان التى تلازمه ولا تنفصل عنه . ومن ثم خضع حتى اللغويون فى النهاية لتناول هذه الاشياء واستعمالها على علاتها . بدون ما تشذيب فيها . ولا تغيير لما هى عليه من الشكل .

وهنا استطرق بذكر قصة مؤلمة من بعض الوجوه أوردها أبو بكر الصولي قال[1] (ناظر فارسي عربيا بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فقال الفارسي ما احتجنا اليكم قط فى عمل ولا تسمية . ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا فى أعمالكم ولا لغتكم . حتى ان طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سميناه . ما غيرتموه كالاسفيداج . والسكباج . والدوغباج وأمثاله . وكالسكنجبين والخلنجبين والجلاب . وأمثالها كثيرة وكالروزنامج والاسكدار والفراونك ومثله كثير) فسكت عنه العربي فقال يحيى . قل له اصبر حتى نملك كما ملكتم الف سنة بعد الف سنة كانت قبلها . لا نحتاج الى شىء كان لكم)

هذه القصة التى ننطوى منها على وخز ضمير وألم مرير . كل المسؤولية فيه والتبعة تقع على كاهل هؤلاء الذين وقفوا موقفا حرجا غير مرغوب فيه كما يقولون . وكأن الجماعة فهمت فى العربية أنها لغة لا تنتسب الى عربي الفالوذج واللوزنج . كما تنتسب الى عربي الشيخ والقيصوم . بل هى ثروة خلفها عربي الجزيرة فهى وقف عليه . وهذه الثروة فى عدد محصور محدود من الكلمات طبعاً. فلذلك ينبغى أن لا يتجاوز بها رقم هذا العدد . ويدل على ما نقول من هذا الظن . اختلاف الجماعة فى التعريب وحدوده . فان أولئك الذين كانوا اكثر مزاولة للحياة في حدودها . وخوضاً فى شؤونها الدائمة كانوا أرفق شروطا وأكثر اقتصاداً . وبالأخص حينما وجدوا الحاجة ماسة اليه فقرروه[2] فى معالم واضحة على أشـد ما تكون وضاحة وجعلوا كل ماجرى به اللسان العربى على أوزانه من غير العربية . عربياً ومنهم الأزهري .

وآخرون وهم الذين كانو يقيسون الحياة على مقدار مقعدهم من حلقـة الاملاء . وينظرون الى دهرهم من وراء معلقة امرء القيس ومن اليـه . منعوا التعريب على غير العرب ومنهم ابن فارس .

ولكن يا هؤلاء اذا كانت العربية لا تتناول من شؤون الحياة ما نحسه ونشعر به . وتقف دون البيان عنه بأى لفظ من أية لغة فهى جديرة بأن لا تكون الا فى متحف

---

(١) ادب الـكتاب ص ١٩٣

(٢) لا يفهم من كلامنا انا نقره كما قرروه فانه سيمر بك راينا فى التعريب وانا لا نقره فى شىء ما من اسماء المعاني باطلاق القول وفى اسماء الاشخاص (الاعلام) نجريه على قواعد مخصوصة راجعها في بحث التعريب من القسم الثالث فى المقدمة .

يكتفى الناس منها بالنظر اليها . وأُرَاني غير مطمئن الى أن الجماعة تقرر فكرتها على مثل هذه الغاية . ولكنما تعني شيئاً آخرهو ما سبق لنا أن تكهنا عنه . وهوأن الجدير بكلمة العربية . هى مجموعة الكلمات التى تضمها المعاجم بالنقل عن لسان العرب قبل أن عراه ما عراه . وهذا الوضع الحرج الذى وضعوا فيه العربيه . الحق بها فيما أرى نتائج كأسوأ ما تكون نتائج ومن أهمها :

(١) قصور العربية عن تناول مقتضيات الفكر . ولا ادل على هـذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح فى العربية. فانك واجد فى الشعبة المنطقية كلمات (المادة .والجهة والموجهة) . وقد ذكروا فى تعريفها أن كيفية النسبة فى القضايا (مادة) . واللفظ الدال عليها (جهة) . والقضية الواقع فيها هذا اللفظ(موجهة) . ثم خذ أي كاتب كالسعد ومن يعنون باثار مثله كعبد الحكيم والعطار فى حواشيهم على التهذيب والشمسية . فانك تراهم ينشرون تساؤلا عريضاً عن سبب تسمية الكيفيـة مادة . وهم محقون بهذا التساؤل الذى لايفرغون الى اليوم من جوابه . وان كان الاعتذار ليس بمحل من الاعجاز . وهذا الغزالي فى (محك النظر) يرد اصطلاحهم فى التصور والتصديق ويسميه معرفة وعلماً على أن هذه فى جميعهـا لا ترجع من أية طريق الى جهود اللغويين أبدا . وانما تدين لعمل العلماء فقط .

(٢) جمود اللفظ فى معناه فلا تجـده على مرونة ولدانة كما يجب أن يكون . بل تشعر بأنه يتآزح على نفسه . وينكمش فى طبيعته . حتى يعود اشبه شيء بالحصاة مهما تقاذفتها السيول تبقي كذلك حصاة غير متحولة شكلاً ولا اعتباراً . ومن هنا أتهم بعض مستشرقة الافرنج . اللفظ العربي بأنه (اكاشيه) لا اكثر وسمى العربية (لغةالا كليشات) وجره الى انكار ان يكون فى العربية ادب بالمعنى الصحيح .

(٣) نشوء العامية . ولقد برى عجيبا أن أعد تشدد اللغويين للغة هذا التشدد. جر الى نشوء العاميـة . أو كان الأثر الفعال اليها . ولكني على ما يرى من عجب . فاؤكده بصورة لا تقبل الريب . وذلك لان الوقفة على هـذا الشكل الذى لا يكفل حاجة الناس ولا يعبر عن أغراضهم اليومية . وهي لا تنفصل عنهم بحال . أولا يتأتى لهم أن ينفصلوا عنها بأي وجه . جعل العامة يهجرون تباعاً هذه اللغة التى للخاصة رغم أنها

لغة التشريع والابتهالات . ورغم أن العامة لا تهجر عادة اللغة التي يتميز بها الخاصة الا لأسباب ماسة لها حدتها ولها عنفها . والا فالعامة من الوجهة النفسية تميل جدا لهـذا النوع من التقليد وتميل اليه حد الفتنة .

فالانصراف الذى نلمسه فى العامية . قـد كان اذن لأسباب لا يحقر أبداً شأنها. وكيف تحقر وقد سببت انصرافا عاما ولقد أوخذ بان هذه النتائج التى ارتبها تصح اذا سلم أن العامية كانت عن الانصراف المذكور . ولم تكن لأسباب اكثر وضوحا من الدخيل والامتزاج . ولكن الواقع يقرر أن الدخيل وما اليه . لم يكن بذي بال الا فى الاعراب . والاعراب ليس وحده فارقة اللغة ومميزتها . وربما كان أقرب الى الظاهرة بمعناها الصحيح . المفردات المتخيرة المنتقات . التى تشتمل عليها لغة الخطاب . ولعل غير بعيد أن تكون عامية اليوم أفضل بكثير من عربية القرون التى تقع بعد القرن العاشر. ولنا على هذا أوراق ثبوتية لا تزال تنطق بصراحة . وهناك نتائج يطول تعـدادها . وأعتقد بأنه لولا غلبة العربية بحكم غلبة السلطان ولولا ضيق النطاق العلمى بحيث لا يتجاوز محيط العلماء لضج اولئك العرب كما نضج نحن العرب . وما ذلك من طبيعة اللغة ونحن نشهد مقدار ما هى عليه من السعة يوم كانت اغراض المتكلمين محدودة . حيث الجاهلية حقيقية . مما يصح معه ان نقول بأن العربية القديمة كانت اسمى من تفكير العرب القدامى . ونحن العرب اليوم نغار على العربية . من أن ننظر اليها نظر سالفي اللغويين . وان كنا نعذرهم لان غرضهم اتجه الى وجه واحد وهو حفظ العربية من ان تأتي عليها الألسن الشتى . ونجتهد ونحن ورثة العرب الأولين أن نحقق كوننا خير خلف . وأن نعمل بملء اليدين . وجمع الكفين كما يقولون لاستثمار هذا التراث . دون أن نتركه على وضعه الذى كان عليه . ونكون مع ذلك اكثر صيانة للغة . واكثر فقهاً لمعقول العرب فيها . ولذا كان من نابهي اللغويين الذين يفسرون اللغة على مقـدار ما تستوي مع الحياة . مجاهرةً بان اخذا من هذا القبيل اصبح لازما . واول من اذكر له صرخة جريئة وحكيمة اللغوي المأسوف عليه ظاهر [1] الشويري .

---

(١) هو من لغويي لبنان . وضع عدة رسائل منها (رسالة مفعلة) ورسالة تعقب فيها اخطاء القاموس ورسالة اللمع النواجم فى اللغة والمعاجم ضمنها بعضا من افكاره الجريئة . ويمتاز بالهدوء العلمى في درس ما يدرس . وقد وضعها كمقدمة لمعجم المأسوف عليه جرجس همام الشويري

ولقد لخص جملة افكاره فى عبارات نوردها هنا على اقتضابها قال بعنوات تنبيهات

(١) يجب أن يجعل متن اللغة قياسيا .

(٢) يجب أن نقول بقول ابن السيّد البطَلْيَوْسِي فى الاقتضاب وهوانه لا يقال بالشذوذ ما وجد له وجه قياس

(٣) أن نقول بقول المازني كما فى الاقتراح وهوأن ماقيس على كلام العرب فهومن كلامهم

(٤) أن نقول بما فى مادة (حلف) من المصباح. وهو أن عدم السماع لا يقتضي عدم الاطراد مع وجود القياس .

ولشدة خطورة الموضوع من وجه . ولما احمل من موجدة على الدراسات البتراء التي تعبدها فى غير ما مبرر حكيم . تذهاني المناسبات وتحكم بي على مقدار أن انتقل اليها بالموضوع .

وبحسبي من حديثها ما ذكرت لانتقل الى درس فيه تفصيل على الموازين .وان كنت لا أرى فى موضوعات العرب عليها فوارق حملت الواضع على اختصاصها .الااذا صدق الظن الذى تقدمنا به من أن الفوارق تلبدت على مد التطور وغابت عن متناول الرواة . وقد يقوى هذا الظن أن تكون آخذة شكلا تِقْنِياً [1] . على منحى موزون خذ (فَعَفْعِيل) الذى يظهر أن أصله (فعِيل) و (فِعْلِيت) الذى يرجع الى (فِعل) و (فعلِين) كذلك وهكذا مما سنأتي على ابداء الرأى في جميعه . باعتماد المقارنة التشاكلية .وان كنت أقطع بأني مع هذا لا امثل تمام معقول العربي فيها ولكني اطمئن اليها على أي الأحوال .

والملاحظة التي لازمتنا فى دراسة الموازين . أن العربية كانت تصدر عن لواحق تزاد على الوزان اذا أريد لافادة معني اللاحقة زيادة على معناه . بدليل السوابق وما لها من المعني المعتبر فى العربية الشاهدة كسابقة (أسْت) فى (استفعل) التى تفيد الطلب أوالصيرورة أو المد. وأظن بأن هذا يقطع عرق النزاع كما يقولون من انه كان فى العربية سوابق ولواحق لم تتوضح تماما عند قدامى اللغويين.

---

(١) كلمة من وضعنا الجديد جعلناها ترجمة لكلمة (technical) واصلها من مادة (تقن) العربية التى جاءت بمعنى الطبيعة والموافق من كل الجهات .

وكنا سنذهب إلى تقريز هذا الذى وضح لنا واعتبرناه ظاهرة ليس فيها شك يد امتنعنا منه لشيئين .

(١) انها خطوة واسعة تشبه الطفرة التى لا تخلو عقَا بيلها من بعثرة وفوضى مستطيرة . وليس ذلك من عدم صدق النظر . وانما من عدم سلامة التطبيق من وجه. ولندرة الأمثال المحفوظة على هذه الموازين التى تحتفظ باللواحق من وجه آخر .

(٢) حرمة موازين العربية التى هى شخصية اللغة . أن ينضاف اليها ما لم يكن منها . ومعناي بهذا أنا بتقرير معنى اللواحق بعيداً عن الميزان ثم اضافتها على الوزان لتحصيل المعنى المطلوب يؤدي إلى تزيد كبير فى الموازيين الجديدة على أشكال لم تعرفها العربية العريقة . لانها لم ترمْ حاجة اليها . وان كانت ظواهر الدرس تقتضى ان العربى كان يعتمد لواحق بعينها لدلالات بعينها . ومن يشك فى هذا إذا تناولنا (بعيدين عما تسببه الدهشة من استنكار عابث) مثل وزان (فَعلوت) (وفَعْللوت) و (تَفَعْلُوت) ووزان (فَعْلان) و (فِعْلان) و (فُعْلان) ووزان (فُعْلُم) و (فِعلِم) و (فِعلَم) ووزان (فِعلين) و (فِعْلن) و (فِعْليت) وهكذا .

وانما خصصنا مثل هذه الموازيين بالذكر . لأنه يظهر فيها بصورة قاطمة للتردد أو الاسترابة . ان العربية كانت خاضعـــة لما يدعونه بالواحق فى مذهب زيادتها ولكن تشذبت هذه اللواحق حتى عادت وهي جزء من الوزان لا تنفصل عنه وكان هذا بفعل الصقل اللغوى المستمر .

وينبغي أن يتنبه إلى الفرق بين كون اللغة تصدر عن لواحق . وبين كونها تصدر عن موازيين شكلية . فان الأول يكون أوسع نطاقاً لان الواضع لايتقيد معه بشكل من أشكال الموازيين ، بل يضيف اللاحقة على أى وزان مجرد عنها لافادة المعنى الزائد . فمثلا لو فرضنا أن لا حقة (غِسْلِين) التى هى عندنا نظرنا (ين) تدل على معني الخلاصة وأردنا أن نفيد خلاصة من اسم مفعول (كَلْبُون) مثلا الذى هو بمعني . المضاف اليه اللبن نقول (مَلْبُونين) وهكذا مما لو أخذتها فى (فعيلين) و (فَعَالِين) وشبهها لوجدت بأن مجال العمل عليها أوسع نطاقاً من حيث الفائدة . ولـكن يُقْعِدَ دونه أنه

اصطناع للعربية اصطناعاً. بخلاف ما إذا كان التفريع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط ، فانه يكون فى غايته اشتقاقاً متوسطاً . وقد تدرك فرقاً واضحاً بينهما. وان كنت أعود فأقرر بأن ظواهر الدرس الذى أخذت بأسبابه على الموازين يعطى هذا وأنه مذهب العرب ، ودليله ان لاحقة (وت) لم تختص بوزان مّا . له طابع يميزه كما رأيت فى فَعَلوت . وتفعلوت . ولكنه كان مع ذلك خاضعاً لشروط أهمها .

(١) أن لا تزيد الكلمة باللاحقة على أكثر العدد الذى تكون منه الكلمة فى العربية .

(٢) أن لا تجتمع فيها لاحقتان (كفعلان) مثلا فلا يجىء منه (فَعْلانِين) و (كفَعْفَعِيل) لا يجىء منه (فعفعيلين) وهكذا .

ويظهر أن اللاحقة تعتبر فى أكثر من حرف . فكل ما كانت الزيادة فيه حرفاً فقط كان وزاناً أصلياً يجوز أن تتبعه اللاحقة وتنضاف عليه . ونحن رغم أنا نظن بأنه مذهب العرب على صورة مؤكدة . فلا نرى العمل عليه للمحافظة على شكلية العربية. على أن كثرة هذه الموازين المحفوظة مغنية عن أحياء اللواحق والاشتقاق عليها .

ولنأخذ فى عرض خصوصيات الموازين . كل ميزان على حدة لينجلي أمرها على صورة لا يتوقل من بعدها سير الاشتقاق . وهذا الأخذ وحده الذى ينقذ بحق الوضع العربي ويمهد السبيل اليه بحيث لا يبقي عائق. عن افراغ التعبير بما لا يتفاوت معه فى تعبير النفس وتصوير الضمير .

وأهميته هذه آتية من حيث إنه يضمن توزيع الوحدات المادية على نسق علمي صحيح ، وهنا يجىء أمر التنبيه على شيئين لهما أهميتهما فى بحث الموازين .

(١) مسايرة الجماعة فى اعتبار الاسمية والوصفية فى كل وزان . ولكن على أن لا نستثني من الموازين واحداً عن هذا الاعتبار . ولا نقف عند[1] قولهم (وقد يختصون الصفة بالبناء دون الاسم . والاسم دون الصفة . ويكون البناء فى أحدهما أكثر منه فى الآخر الخ) لأنه وقوف مع الموجود من العربية بدون مجاوزة فى النظر من أجل

---

(١) راجع الكتاب لسيبويه ج ٢ ص ٣١٥ .

التماس التعليل الصحيح . وإلا فأي معنى لهذا التقسيم الشاك غير المطمئن سوى الحيرة فى فهم مخلفات العربية على الوجه الواقعى .

(٢) هذه الزنات جميعها تقبل زيادة التاء المتحركة والتجريد . لاعتبارات من التأنيث والوصفية والمبالغة مما يجمعها قولهم (علامة الفرعية) وهذا قد نص سيبويه عليه فى غير موضع من الكتاب وبالأخص فى (باب [1] ماالحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل)

فَعْـل

خصوصيته الدلالة على الاتصاف بوحدة المادة تقول (رَنْج) للشيء فيه الغلق .

فَعْلَل: خصوصيته الدلالة على ماتعددت فيه الوحدات من الوصف تقول (زَبْدَد) للمتعدد الزُبْد .

فَعْلاء: خصوصيته الدلالة على المكان يوجد فيه الشيء على معنى التميز . وعلى تعدد الشيء فى غير انفصال . تقول (حَرْجاء) لمكان الغابات الكثيرة و (صَنْعاء) للمكان تكثر فيه الصناعة .

فَعْلان : خصوصيته الدلالة على تكامل الوصف فى الشيء تكاملاً من كل الجهات تقول (رَوْنَان) أى صوت متكامل وآلة ذات رونان .

فَعْلَت : خصوصيته الدلالة على سرعة التأثر أو الانفعال . وعلى سرعة الاحتراق . تقول (عَصْبَتٌ) لتأثر الاعصاب السريع .

فَعْلَن : خصوصيته الدلالة على نفوذ الوصف إلى غاية الباطن ومن ثم يوضع منه لظواهر العقل الباطن تقول (نَفْسَن) للرجل المختص بالأعمال النفسية كالمنوم المغنطيسي .

فَعْلُوَة : خصوصيته الدلالة على البروز من الوصف تقول (أُنْبُوَة) للجدول ينبثق من أعلى الجبل ويوافق الجبل في انحداره . (حَبْنُوَة) لنتوء الداء البطنى المسمى بهذا الاسم .

---

(١) راجع الكتاب ج ٢ ص ٣١٦ .

فَعْلُوت : خصوصيته الدلالة على الاستحالة من شيء إلى شيء تقول (فَلْزُوت) لاستحالات المعادن إلى أشيائها العنصرية . وفى (الاقرباذين) يدل على المصول تقول (كَلْبُوت) لمصل الكلب و (حَلْبُوت) لمصل الحليب .

فَعَل

خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالمادة مع توزع وعلى ما هو مثل (الزنبرك) للوصف تقول (رَعَج) لذي المال الكثير الموزع فى أيدي الناس بالترابي .

فَعَلّ : خصوصيته الدلالة على الذى يحتوى على المائة الألفية من الوصف تقول (عَقَدّ) الذى يحتوى على أكثر من ألف إلى مائة ألف عقدة . و يدل أيضاً على الخلل في الشيء تقول (نَغَمّ) للنغم المختل المضطرب و (مَعَدّ) المعدة فيها ضعف .

فَعَلاء : خصوصيته الدلالة على الامكان من الوصف أي مايلاقي الزائدة (ble) في كلمة (salvable) أى ممكن التخليص تقول حالة الجو (سَحَباء) أى ممكن أن ينشأ سحاب .

فَعَلان : خصوصيته الدلالة على التفعل والاضطراب خفيفاً أو ثقيلا تقول منه لاضطراب الأنهر الرقيقة ولاضطراب الآليات تقول (هَرَمان) للمضطرب من الهرم . وفى كونه اسماً يدل على الذى يبدو ويختفي كالأضواء القائمة على وضع كيمي .

فَعَلّان : خصوصيته الدلالة على الألف الألفي تقول (عَقَدّان) إذا كان يحتوي على أكثر من مائة ألف عقدة

فَعَلْنَى : خصوصيته الدلالة على مايحدث إثارة عظيمة تقول للقنبلة (فَنَيْنَى) أي تثير الفناء و(فَنَيْناة) أيضاً .

فَعَلُوتَى : خصوصيته الدلالة على استيلاء الوصف على الشيء بمبالغة تقول (رَكَبُوتَى) .

فَعَلَيًّا : خصوصيته الدلالة على النفاذ إلى الصميم تقول (حَزَنِيًّا) أي حالة حزن نافذة إلى الصميم .

فَعَلُول : خصوصيته الدلالة على القابلية السريعة تقول (مَصَحُوح) للشيء يتلاشى ويمصح بسرعة .

فَعَلِيل . خصوصيته الدلالة على ذي الخاصة التي يفرزها في الغير فتكتسب خاصته أو يفعل فيها ذلك ويأخذ اسما من الخاصة تقول (خنصيص) للنبات السام الذي يضاف على الأشياء ليفعل فيها هذا الأثر .

فاعال : خصوصيته الدلالة على الذي يفعل الوصف بنفسه أو الذي يفعل نفسه ويقوم مقام السابقة الأجنبية (auto) ولكن يغلب في المعنى .

فَاعَل : خصوصيته كخصوصية فاعال ولكن يغلب في الحس .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على مثل ماتدل عليه فاعال بملاحظة الملكة ويدل على الخاصية أيضاً .

فَعَالاء : خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالمعنى مع محاولة خلافه تقول رجل (شَرَارَاء) يقع في الشر مع محاولة الخير .

فَعَّال : خصوصيته الدلالة على المبالغة في الفاعل . واذا سمى به كان المراد منهُ ظهور الملكة والتخصص . فاذا قلت (نوَّار) كان المعني الشيء الذي يعطي النور بكثرة عن ملكة ثابتة . وأما (نوَار) بالتخفيف فالمعنى فيه . الذي خاصيته النور فيقال على (الفوسفور).

فَعُل

خصوصيته الدلالة على الشيء ذي الوحدة من الوصف تكون في مضاعفات تقول (رَبُل) للذي لحمه في طبقات . ويدل أيضاً على معنى (كثير وأ كثر) الذي يقال له في الأجنبية the comparative أي تفضيل المقابلة . وهو لا يراد منه معنى (أَفْعَل)

التفضيل تماماً بل يخص بما الوصف فيه من نفسه بخلاف (افعل) فهى أصل عام فى باب التفضيل مطلقاً .

فَعُلَّة : خصوصيته الدلالة على التطاول المترتب الجانح إلى المستقبل تقول (الدَّلُجَّة) ومعناه سرداب المستقبل المظلم

فَعُلَان . خصوصيته الدلالة على التكاثر بالانقسام تقول (حَيُوَان) أى حي نقاعي يتكاثر بانشطار الخلية وهو التوالد الذاتي .

فَعُول : خصوصيته الدلالة على التفضيل فى الطبيعة تقول (طَيُور) لأعظم الطير سرعة و (فصيلة طَيُورية)وأيضاً (سَبُوح) لاعظم السمك سرعة . وهو يفيد معنى (الاكثر) الذى يقال له فى الاجنبية the superlative أى تفضيل المبالغة

فَعُولَى : خصوصيته الدلالة على الأقل ملكة مما فى (فَعُولاء) الآتي تقول (ليلة بَرُوق) أي بروقها ليست من كل الجهات .

فَعُولاء : خصوصيته الدلالة على الخاصية المتفردة وفى اكمل ما تكون عليه تقول (ليلة بَرُوقاء) .

فَعُّول : خصوصيته الدلالة على مضاعفة المبالغة ويكثر فى العددي والاعتباري العددي تقول (شَبُّور) للقياس المنبني على اعتبار الشبر .

فَاعُول : خصوصيته الدلالة على الأشد كثرة فى الحس أو المعنى وهو وفَعُول وفَعُل ملاحظ فيها الأفضلية الطبيعية وترتيب معناها (أكثر والاكثر والأشد كثرة وهذه الثلاثة عند نظرنا تنويعات محضة لا تنظر فى ثلاثتها إلا إلى معنى واحد تقول (رَوُن) للكثير الصوت و (رَوُون) للأكثر صوتاً و (رَاوُون) للأشد كثرة .

فاعـولاء : خصوصيته الدلالة على الكثرة المطلقة في تعمل تقول (آلة قاسوماء) أى تقسم المحجم إلى ما لا يحصى كثرة .

فَعِـل

خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يكون أكثر انفعالا بالوصف أو هو مصدر الانفعال أو محل توارد الانفعال . تقول (نَفِق) لمصدر النفوق .

فَعِلّ : خصوصيته الدلالة على المبالغة فى وزان فَعِل .

فَعِلان : خصوصيته الدلالة على لزوم الوصف مع تماسك تقول (نوِرَان) .

فاعِل : خصوصيته الدلالة على الفاعل .

فَعِيل : خصوصيته الدلالة على لزوم الوصف لزوماً لا ينفك إذا سمي به تقول (صَنِيم) لخبث الرائحة التى تلزم بسبب علل فيزيولوجية فى الجسم .

فَعِيلاء : خصوصيته الدلالة على الصناعي يكاد يكون كالطبيعي تقول (صَوِيفاء) للصوف الصناعي الذى يعمل من اللبن المبتكر فى ايطاليا وتقول (قَلِيباء) للقلب الصناعي الذى اخترعه الدكتور كاربل .

فاَعِلاء : خصوصيته الدلالة على الاستطالة فى الفاعل تقول (بازناء) أى آلة تحفظ الحرارة في استطالة .

فُـعْـل

خصوصيته الدلالة على المتصف بالوحدة فى لزوم طبيعي أو آلي تقول (كُلْد) للشيء المتجمع بعضه علي بعض انجماعاً لا ينفك إما فى الطبيعة كبعض الآفات المرضية وأما فى الصناعات كالزنبركات المضغوطة .

فُعْلة : خصوصيته الدلالة علي المفعولية أو الانفعالية وتخص بمعنى الاستعداد في الاشياء تقول (فلان أُدْبَة) أي مستعد للادب ومطبوع عليه . وتزاد التاء فيه لزوماً

فُعْلاء : خصوصيته الدلالة على ما يشبه التكهرب تقول (رُوْكاء) أى صوت الصدى المكهرب ويمكن أن يوضع للموجة الكهربائية .

فُعلُم . خصوصيته الدلالة علي الذى توجد فيه مضاعفات تجعله صنفاً آخر تقول (خُضرُم) للأخضر الذى ضوعف في خضرته حتى عد صنفاً آخر من الألوان

فُعْلَان . خصوصيته الدلالة على الوحدة أو الأصل في الوصف تقول (نُهرَان) الذى كأنه وحدة الأنهر أو مصدرها .

فُعْلُول . خصوصيته الدلالة على التراثي من الوصف تقول (مطر هُطْلُول) يتراثى أنه يهطل ومرآة (قُطْرُور) يتراثى أنها تقطر .

فُعْلُل . خصوصيته الدلالة على الذى يجمع عدة أفعال من الوصف ويفعلها دفعة تقول (قُفْلُل) للقفل الذى يقفل من جهتين دفعة واحدة .

فُعْلُوَان : خصوصيته الدلالة على الأول من الوصف والاقدم في الوصف أيضاً تقول (عُمْرُوَان) للانسان في أول العمر . وأيضاً لأقدم مُعَمَّر .

فُعْلَل : خصوصيته الدلالة على الذى يجمع عدة أفعال من الوصف ولا يفعلها دفعة واحدة تقول (قُفْلَل) للقفل الذى يقفل جهتين أو جهات ولكن على التعاقب .

فُعُل

خصوصيته الدلالة على الشيء المتصف بالصفة العجلى من المعنى على لزوم تقول (سُبُح) للمنطلق الشديد فى البحر .

فُعُلّ : خصوصيته الدلالة على الاطباق فى انتشار تقول (عُدُلّ) أي العدل المنتشر المطبق و (دُخُنّ) للدخان المنتشر المطبق .

فُعُّل : خصوصيته الدلالة على الذي يلزم لزوماً في غير انفكاك ويكثر في الظاليات تقول (طُبُّع) للاكليشيه أو طُبُّعَة .

فُعُلان : خصوصيته الدلالة على الأصل تتفرع عنه الأشياء أو تقوم عليه تقول (نُورَان)أي المصدر الموزع للنور و (حُجُران) للحجر تقوم عليه الاحجار كحجر سِنِمَّار

فُعلاّن : خصوصيته الدلالة على المثوي و (فُعل) للدلالة على الاحادي و(فُعلّ) الدلالة على العشري تقول (عُقدّان) لما يحتوي على مائة عقدة إلى الف و (عُقدّ) لما يحتوى على عشرة إلى مائة و (عُقد) لما يحتوى علي عقدة إلى عشرة .

فُعُول . خصوصيته الدلالة علي الذى يفعل مضاعفة عددية إن في الطبيعة أو الصناعة تقول (سُيُور) للذى يسير مضاعف معدل النسبة العامة للسيارات السريعة .

فُعُلّى : خصوصيته الدلالة على مايكون بسببه الوصف تقول (لُعُبّى) لمن يثير اللعب ولا يلعب وبعبارة أوضح خصوصيته الدلالة على كل مايثير صفة فى الغير بدون أن يكون متصفاً بها . .

فُـعَـل

خصوصيته الدلالة على الذي يأتي الوصف من أخفى وجوهه حقيقة أو على التنزيل مع المبالغة فيه تقول (خُدَع) الذى يخدع خدعة خفية .

فُعَلَة . خصوصيته الدلالة على التطاول المترتب الجانح إلى الماضى تقول (الدُلجَة) لسرداب الماضي المظلم على التجوز .

فُعَلاء . خصوصيته الدلالة على مثل التراني أو الاعتقـاد حتى يصير صفة ومنه يقال أيضاً على مثل التوقد والتألق و بعبـارة أشمل الوصف على التوهم تقول (نُهَراء) للنهر الراكد الذى يوهم أنه جار .

فُعَلَى . خصوصيته الالة على التطفل الخفي كالأشباح والأوهام وما اليها تقول (عُجَّبى) و (عُجَّهَاة) للمتكبر على الوهم . . .

فُعَال . خصوصيته الدلالة على مثل لاحقة (grah) تقول(رُوَان) للفنوجراف .

فُعَّال . خصوصيته الدلالة على طبع الانطباع إذا وضع على بناء (فُعَال) تقول (طُبَاع) آلة تصوير المطبوع و (طُبَّاع) الاكليشيه و إذا لم يوضع على بناء (فُعال) كانت خصوصيته الدلالة على الملكة المصطنعة أو على شبه الملكة بمبالغة أي على شبه

(فعّال) وبعبارة أخرى الذى تكون له صفة غالبية تجعله يوصف بصفة غيره خذ (عوّار) الذى هو البثر في العين مما يجعلها أشبه شيء بالعوراء وعليه فيوضع منه تخصيصاً للشيء الكاذب ومن (فعّال) للشيء الصادق تقول (مرض حرّاق) إذا كان شديد الحرق حقيقة و (حُرّاق) إذا كان يوهم كذلك

فُعَالَى : خصوصيته الدلالة على تدرج الشيء في الانطباع بالصفة أو على فترات الانتقال تقول (ثمر نُضَاجَى) أي في فترة النضوج .

فُعّالَى : خصوصيته الدلالة على الانطباع الطبيعي أو شبهه ونعني بالطبيعي مطلق مالادخل للانسان في صنعه فيقال لصور الأحجار التى توجد كذلك في الطبيعه تقول (وجدت زُهّارَى) أي حجرة مرسوم عليها زهرة ويقال بهذا المعنى من فُعّال .

فُعّلان : خصوصيته الدلالة على الطفيلي على الاشياء مطلقاً تقول (زُزّان) أو (رُزّان) للصوت الطفيلي على الأصوات مما يصلح أن يكون في مقابلة كلمة (parasite) على الأصوات . وإنما أخذناه من (فُعْلان) أيضا بهذا المعنى لأنه يقارب (فُعّلان) بالدلالة وأخف منه . وتقول (كُتّبَان) للكتابات التى تضاف بين الاسطر للتوضيح أحياناً وهكذا مما يشاهد في المطبوعات التركية .

فُوْعَال : خصوصيته الدلالة على التداخل والنشر أي ما يفعل هذا الفعل تقول (ظُوهَار) لكل ما يختفي ويظهر .

فِعْل

خصوصيته الدلالة على المحدود . وعلى الضئيل الناعم تقول (نِصْل) للنصل الذي لايترك دقيق الشعر وتسمى به (آلة الحلاقة تحت الصفر) و (نِعْم) للناعم جداً وتسمى به (البودرة) .

فِعْلِل : خصوصيته الدلالة على الضؤولة البالغة على معنى أنه يدل على ما هو دون معدل الصفر كثيراً تقول (نِصْلِل) لآلة الحلاقة التي هي دون الصفر بعدد كبير .

فِعلِم : خصوصيته الدلالة على الكشوفات والامتزاجات وعلى مثل الدوائر في الشيء تقول (خِضْرِم) للخضرة دخلتهـا كشوفات تلوينية و (لِينِم) لمطلق اللون الذى دخلته كشوفات .

فِعلَم : خصوصيته الدلالة على مادون أن يقال عليه الوصف أوعلى الأقل النسبي عما يقال عليه الوصف تقول (لِينَم) لمطلق اللون الذى هو أخف من أن يوصف بصفة من الألوان الرئيسية وتقول (خِضْرَم) للأخضر الفاتح . .

فِعلِن : خصوصيته الدلالة على ضؤولة الوصف الباطني . وعلى الخلاصة الروحية تقول (قِدْسِن) بمعنى الطهر الباطنى الضئيل وتقول (كِتْبِن) للطلاسم المكتوبة التى تفعل فعل الخلاصات

فِعلاء : خصوصيته الدلالة على اداة الوصف تقول (صِيتَاء) أى اداة الصوت ويصلح لأن يسمى به (الميكرفون) و (الرِينَاء) أى اداة الرون ويصلح إسمًا للميكرفون أيضًا .

فِعلِيل : خصوصيته الدلالة على الاقتران بالشيء إقترانًا كالاتحـاد تقول (إِرْضِيض) لما يقترن بالارض من المعادن الاولية و (زِغْبِيب) لما يقترن بالزغب من الدويبات تقول فصيلة (زِغْبِيبِيَّة) . .

فِعلِيت : خصوصيته الدلاله على الاستتار في الوجدان أو الضمير والرجوع إلى التحولات المندثرة تقول (إِبْدِيت) للذى تحتكم به روحان إحداهما جبلية والأخرى عصرية . وبعبارة أوضح يدل على الرجوع إلى التاريخ السحيق والابتعاث فيه ويدل ايضًا على ما خالط الوجدان أو حل فى موطنه تقول (عِقْرِيت) للذى ينطوي على ألم مرير كأن فيه عقرًا ينز على الدوام فهو يتأفف منه

فِعلِين : خصوصيته الدلالة على ما ينزل منزلة اللاحقة (ine) في الأجنبيـة كفسفورين، ويدل أيضًا على الأصل الفعال في الاشياء تقول في (الشاى) إذاعددناها

كلمة من العربية باعتبار أنها قد تمكنت فيها إلى حد ان أخذت مسحة عربية سابغة .
ويمكن انزالها منزلة كلمة (باز) الطائر المعروف وعليه فتكون الألف منقلبة عن (واو)
فيقال في بناء فِعلين منها (شِوْيين) وبالاعلال الواجب (شِيَين) لاشايين) ومن
(قهوة) (قِهْوِيين) لا (قَهْوِين) .

وخصوصية هذا الوزان العامة الدلالة على انجماع الوصف في شيء من أشياء أو في
جزء من كل . لاحظ جيداً (غِسْلِين) التي بمعني ما يغسل من الثوب . و إذا لاحظت
أنه يرد الى (غِسْل) ومعناه الماء يغتسل به كان معنى الوزان الذي ينفعل بالغسل .
وبما أنه جاء بمعنى المِدَّة أيضاً فلا بأس من أن نجعل له إصطلاحاً طبياً ويراد به
الافرازات المتغيرة مطلقاً تقول (صِفْرِين) لافراز الصفراء المتغير و (بِيلِين) للبول
المتغير وهكذا .

فعلياء : خصوصيته الدلالة على وحدة الصفة النفسية التي أصبحت وجداناً وطبعاً
تقول (عِشْقِياء) أي وحدة انفعالات العشق .

فِعلُوة : خصوصيته الدلالة على المستخفي وله عمل افرازي تقول لشجر (caoutchouc)
وغيره من النباتات مما له هذا العمل ومنه نشتق (جِخْنُوة) للمغارز تكون في منعطفات
الأشجار تفرز افرازاً ما . وفى الطب يدل على ما فى الغدة من المادة تقول (جِبْنُوَة)
ترجمة لكلمة (thyrosis) أو thyrosin اللتان تطلقان على مادة منعقدة ناشئة عن
انحلال المادة الأولية .

فِعْلِيَة : خصوصيته الدلالة على البعثرة مطلقاً تقول (حِبْنِيَة) داء له بعثرة فى الجسم

فِعْلِيَان : خصوصيته الدلالة على المايل إلى الشيء أى ما يقوم مقام اللاحقة
(ish) فى الانكليزية من مثل (greenish) أي مايل إلى الخضرة . ويدل على
الذى يتعلق بالوصف تقول (طِيرِيَان) وهكذا . وقد يوضع منه للدلالة على المعنى
الذى يشف عنه الحس تقول (شِبرِيَان) أى النحالة في صناديق زجاجية تعيش فيها
النحلة ويرى من خلالها كيف تقوم بوظيفة التعسيل .

فعْلَان : خصوصيته الدلالة على الشيء المحشو من معنى الوصف أو في معنى الوصف تقول (مِلأَن) أي خبز محشو بخبز و يصلح أن يوضع اسماً (لخبز فينو)

فعِوَل : خصوصيته الدلالة على الآفة مطلقاً او المرضية فقط بدون تخصيص بشيء من نبات أو حيوان تقول (إِبْوَط) للداء يصيب الابط و (عِضْوَل) للداء يصيب العضل .

فعِوَلّ : خصوصيته الدلالة على الذى له طبيعة لينة إلا أنه يتصلب أو يفتعل التصلب تقول (قِشْوَرّ) للقشر اللين يتصلب .

فعِوَال : خصوصيته الدلالة على التجمع من شتى الأشياء مع وجود الفة بينها يدخل في الكيمياء وغيرها تقول (لِوَّان) أي لون متجمع من عدة الوان ليس بينها الفة .

فعِيَال : خصوصيته الدلالة على التجمع كذلك من شتى الأشياء مع وجود الفة. تقول (لِيَّان) أي لون يجمع من عدة الوان بينها الفة وتقول (طِيَّاس) أي جمال مع تناسب والفة في التقاسيم والأعضاء .

فعِيَل : خصوصيته الدلالة على الألفة النفسية و بعبارة أوضح يدل على التعشيق بين الأشياء في النفس . تقول (ظِرْيَف) للألفة بين الطرائف المختلفة عند النفس . و يدل أيضاً على كل ما له اتصال بالنفس تقول (حِجْيَن) أي اعوجاج نفسي .

فعِيْوَل : خصوصيته الدلالة على المركبات التي تأتي بعمل تفاعلي سواء كان آلياً أو طبيعياً أو عضوياً ولكن يغلب في الآلي تقول (كِبْيَوْن) للآلة المركبة من قطع تحدث تفاعلاً من الوصف الذى هو العدو في استرسال سريع. مما نضعه ترجمة لكلمة (autobus) ومن هذا الوزان يوضع لأي (motor) وتقول (بِزْيَوْن) لمطاق المحتفظ بالوصف من حرارة أو برودة .

فِعِل

خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يتعدد فيه نظير الوصف تقول (بِهِز) للآلة التي لها عدة دفعات عنيفة بالتوالي .

فعِلّ : خصوصيته الدلالة على التعمير الحبوي بانفصالات وغير الحيوي بتولدات ذاتية تقول (كِتِبّ) للكتاب الذى مضى عليه زمن واحتفظت به ظروف كأوراق البردي المكتشفة في (تل العمارنة) أو تسمى (سِجِلا) بهذا الملحظ.وفي (العددي) يدل على أكثر من المليون تقول (عِقِدّ) إذا كان يحتوي على أكثر من مليون عقدة .

فعِلاَّن : خصوصيته الدلالة على الصفة البالغة في الشيء تقول (حِرِكاًّن) للبالغ الحركة . وفي العدد يدل على (المليار) فأكثر العدد تقول (عِقِدّان) إذا كان يحتوى على مليار فأقصى العدد .

فِعِلَّى : خصوصيته الدلالة على الانتشار والتقبض نتيجة عمل آلي تقول (الرِسِنَّى) للآلة تطوي الحبل وتنشره .

فِعِلْعَال : خصوصيته الدلالة على الذى ينفعل بسرعة ويدوم انفعاله طويلاً تقول (سِخِطْخَاط) أى يسخط بأشد ما يكون سرعة .

فِعَل

خصوصيته الدلالة على اقتران المتعدد في الوصف اقتران خليط أو اقتران إزاء تقول (إِبَز) للشيء يكون على اطراف تتوثب على اقتران .

فِعَال : خصوصيته الدلالة على التكاثف تقول (منظر ظِهَار) أى ظاهر من خلال كثوفات .

فِعَّال : خصوصيته الدلالة على شدة التكاثف دون الشيء تقول (حِبَّار) للحيوان البحري الذي يولّد الحبر ويختفي فيه .

فِعَلَاء : خصوصيته الدلالة على الثني والامتداد هنا وهناك تقول (نِهَراء) للنهر المثني الممتد .

فِعَالة : خصوصيته الدلالة على العلم أى ما يقوم مقام لاحقة (logy) في الأجنبية تقول (نِبَاتة) أى علم النبات و (صِحَافة) أى علم الصحافة .

فِعَلْن : خصوصيته الدلالة على المنفعل كثيراً بالباطن و بعبارة أخرى الذي تتسلط عليه آثار الباطن تسلطاً شديداً . و يدخل فيه المنفعل بمناطق اللاشعور تقول (شِعَرْن) لمن يتسلط عليه شعور باطني عميق .

فِعَلْنَى : خصوصيته الدلالة على التكيف بصفة أو شكل أو القدرة علي التشكل مطلقاً تقول (صِوَرْنَى) لمن يتصور بكل صورة ارادها .

فِعَلْنَاة : خصوصيته الدلالة علي خصوصية (فِعَلْن) ولكن بزائدة وهى الدخول من تأثيرات الباطن في سبات شديد تقول (شِعَرْنَاة) لمن يسبت تحت شعور ما .

فِعَلَّى : خصوصيته الدلالة علي الاتصاف بالشيء علي تفرد وامتياز تقول (الدِّنَقَّى) لأشد الأمراض بحيث يتميز من بينها .

فِعَلّ : خصوصيته الدلالة على الاستطالة من الوصف تقول (مِرَنّ) للشيء ذى الرنين الطويل الصدى والرجع

فِعَلّ : خصوصيته الدلالة على التحبب أى الكون حَبّاً تقول (خِلَّص) لعظم الاذن الدقيق الذى له عمل دائم من قولهم (خاص) العظم نشط

الزيادة بالهمزة :

أَفْعَل : خصوصيته الدلالة على التفضيل مطلقاً . فاذا وضع إسماً كان الملاحظ فيه مضاعفة الوصف .

أَفْعَال : خصوصيته الدلالة على التفضيل المطلق ويظهر أن هذا الوزان هو إسم التفضيل القديم في العهد الصوتي وقد تطور إلى (أَفْعَل) وتوسعاً تقبل الصيغتين .

ونخص الأول بالتفضيل النسبي والثاني بالتفضيل المطلق . ومن هذا الوجه قد يشابه ماهنا . ثلاثة الموازين السابقة وهي (فُعَل) و (فَعُول) و (فاعول) والفارق بين الطائفتين أن (أفعَل وأفعَال) ملاحظ في خصوصيتهما الأفضلية الاكتسابية . و (فَعُل)واخواته ملاحظ فيها الأفضلية الطبيعية .

إفعِل : خصوصيته الدلالة على الندرة المطلقة الممتازة ويدل أيضاً على علائم الاشياء المطلوبة تقول(إغلِمة) للعلامة التي يستدل بها المهندس الجيولوجي على البترول. ولا يبعد أن يكون هذا الوزان متحللا عن وزان (إفعِيل)

إفْعِيلَى : خصوصيته الدلالة على ماوراء الظواهر أي يدل على الاستخفاء تقول (فلان له إعقِيلَى) أي تعقل باطني وانجذاب إلى اللاشعور و (فلان عنده إغرِيفَى) أي تعرف وتكهن باطنيو (إكلِيمَى) أي تكلم في الباطن مما يصلح أن يكون ترجمة لكلمة (فنترلوكستس[1]) في الأجنبية (أي المتكلم في الباطن) .

إفعَل : خصوصيته الدلالة على مطلق الآلي وأيضاً على الشيء الذي تتجمع به المواد أو تنفصل . وبعبارة أخرى يدل على مايفعل فعل آلة خفية فيغيرها من غير أن يكون آلة . وعليه فيشتق منه لكل التجربات الكيمية والتحليلية . فيقال لعملية تحليل الماء (إمَاهَة) ويظهر أنه متطور عن (إفعَال) .

إفعَال : خصوصيته الدلالة على الآلي المحكم وعلى التفعل أو التعمل الذى يثور وتظهر اثاره فتقول منه للمواد التي إذا وضعت على بعضها احدثت اثاراً شديدة . ويظهر لي أنه محول عن مصدر الرباعي ولينتبه هنا إلى أن التسمية بمصدر الرباعي من (أفعَل) سواء في الحس أو المعنى لايكون إلا بملاحظة معنى (السلب والازالة)ولاجل أن لايشتبه تخص التاء في غير المصدر لزوماً .

أفعِل : خصوصيته الدلالة على التفرق في الدقائق والانتشار المحدود .

أُفْعُل : خصوصيته الدلالة على الامتداد في تقطع أو في ذبذبات وتكسر فيقال

---

(١) راجع كتاب الفلسفة العقلية للدكتور دانيال بلس ص ٢٥

منه للموجات الصوتية القصيرة وما يشبهها كالدخان المتقطع من مدخنة آلية تقول (أُذْخُن) . وهو متطور عن وزان (أُفْعُول) .

أُفْعُول : خصوصيته الدلالة على الامتداد في استواء واستطالة فيوضع منه للموجات الطويلة وما أشبهها .

إِفْعَوْل : خصوصيته الدلالة على ضد (فَعُول) أي يدل على نفي المبالغة والمبالغة في السلب تقول فلان (سَخُوف العيش) أي رقيقه وفلان (إِسْخَوْف العيش) .

أَفْعَلَى : خصوصيته الدلالة على الاستغراق أو على الكل تقول جاء الخصم (بالأَشْهَدَى) عنده أي بكل شهاداته .

إِفْعَلَي : خصوصيته الدلالة على الانتشار الخفي المصدر تقول تسري في البلد (إِكْلَمَي) أي كلام منتشر غير معروف المصدر .

أُفْعُلَة : خصوصيته الدلالة على التخصيص أو التخصص تقول هـذا مكان (أُهْصُر) و (آلة أُهْصُرَة) أي تخصصت للهصر .

أُفَاعِل : خصوصيته الدلالة على الفاعلية المقاومة على استمرار تقول (رجل أُدَاثِر) أي متمول بالمراباة .

إِنْفَعْل : خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالمعنى لسبب باطني تقول (رجل إِنْسَهْم) أي ساهم اللون لعلة مرضية . و يظهر بأن هذا الوزان أصله (فَعْل) المصدر زيدت عليه الألف والنون كسابقة .

أَفَنْعَل : خصوصيته الدلالة على المنفعل بشيء والفاعل في شيء آخر وبعبارة أخرى يدل على المكتسب للوصف بحيث يكون مصدراً له يكسبه للغير . تقول (أَجَنْذَب) للقطعة من المعدن تمغنط بحيث تنقل الأثر إلى قطع أخرى . ولسريان التجاذب في قطع كثيرة على التسلسل وربما كثر هذا الوزان في الثلاثي بالتضعيف كثرة مطلقة . والذي أظن فيه أن أصله (فَنْعَل) زيدت عليه الهمزة لافادة تعدية الأثر .

أُفْعُلاَن : خصوصيته الدلالة على استيلاء المعنى على الشخص استيلاء يأخذ عليه مذاهبه و بعبارة أخصر الانطباع بالشيء يقـال (رجل أُزْفُنَان) متعلق بالرقص كذلك .

إفْعِلاَن : خصوصيته الدلالة على التعلق العقـلي والقلبي والشعوري بالوصف ويدخل فيه الأمراض العقلية بهـذا النوع . ويسـتعمل في الآليات توسعاً . تقول (رجل إغْرِسان) استولت عليه فكرة الغراس استيلاء ملكه .

أَفْعَلاَن : خصوصيتـه الدلالة على التحولات التي تشمـل الشيء من أطرافه . وتكون تحولات تغييرية . ويشمل التحولات العنصرية في الكيمياء .

إفْعِلاَء : خصوصيته الدلالة على علائم الاشياء غير الطبيعيـة وعلى الآثار غير الطبيعية مطلقاً تقول (إظْلِمَاء) أي ظلمة ناشئة عن سبب غير طبيعي .

أَفْعِلاَء : خصوصيتـه الدلالة على اجتماع اللطائف وضغطها فيوضع منـه للهواء المضغوط وما أشبه .

فَأْعَل : خصوصيته الدلالة على الجزء (كالذرة) .

فَعْأَل : خصوصيته الدلالة على الأقل جزئية (كالذريرة) .

فُعَائِل : خصوصيته الدلالة على التحامل تحت الشيء . وعلى الكل في الاشياء التي لا تقبل مهاياها القسمة وانما تفرض فقط كما في الجوهر الفرد والغازات . . .

الزيادة بالتاء :

تِفْعَال : خصوصيته الدلالة على تجسم المعنى . وعلى الخفي واللطائف والأفكار . لاحظ بدقة قولهم (تَمْثَال) أي تمثيل و (تِمْثَال) أي صورة شاخصة تقول (تِظْلاَل) للظل يتجسم فيصير صورة .

تَفَعَال : خصوصيته في غير ما يكون مصدراً الدلالة على جمع أجزاء المعنى في نقطة أو بؤرة تقول (تَظْلَال) اسماً لمحل اجتماع أجزاء الظل في آله التصوير . وعلى الاجتماع أيضاً .

تَفْعُل : خصوصيته الدلالة على ما يجدد الوصف المادي كل حين تقول (شجر يَشْمُر) و (فصيلة يَشْمُرَبة) للاصناف التي تثمر في العام مرتين أو أكثر . . .

تُفْعَل : خصوصيته الدلالة على المنفعل من الوصف لأسباب غير معروفة الكنه تقول (رجل تُفْزَع) أي يُفْزَع من غير أسباب معروفة . ويظهر انه ينظر إلى الفعل المضارع المبني للمجهول .

تُفْعُل : خصوصيته الدلالة على المنفعل من الوصف بأسباب مشتركة من نفسه ومن الغير تقول (تُنُوُر) للحشرة التي تضيء في الليل . ويظهر انه ينظر الى (تَفْعُل) ولكن أخذ بالاتباع فقط كما قرر سيبويه في (يُفْعُل) . . .

تِفْعِل : خصوصيته الدلالة على مجيء الشيء في غير الأوان عادة تقول (تِحْبِل) أي حبل في غير الأوان . ويظهر انه اتباع لوزان (تَفْعِل) ويدل على هذا ان اكثر كلماته تجيء على أوجه مختلفة . فمثلاً (تحلبة) جاء بضم التاء واللام ، وبكسرهما ، وبكسر التاء وفتح اللام ، وبضم التاء وفتح اللام .

تِفْعَلَة : خصوصيتــه على مجيء الشيء في غير الاوان مطلقاً . ويظهر انه وزان قبلي ينتسب إلى القبائل التي تكسر حروف المضارعة . هؤلاء الذين نقدر انهم متأثرون بالمنطق السرياني الذي هذه إحدى ظاهراته . . .

تَفْعَلَة : خصوصيته الدلالة على كون الشيء بين بين في الوصف تقول (تَتْوَلَة) أي حادثة بين السحر والحقيقة . وهذه الأوزان متداخلة كما هو ظاهر من كلماتها التي لا تكاد تنضبط فما من كلمة إلا وفيها وجه جواز من ضريعتها . خذ (تتفـلة) التي جاءت كتُنْضُب وقُنْفُذ ودِرْهَم وجَعْفَر وزِبْرِج وجُنْدُب . . .

تَفَعْلُوت : خصوصيته الدلالة على الذي يتصف بالوصف عند حدوث الحادث

فقط أي يدل على مصاحبة الوصف للحادث الذي يفعله فقط تقول (تَرَغمُوت) أي لا يرغم إلا عند اليأس .

تَفعيل : خصوصيته في غير ما يكون مصدراً الدلالة على ما يكون اداة للوصف تقول (تلوين) لاقلام التلوين . . .

تَفْعِيلَة : خصوصيته الدلالة على الاجادة في الوصف تقول (آلة تحديدة) أي تحكم التحديد . وكذلك وزان (تِفعَالة) و (تُفَاعِلَة)و(تفاعِلَة) و (تِفعِلّ) وان كان لها خصوصيات أحياناً فانها مقاربة . . . .

تَفْعلَة : خصوصيته الدلالة على الآفة تحدث من الوصف تقول (تَأبرَة) اسماً لربو[1] المحددين الذي ينشأ من غبار الابر . وكذلك(تفعِيلة) . . . .

تَفْعُول : خصوصيته الدلالة على لين الوصف تقول (شجر تَخشُوب) أي لين الخشب . . . .

تَفعلَة : خصوصيته الدلالة على الذي تهيؤه الظروف طبيعية أو عادية تقول (تصوِرة) للصورة التي تحدثها الطبيعة . كقطعة الحجارة التي تمثل شيخاً عجوزاً بلحيته وهي من عمل الأمطار وتأثير هطولها . . . .

تُفْعُول : خصوصيته الدلالة على الاداة غير المباشرة في الوصف تقول(تُنسُوخ) للكتابة بورق الكربون . ويظهر انه اتباع لوزان (تَفْعُول) . . . .

تِفعِلّ : خصوصيته الدلالة على (البهلوانية) تقول (تِخطِرّ) أي لعبة خطرة بهلوانية . . .

تُفُعِّل : خصوصيته الدلالة على الأشياء التي تأتي في المناسبات أو معها تقول (تُرُبِّع) للنبات الذي يأتي مع الربيع . . . .

تَفَعُّل : خصوصيته في غير ما يكون مصدراً الدلالة على أظهر خواص عمل

---

(١) راجع دائرة البستاني ج (١) كلمة (إبرة)

الشيء تقول (تَمْشُط) أي آلة تصنع الامشاط وسواها ولكنها اكثر في الامشاط . .

الزيادة بالميم :

مُفاعِل : خصوصيته الدلالة على المتصف بالمفاعلة بين منفعلين تقول (مُدَاوِر) للذي يدير شيئاً آخر في حركة دورانه كما في الدواليب المتعاشقة .

مَفْعلَان : خصوصيته الدلالة على الموازين مطلقاً تقول (مَحْرَكان) لميزان الحركة و (مَخْتكان) لميزان المشي وهو آلة على شكل الساعة ترقم الخطوات عند المشي واذا كان وصفاً دل على المبالغة في دقة . . . . .

مَفْعلاء : خصوصيته الدلالة على الذي يوجد في المكان ولا يكاد يميز عنه تقول (مَخْنزِاء) للذي يوجد في مكان العفن والنتن ولا يكاد يتميز عنه مما يصلح أن يسمى به ميكروب العفونة . . . . .

مَفْعلّى : خصوصيته الدلالة على المضاعفة والتضاعف تقول (مَوْرَقّى) للورق القوي . وعلى الورق يجمل لفائف . وهو يرجع إلى (مَفْعَلّ) الذي له عين دلالته تقول (مَوْرَقّ) بالمعنى نفسه . وهذا يرجع إلى (مَفْعَل) . . . .

مِفْعلّي : خصوصيته الدلالة على مطلق ما يعمل عملاً حَرَاكياً [1] وهو يرجع إلى (مِفْعلّ) وهذا إلى (مِفْعِل) ولها جميعها خصوصية واحدة تقول (مِفَتِح) و (مِفتِحّ) و (مِفْتحيّ) للمفتاح الحَرَاكي . . . .

مِفْعيل : خصوصيته الدلالة على المتأثر بتأثيرات خفيـة تضاف إلى عالم الغيب

---

(١) هذه الكلمة من وضعنا الجديد ترجمة للمصطلح الاجنبي (automatic) وتكاد تكون ترجمة وافية وذلك لأن وزان (فَعَال) يدل على الجزء الاول منها والمادة تدل على الجزء الثاني . . . .

ولو نسبياً و بعبارة أخرى انفعال عالم الشهادة بعالم الغيب مطلقاً ومن ثم يصح أن يصاغ منـه للموازين أيضاً. كميزان الحرارة والمطر وهكذا. وضروري أن يكون مع ذلك يدل على المعنى بدقة. و يظهر انه الصـوتي الذي يرجع اليه (مِفْعِل) وهو اتبـاع لوزان (مَفْعِل) ....

مَفْعُول : ظاهر الخصوصية.

مِفْعَل: خصوصيته الدلالة على الآلة. وكذلك (مِفْعَال) وكذلك (مِفْعَلَة)

مَفْعِل: خصوصيته الدلالة على الزمان والمكان ...

مُفْعَل : خصوصيتـه الدلالة على الانظراف في الشيء تقول (مُنْفَس) أي المنظرف في النفس من أشيائها ...

مُفْعُل: خصوصيته الدلالة على ما يكون آلة للشيء ومكاناً له تقول (مُمْرُط) للالة تصنع المروط وتكون وعاء لها و (مُقْمُح) للآلة التي تنقي القمح وتكون وعاء له.

مَفْعُل: خصوصيته الدلالة على مثل اللاحقة الأجنبية (scope) تقول (مَنْظُر) بمعنى (microscope) ...

مَفْعُلَان :خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يجمع كل اسباب الوصف تقول (مَنْصُرَان) للموضع توجد فيه كل أسباب النصر. وأيضاً يدل على الموضع يستكن فيه و يطمئن اليـه تقول (مَقْمُرَان) للمحل الذي يستطاب الجلوس عليـه في ضوء القمر. و (مَشْمُسَان) لحمام الشمس. ويدل أيضاً على مضاعفة خصوصية (مَفْعُل) تقول (مَنْظُرَان) للمجهر المضاعف.

مِفْعَل : خصوصيته الدلالة على ما يعمـل عملاً ذاتياً. وأيضاً على التمكن من الشيء تمكناً لا يفارقه. ويدل على طريق الشيء وطريقته. تقول (مِحْلَب) للوعاء الذي يحلب به وله عمل آلي كمثل (the surge milker) ...

مُفْعُول : خصوصيته الدلالة على المفعول في الباطن تقول (مُكْتُوب) للمكتوب في الذهن (ومُقْرُوء) للمقروء بالملاحظة الذهنية . . .

فُعَامِل(١) : خصوصيتـه الدلالة على العروض والعلوق تقول (مُرَامِض) للمرض يصيب الشخص ويعلق بحيث لا يفارق و (عُلاَمِق) للحيوانات ذات العلوق . وكذلك (فِعْمَال)(٢) و (فماعِيل)(٣) .

زيادة النون :

فِنْعَال : خصوصيتـه الدلالة على كون كل ناحية من الكل موصوفة بصفة ما منه الاشتقاق تقول (مِنْعَاد) أي حيوان يهضم بكل جزء من أجزاء جسمه أي كل جزء فيه معدة مستقلة كالأخطبوط فيقال (الفصيلة المِنْعَادِيَّة) ويستعمل مجازاً في الشره وهو تجوز مستملح . . .

فِعْنَال : خصوصيته الدلالة على استيلاء الوصف على الشيء استيلاء شديداً ثم لا يصح عنه إلا بعد أمد طويل . تقول (خِينَاف) أي يستولي عليـه الخوف ولا يزول إلا بعد مدة طويلة .

فُنَاعِل : خصوصيته الدلالة على استيلاء الوصف كالسابق ولكن يزول بسرعة جداً تقول (خُنَاوِف) . . أو الأول وهو (فِعْنَال) يدل على تركب الشعورات من نوع واحد كالخوف الشديد . فانه في الواقع عدة شعورات خوفية اجتمعت . والثاني وهو (فُنَاعِل) يدل على الشعور البسيط أو الشعور الواحد . . . .

فَعَنْلَى : خصوصيتـه الدلالة على الانتقال بالحس إلى المعنى تقول (عنده فَرَنْصَى) أو (فَرَنْصَاة) أي تمزق وتقطع روحي أو عقلي . . .

فُنْعُلاَء : خصوصيته الدلالة على المائية أي الاتصال بالماء أو الانقلاب اليـه أو

---

(١) و (٢) و (٣) ليس من سيبويه بل من ابن جني في التصريف الملوكي ص ١١ .

الذي فيه مائية تقول (الفَنْصِلاَء) للحاجز يقام في المياه وكذلك خصوصية (فَنْعُل).

فُنْعلاَء : خصوصيته الدلالة على الغاز أي الاحتواء عليه أو الانقلاب اليه تقول (دُنْفَنَاء) للغاز المدفون . وكذلك خصوصية (فُنْعَل) تقول (دُنْفَن) . . .

فُعَنْلَى : خصوصيتـه الدلالة على الماضي مطلقاً و (فُعَنْل) يدل على المـاضي الغامض . . .

فِعِنْلاَل : خصوصيته الدلالة على الشيء يقابله مثـله فقط تقول (غِرِنْسَاس) أي غراس في مقابلها مثلها . وقد يدل على الذي يعطي كأنه مثل ذي الوصف . . . .

فَعَنْلُوَة : خصوصيته الدلالة على ما يكون اداة آلية للمعنى تقول (قَمَنْسُوَة) لآلة الغوص في الأعماق . . .

فَعَنْعَل : خصوصيته الدلالة على الاتساع والتراكم بحيث يأخذ المسارب تقول (عَكَنْكَر) الذي يكر من كل الجهات على اتساع وتراكم تقول (سيل عكنكر) . . .

فَعَنْلَل : خصوصيتـه الدلالة على الضخامة في غير توازن ولا ضبط تقـول (فَلَنْجَج) أي عظيم التقسيم في غير ضبط . . .

فُعُنْل : خصوصيته الدلالة على ما له باطن على خلاف الوصف تقول (عُقُنْد) للمشدود الذي له باطن متحلل كشجر الاراك . . .

فَعَنْلَة : خصوصيته الدلالة على التصنيف والتوزيع جماعات ويقـال بدون تاء تقول (حَرَنْبَة) و (حَرَنْب) لتصنيف الحرب ولنظام التعبئة . . .

فَنْعَليل : خصوصيتـه الدلالة على تضاعف العمل مع انفعـال باطني تقول (خَنْرَقيق) لكل ما يعمل خرقاً مضاعفاً وهو مجوف . . .

فُنْعَل : خصوصيته الدلالة على الطبقات من الوصف تقول (قُنْتَر) للرجل الذي بخله في طبقات مجازاً . وعلى الأزمة الخانقة التي تكون كأزمات متداخلة .

فُنْعُل : خصوصيته كخصوصية (فُنْعَل) إلا أنه يفيد مع ذلك وجود فراغ بين الطبقات تقول (قُنْدُر) للقدر الذي في طبقات بينها فراغات مما يصلح أن يكون ترجمة لكلمة (diplôme) التي تراد في الاصطلاح الكيمائي للوعاء على شكل مغراة النجار وللغرض نفسه . . .

فِنْعَل : خصوصيته الدلالة على ما يكون علامة من الوصف بصورة وبيلة أو يكون بسبب الوصف تقول (فِنْوَر) بمعنى الذي يسبب التفور العظيم . . .

فَنْعَل : خصوصيته الدلالة على الذي يثبت على وصف واحد . تقول (فَنْوَر) للدائم الفوران وعليه فيوضع للنبوع الحارة التي ترتفع إلى بعد .

فِنْعَلْو : خصوصيته الدلالة على ما يفعل الوصف على صورة بعثرة تقول (رِنجزْوٌ) أي سيارة تسير في التواء .

الزيادة بالهاء :

هِفْعَوْلة : [1] خصوصيته الدلالة على اشاعة الوصف بحيث ينتسب إلى كل جزء على الانفراد تقول (هِرْمَوْل) للارض التي تشيع الرمال في كل انحائها . وهذا الوزان ليس متفقاً عليه بل أثبته الخليل اعتماداً على مثل (هِرْكَوْلة) .

الزيادة بالواو :

فُعْوَال : خصوصيته الدلالة على العلامة للشيء أو في الشيء ويدخل فيه الدلالة على الأصوات التي تحدث عند انتهاء المحروقات أو التي تكون لخلل في الآلات تقول (عُجْوَار) أي فيه دلائل على حدث مستقبل و (رُوَّان) للأصوات المنبعثة عند فراغ المحروقات . . .

فوْعَال : خصوصيته الدلالة على الالتفافات على النفس أو الذات . الناشئة عن القوة كما في الأعاصير والتيارات . وعلى كل ما يعطي هذه الالتفافات ولو شكلاً

---

(١) ليس من سيبويه بل من ابن جني في التصريف الملوكي ص ١٥ .

والذي يتحرك تحركاً اسطوانياً . ولكن يغلب أستعماله في القوى كالكهرباء . تقول (دَهْوَان) للدهان الذي يعطي التفافات بلمعانه ومجازاً للرجل الذي كأنه في التفافات من نفاقه . . .

فَوْعَل : خصوصيته الدلالة على التعمل في الشيء تقول (زَوْفَن) للرقص المتكلف ويدل أيضاً على الشيء يقوم بوظيفة آلية وان لم يكن آلياً تقول (هَوْلَب) للداء الذي يمسح الشعر مسحاً تاماً . . .

فَوْعَلَاء : خصوصيته الدلالة على مطلق ما يحيل من صفات الى صفات أخرى تقول (عَوْظَمَاء) للآلة التي تحيل العظم إلى غراء . . .

فَعْوَل : خصوصيته الدلالة على المتعلق بالنور وأيضاً على النور نفسه و (فَعْوَال) للأكثر تعلقاً أو انارة . . .

فَوْعَلَان : خصوصيته الدلالة على الذي ينفعل بتعمل يحدثه فيه الغير . تقول (بَوْهَزَان) للمضخة التي تدفع الماء أو الغاز إلى مصب أرفع من المنبع . . .

فَوْعَلَل : خصوصيته الدلالة على الانفراج في تداخل تقول (كَوْبَلَل) للريش المتثني نصف تثن في الحمام والبط . . .

فِعْوَل : خصوصيته الدلالة على الآفة مطلقاً ويكثر في الآفة المرضية بدون تخصيص في النبات أو الحيوان تقول (عِضْوَل) الداء يصيب العضل . . .

ـــ فَعْوَّل : خصوصيته الدلالة على عِظَم الدقيق تقول (كَمْوَّس) للشخص ذي السُلَامى العظيمة . . .

فُعُول : خصوصيته الدلالة على المتكثر تكثراً غير منفصل . أو الموحد من أشياء كثيرة . ويقال منه لدوائر الاسلاك وفصفصة الصناديق وهكذا تقول (رُمُول) للرمل الذي يعبأ تعبئة على هذا النسق . . .

فَعَوْعَل : خصوصيته الدلالة على ثبوت الوصف ولكن في الليونات والطائف تقول (خَشَوْشَب) أي خشب النباتات اللينة ...

فَعَوْلَل : خصوصيته الدلالة على المو ّار من كل وصف تقول (حَزَوْنَن) للرجل الذي يعتريه الحزن على صورة منكرة ...

فِعَوْلَل : خصوصيته كالأول ولكن يغلب في الحس تقول (حِسَوْنَن) للذي يظهر وكان الحسن يمور فيه موراً ...

فِعَوَّل : خصوصيته الدلالة على الذي تأتي أفعاله على مقتضى الوصف تقول (شِتَّوْر) للمبضع الذي يختص بالأعضاء الدقيقة كالجفون ...

فَعُّول : خصوصيته الدلالة على مضاعفة المبالغة ويكثر في العددي تقول (شَبُّور) للمقياس المنبني على اعتبار الشبر ...

الزيادة بالياء :

يَفْعَل : خصوصيته الدلالة على الذي يتصل فيه الوصف اتصالاً يظهر في كل فترة انه ابتدأ .

يَفْعَلَّى : خصوصيته الدلالة على مثل زائدة (de, dè, des) في الفرنسية وهي تفيد انعدام الحالة أو العمل وتدل على الأصل وابتداء العمل وكذلك وزان (يَفْعَلّ) ...

يَفْعُول : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَل) ولكن في امتداد واستطالة تقول (يَضُوُوء) لآلة الضوء التي ينبعث منها النور كذلك ...

يُفْعُول : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَل) ولكن في الطبيعي أو الصناعي يشبه الطبيعي تقول (يُنْقُوف) للفرخ الذي ينقف في المصنع ...

يَفْعِيل : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَل) ولكن مع الظهور والغيوبة على التعاقب تقول (يَنْوِير) للنور الذي يفعل هذا الفعل . . .

فَيْعَال : خصوصيته الدلالة على الشيء تكون فيه وحدة الوصف فيشتق منه المثل الأعلى من كل شيء كالقوة والحركة والحسن تقول رجل (حَيْسَان) فيه وحدة حسن الرجولة . . .

فِيعَال : خصوصيته الدلالة على مثل سابقة (bis) في مثل biscuit التي تفيد معنى كون الشيء مفعولاً مرتين أو تفيد معنى (double) كذلك . تقول (مِيلال) من مادة (مل) بمعنى وضع في الرماد الحار مرتين ترجمة لكلمة (بسكويت) وبذلك تكون ترجمة تامة للكلمة الأجنبية . . .

فَيْعَلَى : خصوصيته الدلالة على ما يتصل بالماء . . .

فَعْيَل : خصوصيته الدلالة على الظلمة أو ما يتصل بها وكذلك (فَعْيَال) . . .

فَيْعُلان : خصوصيته الدلالة على اتصاف الشيء بصفة تكون لغيره أو تندر فيه فيقال لشجرة من الفصيلة تمتاز بشيء غريب عنها تقول (بَيْشُقَان) لكل ما ليس من شأنه أن ينبثق .

فَيْعَلان : خصوصيته الدلالة على ما يتصل بالروح تقول (وَيْلبَان) للشخص لا يكاد يفعل الشيء حتى يتركه لتصورات فكرية . . .

فَعِّيلَى : خصوصيته الدلالة على النقل إلى المصدر أو إلى الصفة أي تقوم مقام اللاحقة (ness) في التصريف . . .

فُعَّيْلَى : خصوصيته الدلالة على بذل الجهد تقول (دُرِّيْزَى) . . .

فَيْعَل : خصوصيته الدلالة على البالغ مبلغ النضوج تقول (طَيْعَم) للناضج الطعم

فَيْعُل : خصوصيته الدلالة على المتخصص بالشيء تخصصاً بالغاً يقال (طَيْبُعُ) الواقف نفسه على الطبيعيات . . .

فَيْعِل : خصوصيته الدلالة على التنظُّر المستقبل تقول (خَيِّف) للذي يخشى المستقبل ويأخذ أعظم الاهبة له . . .

فَيْعُول : خصوصيته الدلالة على الاحتكام بالوصف احتكاماً يجعله كمسخر له تقول (نَيْمُوس) للذي يتصلب فى اتباع القانون وتطبيقه . وتقول (آلة ظَيْلُوم) خصصت للظلام . .

فِيَعْل : خصوصيته الدلالة على طلب العلو مطلقاً . تقول (ضِيَجْم) للموج فى اليم يأخذ في الارتفاع .

يَفَنْعَل : خصوصيته الدلالة على الثبوت عند حدود الوصف فقط . . .

فَعَيْلَل : خصوصيته الدلالة على كون الوصف بقوة مولدة تقول (خَلَيْدد) أي خالد بقوة تولد فيه الخلود . . .

فَعَيَّل : خصوصيته الدلالة على التملؤ من الوصف مطلقاً ولو غير حقيقى . . .

فَعَيْعَل : خصوصيته الدلالة على كون الوصف بقوى مولدة عديدة . . .

فُعَيْل : خصوصيته الدلالة على ذى الحجوم والامتدادات القصيرة تقول (كُبْين) للعادي فى استرسال قصير الامد كالعربات الحديدية الصغرى التى توضع في طريق الحدائق أو في الجمارك أو في المناجم . . . .

فِعِّيل : خصوصيته الدلالة على المتصف بالطبع تقول (حِجِّين) للذي عوجه طبيعي . . .

فَعِّيل . خصوصيته الدلالة على المتصف بالتمكن تقول (حَجِّين) للذي عوجه عن آفة متمكنة . . .

فُعِّيل : خصوصيته الدلالة على النباتات الحيوانية أو الحيوانات النباتية . وكل ما هو حلقة اتصال تقوم لتمثيل فترة انقلابية ويدخل فيهــا أيضاً الدلالة على فترات الانقلاب فى العناصر تقول (سُمِّيك) أي السمك في الحالة الانقلابية . . .

فُعَّيْل : خصوصيته الدلالة على الذى يمسك الشيء تقول (مُسَّيْك) للآلة التي تمسك ابرة الخياطة في (الماشين) المسماة (afikeu) . . .

فَعنْفَعِيل : خصوصيته الدلالة على الطبع اللازم على اضطراب من الوصف وبعبارة أخرى على الطبع المضطرب من الوصف . . .

وهنا نأتى على أوزان أخذنا فيها بالتحكيم وان كان لها وجه اعتباري على غموض. خصصناها بالعلوم

أوزان كيمائية

فِعْلِيل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (كومبو زي بينار اوكسجين) . الذي يعرف بكلمة (اوكسيد) قبل الاسم الممتزج ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التاء المتحركة ويصير الوزان (فِعْلِيلَة) . واما بالتجريد من التاء فيخص للدلالة على القسم من (الاوكسيد) الذى من خاصيته أن يتحد مع الماء . لأجل أن يعطي حامضاً (اسيد) ويسمى فى الأجنبيــه بزيادة (ique) على آخر الاسم الذى يتحــد مع (الاوكسجين) تقول بدل قولهم (خليك) . (خِلّيل) . . .

فِعْلِيت : خصوصيته فى الكيمياء . الدلالة على (كومبو زي بينار ايدروجين) ولما انه قد يصادف فيعداد (الكومبوزى بينار ايدروجين) انهيحوي خواص (الاسيد) الحقيق ويميز باسم (ادراسيد) ويسمونها في الأجنبية بزيادة (اسيد) على الاسم المتحد مع الانتهاء (hydrique) مثال ذلك (اسيد كاوريدريك) نصتلح زيادةالتاء لهذه الفارقة فتكون (فِعْلِيتَّة) . . .

فَعْفَعِيل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الكومبوزي بينار ني اوكسجين ني ايدروجين) أي التي لا هي إيدروجين ولا هي اوكسجين . وتميز في الاصطلاح الكيمي بالانتهاء (ure) متبوعاً باسم الجسم الآخر مثل (سلفير دي كاربون) . . .

فِعِّيل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (اسيد) . . .

فَعِّيل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الباز) الذي يحصل من امتزاج (اوكسيد) معدني مع الماء . . .

فُعِّيل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الاملاح الاوكسجينية) . . .

فَنْعَلِيل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الالياج) أي للمعادن المخلوطة...

فُنْعَل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (املجم) أي المعادن المخلوطة بالزئبق . . .

فِنْعَل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على اللاحقة (eux) التي تضاف على الاجسام التي لها (فلانس) متغير . وتقدر أن تؤلف مع جسم آخر اثنين من الممتزجات الثنائية . . .

فَعلَن : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (موتوفلانس) أي ما كانت نسبة الايدروجين في شبه المعادن واحد ١ .

فِعلَن : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (ديفلان) أي ما كانت نسبة الايدروجين اثنين ٢ .

فِعلِن : خصوصيته الدلالة على (تيريفلان) أي بنسبة ٣ .

فِعْلَان : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (تترافلان) أي بنسبة ٤ .

فَعَيْلَل : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (بروتو) في الاجنبية . . .

فَمَيَّل : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (سسكي) . . .

فَمَلِيل : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (تري) . . .

فِمْيَال : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على الامتزاج . . .

فَيْمَال : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على الاتحاد . . .

فُمَّال : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على التركيب . . .

فِمَّال : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على التأليف . . .

أوزان عددية

فُعُل : خصوصيته الدلالة على الآحادي تقول (عُقُد) لما فيه عقدة واحدة الى عشرة . . .

فُعُلّ : خصوصيته الدلالة على العشري تقول (عُقُدّ) لما فيه عشر عقد إلى مائة

فُعُلاَّن : خصوصيته الدلالة على المئوي تقول (عُقُدّان) لما فيه مائة عقدة الى الف . . .

فَعَل : خصوصيته الدلالة على الألفي تقول (عَقَد) لما فيه الف عقدة إلى المائة الف . . .

فَعَلّ : خصوصيته الدلالة على ما فوق المائة الف تقول (عَقَدّ) لما فيه مائة الف عقدة الى الف الف . . .

فَعَلاَّن : خصوصيته الدلالة على الف الألف فما فوق تقول (عَقَدّان) لما فيه مليون عقدة الى المليار . . .

فِعَلّ : خصوصيته الدلالة على المليار تقول (عِقِدّ) لما فيه مليار عقدة . . .

فِعِلاّن : خصوصيته الدلالة على أقصى العدد تقول (عِقِدّان) لما فيه اكثر من المليار إلى أقصى العدد . . .

فُعْل : خصوصيته الدلالة على الجزء مما يقسم إلى الوصف تقول (عُشْر) للواحد من العشرة و (سُبْع) للواحد من السبعة .

فُعَل : خصوصيته الدلالة على نصف الجزء مما يقسم إلى الوصف تقول (عُشَر) لنصف العُشْر أي الواحد من العشرة و (سُبَع) لنصف السُبْع أي الواحد من السبعة .

مِفْعال : خصوصيته الدلالة على النصف تقول (مِشْهار) أي نصف شهر يقال (مجلة مشهارية) . . .

مِفْعَل : خصوصيته الدلالة على الربع تقول (مِشْهَر) أي ربع شهر يقال (مجلة مِشْهَرية) للمجلة الاسبوعية . . .

فى الحيوان والنبات

فَعَّال : خصوصيته الدلالة على سائس الحيوان أو المتخصص به وكذلك في النبات تقول (أسّاد) و (نمّار) وهكذا وفي النبات (زهّار) و (وَرادّ) أخذاً من قول العرب فيل وفيّال وغيره . . .

فَعَل : خصوصيته في الحيوان الدلالة على المشي بذات العضو الذي منه الاسم تقول (رَجَل) أي مشي على الرجل و (رَكَب) أي مشي على الركبة تقول (مشي الرَكَبَ) أخذاً من قول العرب (مشي الكَوعَ) أي مشي على الكَوْع . . .

هذه طائفة من أوزان الثلاثي في العربية . وليست هي كل ما فى اللغة . وانما أثبتُ منها ما رأيتَ . واقتصرتُ عليه نظراً لشيوعه وكثرته النسبية في مواضعات

العرب . ولم أعرض إلى شيء من زنات الرباعي الأصلية . لأن كثرة كما ترى يمد بها الثلاثي لا تدع حاجة الى تزيد .

ونحن أولاء نرى كيف يكون غنى الاشتقاق العربي . وكيف تعود عربية اليوم . على مثل قوتها يوم كانت للعرب القدامى . .

ونرى من خلال هذه الكثرة السر الصحيح . لسعـة العربية فى قديم ما كانت وليس إلى شيء آخر أبداً . كما نتحقق من الدقة التامة في وضع كل شيء بحسبه واعتباره وربما كان هذا لايحتمل نزاعاً وتحت نظرنا . مجموعة كاملة من دورات مختلفة للجذر المادي الواحد . سواء في التقاليب أو في الزيادات التصريفية حتي ينتظم في تطورات ثابتة النسب قوية الحياة . .

وكما ذكرت في غير ما مناسبة ان ما أقرره من خصوصيات هو جهد يحقق امكان الأخذ وسلامة التطبيق . وان كان عمق الدرس ونفوذ البصيرة والأناة عليهما يدني الحقيقية أو يدني اليها وهي غاية المُنْشدان . . .

المجمع ضرورة !.

أما ان المجمع ضرورة فهذا مالاشك فيه . واما انه حاجة من حاجات اللغـة والأدب فكذلك لاتجد من ينازع عليه . فهو من اللغة بمنزلة السمع والبصر . يرى بدقة بحيث لا يختلط عليه البصر . ويسمع بدقة بحيث لا يذَوِي عليه السمع . .

واتهذيب العربية المنشود . تكون الحاجة شديدة إلى مؤسسة تعمـل على هذا الطراز خصوصاً والعربية في مرحلة تطور خالصة . لابد أن تستقر في النهاية على شكل من أشكاله . أولى أن يأتي موزوناً لايدعنا نفرغ الى ثقافتين علمية ولغوية . نحتاج في كلتيهما الى فضلة مجهود ربما كان فيما دون الثانية أقل اعتياصاً وأيسر أخذاً . .

وحيث كان المجمع عند ما نظن من خَطَره وأهميته . وان غايته أن يتقدم باللغـة على سنة الارتقاء . لا أن يرجع باللغـة الى الوراء على سنة التخلف . واذا كان الشأن تطور كل شيء على نسق ينزع به إلى الاصلح . كان حتماً أن يعمل المجمع على غير

نظامه الذي أخذ نفسه به . وطبع وضعه على غراره . فما المجاز ، ولا التضمين ، ولا التجريد ، ولا شيء وراءها من النقل والاصطلاح بمغن فتيلاً فيما حمِل وفيما عهد اليه من أمر اللغة .

وأنا هنا لا أعني مجمعاً بعينه . ولا أشخص بنظري إلى مجمع واحد . بل أعني كل المجامع التي انشئت من مثل نادي دار العلوم القديم ، ومجمع القاهرة ، ومجمع دمشق ، ومجمع بيروت ، والمجمع الملكي . أو التي يراد انشاؤها . فانه لن يتأتى لها الانتاج الموفور . وهي قائمة على دراسات سيمر بك ما فيها من نقص كبير وخطأ محض وملاحظ واهمة . . .

وأنا لا أدري أي معقول في محافظة المجامع على (السماع) الذي معناه على المكشوف علي ما تندَّر به بعض[1] أفاضل المغاربة (اسمع ولن تسمع غير ما سمعت مما يكون الجواب المنتظر عليه . إني لن أسمع ما قد سمعت وانتهيت) ونحن وإن كنت ستجد إنا نقر السماع ولكن بمعنى غير معناه . ووجه على خلاف وجهه .

ومن ثم بدت خطة المجامع ملتوية ضعيفة . ووقتية أيضاً . لا تداوي الآفة وإن تكن قد تخدر الألم . وهي محافظة في ناحيتين لا يتأتى لها السير معهما إلى النهاية .

(١) القواعد وأخذها على علاتها بدون مناقشتها إلا على نحو شكلي صرف ..

(٢) فرض المعنى في مقدار ما ورد من اللفظ . ميزانه وهيئته و بنائه .

هاتان الناحيتان اللتان أفضنا بالكلام عليهما في شتى المناسبات من المقدمة . فلا نعيده مرة أخرى لئلاّ ينقلب الحديث شططاً وتجاوزاً ممجوجاً .

وفي الحق لن يستقيم سير المجامع بما يضمن حاجة العربية وتقوم بالذي عهد اليها على أحسن الوجوه . إلا بأن توحد النظر على إعادة درس العربية مرة أخرى وتصحيح القواعد على مقتضى هذه الدراسة . ولست أعني أن تكون النتائج التي انكشفنا عنها

---

(١) هو الامير الجليل المرحوم خالد الجزائري . نافخ الروح الوطني في الجزائر . وكان ضمني به مجلس فتناولنا اللغة في بعض اطراف الحديث . وبحق كان رحمه الله نادرة نادرة .

هي النتائج المحتومة والمتعينة . فاني انبهت غير ما مرة إلى أن عملي هذا لا يعدو الأَضَاة التي تعرِّف بالسيل والثَمَد الذي يدل على النبع .

على أن الذي يعجب له من أمر المجامع توفرها على معالجة المفردات وحدها وكيف تضع منها وتضع عليها . بينما هناك جهات أخرى من حاج العربية تستدعي معالجة . ووقوفاً طويلاً . وبالأخص حينما نأخذها مع لهجات العرب العصرية التي يقتضي درسها بدقة . وتفهمها ببيان متعقل . والا ان كانت كل غايتها معالجة المفردات وحدها . فما أضألها غاية . وما أغنانا عنها نتيجة .

والدراسات التي يجب أن تفرغ اليها المجامع وتجمع هدفها فيها . عدا الاشتقاق الذي هو هدف رئيسي وغاية أولى . تنحصر في أمور :

(١) تأريخ المفردات وتنويعاتها واستعمالاتها على التاريخ . وهـذا يفرض الانتشار الواسع على كل شاعر أو أديب . واحصاء كل ما انفرد به من جديد اقتضى تطويراً في الكلمة باشرابها معنى غريباً أو بنقلها بملحظ اعتباري . على معنى أن نفرد كل شاعر أو ناثر بفصل نتناول فيه أثره على اللغة من جهة ما انفرد به من تطوير على المفردات أو الاستعمالات .

(٢) تأريخ المُوَلَّد . والكلام على مولده ومنشئه ومرباه .

(٣) درس العامي والعامية . وكيف تم نشوؤها . والأسباب التي أفضت اليهما . ومقدار اختلاف اللهجات الحية اليوم . وافراد كل واحدة منها بالدرس ودرس الفاظ الاختلاف بينها . وتمييز مصدرها الذي تنظر اليه . . .

(٤) طريقـة المرحوم (حفني ناصف[١]) في درس اللهجات لوقتنا . والاستدلال منها بالمقايسة على توزع القبائل هنا وهناك . وهذا الدرس يفيدنا من وجه آخر فائدة جلى . لم يرم اليهـا المرحوم . وهو الوقوف على مقدار الاختلاف القبلي القديم بالنسبة إلى العربية العريقة . ومن ثم يمكننا أن نفهم تماماً المقدار الذي كان عليه الاختلاف مما يضع أعلاماً ومقادير ونسباً محـدودة للتفاوت فلا يعود لقائل

---

(١) راجع رسالة (مميزات لغة العرب) له

أن يقول من وراء التقدير ما شاء في اختلاف اللهجات وأثرها في اختلاف الكلمات .

وطريقة معرفة هذا بسيطة جداً بأخذ المفردات التي تتفق عليها اللهجات العامة في المناطق العربية . ورقوب مقدار الاختلاف فيها وفي مخارج حروفها . على شرط أن تعزل اللهجات الشديدة التأثر بالاجنبي . كعربية المغاربة في المغرب الأقصى والجزائر لظهور البربرية فيها على نحو بارز وعربية أطراف العراق . لا على معنى اهمالها من هذه الناحية بل على معنى افرادها بالدرس العميق لنحدد مقدار تأثر اللغة باللغة بعد تشخيص مقادير الاتصال . وهذا يوضح لنا مبلغ تأثر لغات القبائل القديمة التي كانت تجاور في أطراف الجزيرة أجانب من أمم شتى .

وبالجملة فهي طريقة أخرى تباين طريقة (ناصف) . إذ الاستدلال عنده طردي حين يعقد من التشابه الحاصل بين لغة مناطق من العرب الحاضرين وبين لغة قبائل من قدامى العرب . جامعــة واحدة بحيث يقدر معها انتساباً يبني عليه أن هنا حطت قبيلة كذا الخ .

وأما هذه الطريقة فهي تعقد من التشابه عين تلك الجامعة ولكن لتبني عليها فهم درجة اختلاف اللهجات الغائبة بالقياس على الحاضرة . بادعاء ان ما تقدرها تميمية هي كذلك تميمية نفهم عنها لهجة تميم القديمة ومقدار ما به تختلف عن غيرها من لهجات القبائل . وعلى ضوء هذه الطريقة الجديدة يمكننا أن نميز بعض الشيء ما أغفل الرواة تمييزه بالنظر إلى اللهجة فقط دون البناء . وهي طريقة تحقيقية نرسلها هنا . وهي جديرة بالدرس والتفسير حتى تأخذ صبغة من التحقيق بحيث يقال عليها الاسلوب العلمي التاريخي . وانما أدمجناها في قَرَن مع طريقة (ناصف) . لأنهما تصدران عن اعتبار أوليّ واحد . وإن كانتا تختلفان في الغاية على مثل التباين . وبالجملة فهو اعمال لاعتبار واحد على جهة الطرد والعكس .

(٥) العمل على ترقية العامية إلى العربية بشتى الوسائل . فانه من الضرورة بمكان . وهنا أورد فكاهة اقتصادية أرسلها المرحوم (حفني ناصف) في محاضرة[1]

---

(١) راجع مجموعة الخطب التي ألقيت بنادي دار العلوم القديم سنة ١٩٠٨ ص (٨٨) .

حول موضوع (تسمية المسميات الحديثة) قال (وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة من عمر المتعلم . فاذا تحققت الآمال وصار التعليم إجباريًا . فكم تخسر الأمة كل سنة من أعمار أفرادها . فاذا أخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو (٤٧٠ر٠٠٠) وطرحنا منه معدل وفيات الأطفال الى سن العشرة ونفرض أنه النصف (٢٣٥ر٠٠٠) يكون عدد الباقين (٢٣٥ر٠٠٠) نضربه في عشرة أعوام.وهي ما يخسره كل واحد فتكون النتيجة أن الأمة تخسر في كل عام عمل شخص واحد في (٢ر٣٥٠ر٠٠٠) سنة وبعبارة أخرى يفوتها ربح زراعة (١ر٢٧٥ر٠٠٠) فدان على فرض أن الفدان يزرعه اثنان . فيا ضيعة الأعمار تمشي سبهللاً) .

وهو يقترح شيئًا لا نقترحه لاحراز هذه الكمية الكبرى من السنين . يقترح محو العامية واحلال العربية محلها في السوق والبيت والمدرسة . مما هو حُلم يصبح الانسان منه على ذكراه . ونحن نقترح ترقية العامية على معنى غزوها بالمفردات الفصحى . وفي الواقع ان شيئًا من هذا أتى عَرَضًا بانتشار الصحافة العربية حتى بدت العامية العربية . أفصح من عربية (الجبرتي) الفصحى التي استعملها لغة تأليف . وخذ أية مجلة تكتب بالعامية الصرفة . فلا ترى كبير فرق بينها و بين الفصحى إلا بالاعراب ومفردات أخرى تكاد تكون معدودة . فاذا أخذت المجامع بالحزم واستعملت مشوقات بنشر أطرف الألفاظ وأترفها . فلا تلبث العامية أن تكون عربية زايلها الاعراب فقط . ومن ثم لا يبقى في المحيط العربي . لغة حديث ولغة درس . بل تصبح لغة واحدة تقريبًا . أهم الفوارق بينهما كما قلنا أو أكبرها الاعراب . الذي نرى الكثرة المتعلمة تتخفف منه في المحاضرات والخطب أحيانًا بله الحديث . وليس معناي بهذا اني أرمي إلى الغاء الاعراب من العربية ولكن أقصد انه فارقة ليست بذات خطر . حتى وجدنا من الأولين[1] من يحدث أن نكتة قد لا تحسن إلا وهي غير معربة فاذا اعربت بردت وسمجت . وساق لها قول مزيد المدني (وقد أكل طعامًا

---

(١) هو ابو اسحاق الحصري في جمع الجواهر ص (٨)

فأثقله فقيل له تقيأه يذهب ما بك فقال : خبز نقي ولحم جدي والله لو وجدته قيء لأ كانه . فلو اعطاه حقه من الاعراب فقال : خبز نقي ولحم جدي والله لو وجدته قيئاً لأ كانه لخرج عن حده وأثلج في برده) .

وكان من المتقدمين من لا يكاد يتكلم بالاعراب وهو (ابن خالويه) المعدود في أئمة الادب واللغة كما حدث عنه ابن الانباري والسيوطي .

وبهذا يتحقق ما طالما صبونا اليه من توحيد اللغة ووضع حد للخلاف الطائش . الذي ثار يوماً غباره دا كنا بين اللغويين في . هل الأولى إحلال العامية محل العربية بكل صلاحياتها ؟ فتنقلب وهي لغة علم وأدب . أو الأولى القضاء التام على العامية حتى في طبقتها الدنيا واهاجتها في القفير ؟ .

(٦) التوفر على دراسة المجموعة الأدبية في أقدم تاريخ الأدب.سواء الشعري والنثري وتزييف المدخول والمنحول فيها . واحلال موازين وافية بالغرض من تمييزه إما بالنص أو بالظاهرة النقدية . وكذلك درس المجموعات الشعرية الأخرى بحسب تسلسل التاريخ الأدبي عند العرب . ويتوسع هذا الدرس بتناول الجديد من الأوزان والبحور المستحدثها أدباء كل جيل . ليفرغ في النهاية إلى دراسة مجموعتنا الشعرية التي هي أغناها بالتجديد والافتنان . وان كانت لم تستقر بعد على وجه عملي. بما فيها الأزجال والمواويل والمُعنّى والقرّاد . والحق انها جديرة بالدرس فهي غنية من الناحية الأدبية . خصبة أشد الخصوبة . ولا بأس من أن أورد (موّالاً) على البغدادي (لقوّال)[1] بيروتي . يذكر فيه بمضض وحرقة خيانة الجيرة وذوي القربى.

« لَوْكَبْ مِنَ البَحْرْ لُجّا وَاسْرِجْهَا بِعْدَهْ »

« وَلْحَقْ بِعَادْ وَثَمُودْ الْمُوحِشَاتْ بِعْدَهْ »

« وَهْجُرْ رُبُوعِي وَهَلِي أَلْفَيْنْ عَامْ وبِعْدَهْ »

« عَنْ جِيرَةٍ قَطْ مَا لَهَا صُرُوفْ اعْدِلِ »

---

(١) هو المرحوم حمد .

الذي هو بحق أبرع ما قيل في معناه المقصود . وهو في تصـوير الرجوع إلى الماضي . والعودة إلى ضمير التاريخ السحيق في أبدية الغابر أفتن من (شوقي) في قوله (١) .

« وَطَوَى القُرُونَ القَهْقَرَى حَتَّى أَتَى فِرْعَوْنَ بَيْنَ طَعَامِـهِ وَشَرَابِهِ »

على دهشـة ما طالع به (شوقي) . ووجهه ان (القوّال) يتمنى على الدهر لو يركب من البحر لجة مسرجة ويلحق عليها الماضي مع وجهه إلى أعمق المغاور . حيث تقطن قبائل عاد وثمود في موحشات البعد السحيق . ومظلمات الأبدية النائية : هذا التصوير الذي بلغ فيه غاية الافتنان بالتعبير (بالحق وموحشات) . ثم يزيد الصورة خلبًا بقوله (وأهجر ربوعي وأهلي الفين عام وبعده) تأمل بدقة المهاجرة بعيـدًا عن الأهل والربوع في أنفاق الماضي . حيث يكون حاجز الزمن صفيقًا بمقدار الفي عام . ثم قول (شوقي) على براعته المتمثلة في الاسناد إلى المكتشف بعبارة (طي القرون) لا نجد فيه شيئًا من الزيادات التي يطرفنا بها (القوال) بوضوح وظهور وقوة . وان كان لا ينكر جُمّاع القدرة عند (شوقي) في (بين طعامه وشرابه) . وفي الحجاز نوع آخر من هذا الشعر يدعى (المجرور) وهو مليء بأترف الصور الجميـلة التي يجيء عرضها في الفاظ تكاد تعدل أحسن الشعر كل الشعر . إلى غير ما هنالك مما دعى الى إيراد مثل منه . بيان ان عملاً من هذا القبيل لا يكون عادم الثمرة الأدبية من حيث هو كنز مليء بالطرف العبقرية . عدا عن الثمرة الفنية التي تعنينا موضوعيًا من حيث هو شكل من الشعر العربي العصري .

(٧) درس الأمثال العربية بما فيها العامية . فانا نقع أحيانًا بين تضاعيفها على ما هو أسمى من كثير من المثل العربي الفصيح . وكم يخلبني مثل يقال هنا في (مصر) كناية عن طهر الطوية وبراءة الجانب وهو (باطي والنجم) . وفي الحق انه جميـل متين التأدية مما يقل مثله في فصيح العربية جامعًا بين وضوح الكناية . وقوة الاسلوب . وبفضل تأمل يسير في الوصل بين الابط والنجم تقع على براعة البيان .

---

(١) من قصيدة (كارنارفون) ج١ من الديوان .

(٨) تلخيص الدراسات العظيمة والمتفرقة التي قام بها العلماء الأولون على طيلة عصور الدرس . وتصنيفها بحيث تكون وحدة ويكون من مجموعها تأريخ للفكرة اللغوية على وجه مفصل . ومرتبة على طبقات يتجلى معها تمام تطور الفكرة وكيف تكاملت . . .

(٩) الوقوف بالمرصاد للاستعمالات والمفردات التي تنقل من معناها الأصلي إلى معان جديدة بحيث تفقد العلاقة اللازمة للاعتبار . . .

(١٠) تشجيع الرحلات الأثرية للقيام بحفريات في الجزيرة بحيث يكون المجامع مساهمة في اعداد التاريخ العربي القديم كما بدأ المصري يتم درس تاريخ المصريين القدماء . . .

وبعد فلم يعد من الصعب تناول هذه البحوث بعد أن قام المستشرقون بجزء كبير منها . فنحن نعتمد ما انتهوا اليه فيما يرى صحيحاً ونكمل العمل كما ان تحقيق اللهجات الحية يبدو متيسراً بأعضاء الشرف الذين ينتخبهم المجمع من كل قبيل . ثم اذا وضعت قواعد الاشتقاق . على النهج [1] الذي بسطنا من أمره . وقرر في موازين [2] العربية جميعها الشائعة والنادرة . مخصصة بخصوصيات تقوم مقام التركيب في اللغات الأجنبية . وأُحكِم التعريب [3] في قواعد واحدة فلا يعوز الوضع على المسميات الحديثة إلى كبير عناء وعظيم مجهود مما تقوم به لجنة قليلة العدد في فرصة محدودة . . .

المجمع والمصطلحات العلمية !.

هذا قصد له مؤيدون وله خصوم . وله أشياع وله مستنكرون . وليس لي الآن أن أورخ له . لأن تأريخه من هم من تخصص وانصرف بالموضوع إلى نقد الحركة الأدبية المعاصرة. وهو طبيعي أن لا يكون غرض من تخصص هنا لدرس الأصول

---

(١) راجع القسم الثالث من المقدمة

(٢) راجع فصل (داء العربية ودواؤها) السابق ص (٥٣)

(٣) في فصل (التعريب) من القسم الثالث من المقدمة .

الاشتقاقية والقاعدية . لولا أن الموضوع في صميمه يعني شيئاً آخر له مساس بليغ بما نأخذ به . وهذا بدون ريب يدعونا إلى إبداء الرأي فيه وخصوصاً حين بدا على غموض شديد في محاورة الطرفين . أي لم يتخذ الطرفان هدفاً بعينه في التحاور. ولذلك جاءت النتيجة على نوع من المفارقات . وأرى ضرورياً من أجل تحديد الموضوع . أن أتكلم عن غرض انبعاث حركة المجامع . وفي غير إفاضة أقول بأن القصد الأسمى منها كان العمل لاعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية . التي تجري مجرى الوسائط في تأدية الغرض العلمي . وقد تشكل هذا القصد القومي في محاورة الطرفين بشكل علمي نقلها إلى غير سبيلها فكان قياس على المجامع الأوربية.وهذا ما كان يجب أن يتحاشى لأنه خطأ من حيث النظر الموضوعي وسيمر بك وجه خطئه . . .

وبعد فاذا علمنا أن القصد قومي قبل كل شيء كما هو الشأن في حماية اللغات عامة . كان ضرورياً أن نترك للواضع العربي حريته ليضع كل شيء ما دامت اللغة القومية بمعزل عن اللغة العلمية لا تأخذ عليها سبيلها . . .

ولأجل أن يكون ما أعنيه شديد الوضوح . أنساق مع الكلام في وجه آخر. فأقرر بأن منطق مناصري المجامع يقرر غايته في غير مساس ولا مزاحمة للغة العلمية (التي يريدونها تسميتها عالية) على معنى انهم يريدون أن يعدوا من العربية لغة شاملة لكل ما يطلب منها.غير متخلفة في استعدادها عن أي مضمار من مضامير الحياة. صالحة لأن تبتلع كل شيء على أن تمثله تمثيلاً يعود بتكاثر الخلايا الحية فيها. مما يحفظ وجودها ويجعلها شاعرة بكل ما في الاجتماع على أدق كونه . لا أن يكتفى منها بتناول توافه الحياة اليومية على وجه لا تتخلف عنه البربرية نفسها . وكذلك يريدونها لغة تحبب اليها أبناءها والناطقين بها بسرف، لغة يقعون منها على كل ما يطلبون في غير إرهاق ولا عنت وفي غير فقر ولا معجزة . ولا مناص لنا عن هذا القصد ما دامت غايتنا أن نعمم الثقافات ونرتفع بالمستوى العام . بازاء ما يتطلب الاجتماع اليوم . ومن الخطل جداً أن تبقى المصطلحات العلمية (ما دامت الغاية قومية) مع ذلك في إهابها الأجنبي المرعب يدب حياً جباراً في جسم العربية . الذي هو ضرب من استعباد اللغة

ومن ثم ندرك ضرورة تناول العربية لكل الأشياء ما دمنا نريدها لغـة لنا . وغنى العربية على هذا الوجه لا يعني القضاء على اللغة العلمية بين الاختصاصيين ضرورة ان التكميل اللغوي شيء . والاتفاق بين رجال الاختصاص على متواضع ما . شيء آخر . فاللغة للأمة جميعاً . والاصطلاح لذوي اعتباره . فدعوتنا نحن محصورة في أن تستكمل اللغة كل ما يدعوها للبقاء وليس للبقـاء . فقط بل للبقـاء السري أيضاً . وأن تكون على استطاعة لتناول الأشياء مهما استدقت بصورة عربية بحتة تخدم الأدب والعلم معاً والفن والصناعة سواء .

وأما إذا تنكبنا هذا الطريق إلى منطق الجماعة . فمعناه اننا لا نستطيع يوماً من الأيام الوصول إلى أسلوب ثقافي صحيح وخالص من العربيـة . ضرورة عدم وجود كلمات تؤلف الاسلوب . لذلك كان من التغرير العظيم أن ندفع بالعرب في مثل هذا المضيق الذي يضطر كل مثقف على أية ثقافة كانت.أن يستخدم لغة أخرى فى سبيل تكوينه .

وهذا هو السبب الذي أهاب بجماعه اللغة . منذ أن كانوا يعمـلون بدافع أنفسهم إلى أن انتظموا في مؤسسة رسمية تعمل تحت اشراف دوائر نظامية .

فكان قصدهم الأول إعداد العربية كلغة قومية وافية . وما عليهم بعد ذلك إذا كانت جماعة الاختصاص تتفق عالمياً على الفاظ بعينهـا تكون برسم العلم : وهذا شيء نظيره في كل اللغات الحية . خذ معجماً (كو بستر أو لاروس) تقع على ما يجاوز العد من الكلمات النباتية وسواها . التي يذكر مصطلحها العلمي ثم يردفه بانجليزية أو فرنسية المدلول البحتة . مما ننقلب منه بالذي نريد تقريره من أن استيفاء اللغة من حيث هي لكامل التأديات شيء آخر غير الاصطلاح . وهذا ما ينبغي اعتباره وفاء بحق العـلم واللغة . ولا يعتل بضخامة البرنامج اللغوي الذي يكلف المتخصص بحفظه .لأن معنى التخصص الاتساع في الفرع موضوعاً ولغة. على انه كشيء منتزع من صميم الاختصاص فلا يكون مرهقاً كما يتوهم . والخلاصة إنا نشايع الفئة التي ترمي إلى وضع كل شيء على أن يكون وضعاً خالياً من الشوائب . صحيح التحديد والشمول .

اقتراح ومناسبة

تسعى حكومات الشرق العربي بجد كما يظهر . إلى غاية توحيد الثقافة وتقريب الأواصر المعنوية والروحية . حتى يكون منها في خاتم الأمر وحدة تنتظم الأهواء والميول . وتهتضم الفوارق في تجاهل مطلق . وهذا بلا ريب لا يتم إلا بعمل مشترك تغذيه حكومات هذا الشرق العربي الواسع . تغذية حقة لا تقتصر على التمثيل بل تساهم مساهمة فعلية تشمل الصرف والانفاق أيضاً .

لذلك كان على حكومات الشرق العربي أن يعنوا بفكرة المجامع عناية خاصة.إذا كان من قصدهم حقيقة تبادل الثقافة على شكل تكون منه وحدة ثابتة في الافكار والميول والأهواء.وانما رأينا انه يتم كذلك على وجه محقق.من حيث ترى كل حكومة في تشريعها ومصارف أموالها . شيئاً بارزاً يعود نفعه على كل الاقطار العربية مرفوعة التخوم والحواجز . ويرى كل عربي أن له الحق فيها من حيث كونه يساهم في المشروع .

وأرى وجوب الاشتراك في أمور ثلاثة . اللغة . والقانون . والثقافة العامة . وذلك بأن تنشأ مجامع أو نواد أو مؤسسات سمها بأي اسم أردت . تغذى بأموال الحكومات العربية قاطبة بدون استثناء وتعمل في نواح ثلاث :

(١) اللغة . فينشأ مجمع يختص بها ولا حاجة لأن يكون غير المجمع الملكي المصري . ولكن على وجه أن يغير في قانون ادارته بحيث يتوافق مع المصالح المشتركة. واما أن تقوم به حكومة وحدها كمصر مثلاً . فعدا عن أن المشروع قد يأتي يوم يلغى فيه . يأخذ على مر الأيام شكلاً إقليمياً يجعل احترامه في منطقته فقط مما يظل معه موضعي الفائدة والانتاج .

(٢) القانون . فان الظواهر القوية الوضوح في حياة الامم . وصبغة الاجتماع التشريعات الخاصة بالعموميات . ومن ثم كان ضرورياً (ان كنا نقصد تحقيق الاتحاد العربي على وضع عملي محض) العمل على انشاء مجمع قانوني أو فقهي يضم النخبة الممتازة من الاقطار العربية الحائزين على صفة رسمية.للتواضع على القانون العام مرعياً

فيه القواعد الاساسية . التي تكاد تكون مشتركة بين هذه الاقطار عموماً . ويكون عمله بحيث لا يصح لأية حكومة بعد تصديقه المشترك من أن تنفرد بسن القوانين الأساسية أو بتغييرها . إلا بعد أن يبدأ المجمع فيعطي رأيه . ومن بعده تعرض على المجالس التشريعية لكل حكومة حتى يأخذ صفة القانون النافذ في الموضع . ويغذى أيضاً بأموال الحكومات العربية جميعها .

(٣) الثقافة العامة ونعني بها مؤسسة الترجمة التي تكلمنا عليها فيما سبق من المقدمة[1] فلا نعيده ثانية هنا . . .

وقد راجعت بهذه الفكرة كثيرين من ذوي الشخصيات في المحيط العربي . ولكن كان من أحدهم ما لم أكن أنتظر . حين فاجأني بمركز هذه المؤسسات الذي يفرض على الاقطار العربية أن تأخذه بنظر جد ممتاز فتذوب في حُمّى بوتقته تماماً . ثم انتهى إلى أن هذا لا يتم الاتفاق عليه بسهولة . وأن معنى الوحدة التي نلمس عند الجميع استعداداً لتحقيقها والتي تلاقي دعوة جدية اليها . أن تكون مبنية في عناصرها على قاعدة العرض والتبادل (تأخذ وتعطي) ومع أن منطقاً على هذا الوجه بدا ممجوجاً إليّ . اقترحت عليه لحل هذه المشكلة أن يكون مركز كل مجمع منها عاصمة القطر الذي يقوم بتحمل نصف ميزانية المشروع . فقال ولا كذلك . ولكن على كل أصبح له اعتبار معقول . . .

المعجم كيف نضعه ؟ .

كنت أروم أن أتسع بالكلام على تاريخ المعاجم في العربية . فأتناول منها كيف بدأت والأسباب التي هيأت اليها . وكيف كان تقييد الرواة لمفردات اللغة وشواردها إذ كانت المعاجم على الترتيب الهجائي من عمل النحاة . ولكني أقصَرْت لما أن الموضوع تناوله كثرة مستشرقة وعرب . بيد أني أشير هنا إلى ملاحظة بدت

---

(١) راجع فصل (العربية واللغات) ص (٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩) .

لي في تاريخ المعاجم قد تعبر عن ناحية غامضة وتفسرها بعض الشيء ... وهي أن فكرة المعاجم كانت نحوية أي من صنيع نحويين . ومنتزعة من صميم اختصاصهم . فلم تكن في خاطرة الرواة ومن اليهم ممن اتسموا بالنحو إلى جانب الرواية أو بعبارة أدق عند طبقة النحاة الذين كانوا قبل أن يكون النحو علماً بأصول . فكان علينا إذن أن نترك سراعاً ما قبل الخليل ونقف عنده . لأنه أقدم من عرف له معجم واسع المادة يتناول من اللغة أشيائها الجمة في شيء من الحصر أو في حصر حقيقي على الحروف .

ولكن يتساءل هنا في تحر وحذر عن فكرة الكتاب . وكيف نبتت ونمت في نفس الخليل . واستقل بعملها . وهو تساؤل جدير بالدرس وجدير بتوفير النظر الخليقين بأن ينكشف من بعدهما سر الكتاب . ونحن في غير اطمئنان إلى الشك نجد مما يقوي فكرته وجوهاً :

(١) خروج الكتاب عن يد فارسية بحتة . مما لا يكون بعيداً معه الظن بأنه نتيجة جهد غير عربي أو على الأقل لا يفكر بفكر على طراز عربي خالص ...

(٢) ترتيب الكتاب الفذ فهو يبتدأ في ترتيبه نهجاً غامض القصد . الذي روج لفكرة انه ينظر إلى نهج تقليدي عن السنسكريتية وجدوا عليه شواهد[1] ولها قوة . ولقد يكون القصد منه نشوئياً . على معنى أن الخليل كانت عنده أفكار عن نشوء العربية بحسب طبيعة الحروف . فعمل لخدمتها على هذا الترتيب . وهو اذا صح كان تفكيراً مستقياً من الخليل وآية من عبقريته النادرة . والذي لا يجعله بعيداً ما حدث به (حمزة الاصبهاني) ونقله (ابن خلدون) و (ملا كاتب چلبي) من أن الخليل رمى بالفعل إلى حصر كلمات العربيه المحتملة على نسق عقلي محض . هذه المحاولة التي تعرّف بخطة تفكيره . وفيها حظ من النظر النشوئي غير قليل كما يظهر ...

---

(١) فقد ورد في دائرة المعارف الاسلامية ان الخليل اتبع في ترتيب معجمه طريقة النحاة السنسكريتيين في ترتيب حروف لغتهم فأن حروف السنسكريتية تبدأ بأحرف الحلق (gutturols) وتنتهي بالاحرف الشفوية (lobials) وهو قد رتب العين على الحروف مبتدأ بحروف الحلق فاللسان فالاسنان فالشفتين .

(٣) تطلع المحيط العلمي إلى آثار الخليل . حتى في عصره وعنايته الشديدة بها فلم يكن رجلاً مغموراً كما تشاء بعض كتب التاريخ تصويره . بل كان شاغلاً الناس ومالئاً الفراغ كما يظهر من حكاية ذكرها [1] (أبو الهلال العسكري) . ومن شغف الشخصيات بالاجتماع اليه ومنادرته (كابن المقفع) . ومن الحاح الأمراء بتقريبه (كالعباس بن محمد) . مما هو شاهد تقدير عبقريته . وانما يعزى عدم حظوته إلى أفكاره العبقرية أيضاً . التي لم تكن بحكم جديتها تلذ الجمهور لأنها ترتفع عن مدى مداركه . ولا الخاصة الذين همهم التعلق بالجانب اللاهي من الحياة.وإلى أسباب أخرى من العصبية للبلد ونفوذ الكوفة .

هذا التطلع الذي يقضي بانتشار الأثر . وبالأخص إذا كان يحوي مفاجئة حقيقية فتأخر ظهوره إلى حدود سنة (٢٥٠) نطوي منه على حذر شديد . تجتمع أسبابه على ظن أن يكون لمدرسة البصرة فرع نشأ في فارس . ينتظم الأمير الليث وجماعة شملهم نفوذه.قام على تمجيد ذكرى الخليل وشرح تراثه وترتيبه على المقدار الذي وصلهم منه. ولكن تناولوه بعقلية غير عربية . وذهنية دربت على غير نحويتها . كان عندها من التنظيم الفني قسطاً أوفر مما هي لو عربية خالصة . فأخذوا العربيـة على نسق بدا كما هو غريباً جداً وأجنبياً واضحاً . ومن ثم يظهر كيف تأثر الكتاب بفكرة سنسكريتية قد تكون . عن هذا الطريق .

وأما الخليل نفسه فأبعد ما يكون عن ظن التأثر في كل ما انكشف عنه من ايحاء عبقري . في العروض . في اللغـة . في الاشتقاق . وهو عندي مثل أعلى مما يمكن للعبقرية العربية أن تقدمه من مثلها العليا . والذي ننتهي به هو ان الكتاب ليس من تصنيف الخليل على صورته . وان كانت أفكاره الرئيسية من أفكار الخليل . أخذت صوغاً آخر واملاء طريفاً . ومن جهة أخرى يوضح لنا كيف وقعت فيه الأخطاء [2]

---

(١) راجع ديوان المعاني ص (١٨) ج ١

(٢) بهذه المناسبة اذكر بان اشد المنكرين الحاحا في ان يكون من عمل الخليل هي مدرسة الخليل واعلامها بما يبدو معه مستبعداً جداً ما ظنه الدكتور محمد ابو شنب كاتب المقال عن الخليل ابن احمد فى الموسوعة البريطانية من ان الحسد للخليل هو الدافع الوحيد لانكار نسبته اليه . .

التي أخذت عليه وقال فيها (ابن جني) انها لا تقع من أصغر تلامذة الخليل فضلاً عنه .

وأما زعم من زعم أن الكتاب احترق وأملاه تلميذه الليث من حفظه . فأقرب أن يكون خرافة ونادرة . ولقد يكاد يتسق عندي هذا الظن . ولكن يعرض دونه سؤال وهو ألا تعرف آثار أخرى يمكن عزوها إلى هذا الفرع الفارسي من مدرسة (البصرة) الذي يمتاز عنها بأسلوبه في شرح الخليل ؟ . وهو يبدو قويا ولا يمكن الجواب عليه بسهولة . وان كان من المستطاع الاجابة عليه بمحاوله غير مقنعة . وذلك حين يظن انه قد كان له آثار عفى عليها ما بدت به مدرسة البصرة الرئيسية من قوة في شرح الخليل . ومن انتاج خصيب متفوق . مما أضاله وجعله يقضي في صموت . أو شملته بمنطقها فلم يتميز عنها فيما أنتج . . .

هذا ما يستطاع فهمه من نتف النصوص المحفوظة . وما علينا أن يكون من عمل الخليل . ما دمنا نقرر انها أفكاره مشروحة على نهج غريب . ومن ثم نتخلص إلى تصنيف المعجم العربي في مناهج ثلاثة :

(١) منهج الخليل : في العين وأعظم ما ظهر عليه المحكم لابن سيده . والجمهرة لابن دريد .

(٢) منهج ابن فارس : في كتابه مقاييس اللغة الذي لا أعلم أحداً سبقه إلى الوضع على مثاله وفيه يبدو نوع من تقدم اللغوية العربية وجنوحها نحو التهذيب والسهولة والتصنيف . وأهم ما ظهر عليه المحيط للصاحب بن عباد تلميذ ابن فارس والأساس للزمخشري والمصباح المنير للفيومي .

(٣) منهج الجوهري في الصحاح وفيه تمثل العقلية اللغوية على تمام قوتها . وملكة التصريف الفلسفي ويعطي صورة من بلوغ المنطق في اللغة . وأهم ما ظهر عليه العباب للصغاني . واللسان لابن منظور والقاموس للفيروزابادي . وملخص الأساس للزمخشري . . .

هذه نتفة عجلى حقيقية كما أظن . ولا يعنينا ما قبلها كثيراً لأنه لا تجدر به

كلمة المعجم [١]. وانما تدخل في موضوع الأسباب التي هيأت إلى المعجم ومهدت اليه . .

وهذه المناهج وان يكن بعضها وافياً بالغاية من المعجم المادي . فهو في حاجة إلى متممات تزيده سهولة . وانما كان منا هذا التخصيص لأن من رأينا لزوم تنويع العمل في المعجم العربي على انحاء :

(١) المعجم المادي ويبحث على سنة المعاجم القديمة . . .

(٢) المعجم العلمي . ويبحث في الاصطلاحات موزعة على حسب الاختصاص . بحيث يكون للقانون جزء يختص به وللاجتماع كذلك . وهكذا .

(٣) المعجم الاصطلاحي . وهذا يكون على نسق الكليات لابن ابى البقاء والتعريفات للجرجاني

(٤) المعجم التاريخي أو النشوئي . ويبحث في نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية وتراوحها بين الحقيقة والمجاوز مقيدة بالعصور . ويكون على اسلوب مادي وسيأتي بيانه .

(٥) المعجم المَلْمي وهو يضم جميعها باختصار . . .

المعجم المادى !

نختار في ترتيبه أن يكون على سنة (المصباح) بيد لا يتقيد بالنظر الى الأصول . بل ينزل الزوائد عليها منزلة الاعتبار أيضاً . ولكن كما أبدى بعض الباحثين من أن هذا قد يفصم عروة المادة العربية . أو هو يفصمها بالفعل بخلافه في الأجنبية . لأن

---

(١) جاء في ضحى الاسلام (ج ٢) ان المراحل للمعجم العربي ثلاث وانها كانت متلاحقة بانتظام وهو وهم والحق ان وضع المعجم على المعاني ليس بمرحلة وانما فن يعمل في الناحية الاخرى التي يعمل في مقابلها المعجم على الاصول فهي مرحلة تاريخية لا لحاقية وتأخر المعجم على الاصول انما كان نتيجة طبيعية . لان العمل الصرفي ابتدأ على الحقيقة بعد الخليل . والمعاجم على هذه الملاحظة كانت لخدمة التصريف قبل كل شيء ويظهر هذا من كتاب مقاييس اللغة لابن فارس اذ كان يصرح باصول الكلمة كمثل (خضم) يقول الخاء والضاد والميم أصل الخ وفرق كبير بين أن تكون مراحل مترتبة بمعنى ان كل واحدة ادت الى نشوء الاخرى وبين أن تكون مراحل تاريخية او زمنية

الزوائد تغلب على الأول فيها (prefix) . وفي الأجنبيـة قلما تكون عنده وتكثر في الآخر (suffix) . وهو ملحظ يمكن الاحتياط له بأن يبنى الكلام على الزوائدبضرب من الاحالة . على معنى أن يثبت في باب الهمزة والراء مثل (أرْوَنان) وان يحال الكلام عليه إلى مادة (رون) كما هي سنة الدوائر العلمية في الاعلام بحسب الاشتهار لقباً أو كنية أو اسماً .

وهذا وان يكن يلزمه عملان ويتضخم معه المعجم العربي بعض الشيء . يسهل مهمة الاستقلال بدرس المعاجم وبالرجوع اليها على الناشئة . وبعض الخاصة الذين يعتاص عليهم تنـاول كلمة من معجم كالقاموس[1] . وينبغي أن تثبت فقط على هذا الوجه. الزوائد غير الواضح شكل زيادتها.وأما القياسية الواضحة فتثبت من أول الأمر بمحلها المادي (كفاعل ومفعول) . ثم يأخذ بعمل شكلي كالتفرقة بين الحقيقة والمجاز. واختلاف المعنى باختلاف الوصفية والاسمية وسائر الأشيـاء التي أثبتناها في النماذج المنشورة والموضحة في كلمة التصدير . والتحلية بالصور من أجل التوضيح .

المعجم العلمي

وهذا يفرغ فيه لخدمة الاختصاص وحده.فتوضع الفاظه مبنية على شرح تخريجي يتولاه أهل الاختصاص ليأتي على صورة وافية.فيوضع في أجزاء للجغرافيا والجيولوجيا والهندسة والقانون والاجتماع والتاريخ فناً واعلاماً الخ . . .

---

(١) نمي اليّ ان الاستاذ اللغـوي (محمود خاطر) مرتب (مختـار الصحاح) قد رتب القاموس على نهج (ترتيبه للمختار) توفيراً للجهد الذي يتدارك اي مطالع وهو عمل جسيم بلاريب ومفيد أية فائدة ولـكن نرى ان يعمـد الى تصحيحه اولا . فان الشرتوني الق على عاتقـه اكثر ما انتشر من الاغلاط (راجع اقرب الموارد ج ٣ ص ٤) وأخذ عليه الشدياق (في مقدمة الجاسوس) ابهام عبارته بحيث لا ينبه على الفصيح من غيره والغريب والمهمل والمحرف والمصحف وذكر الاستاذ (lone) في مقدمة كتابه (مد القاموس) ان كثيراً من ملاحظات الفيروزابادي النقدية خاطئـة . ومن قبل هؤلاء . تعقبه الأئمة الاعلام في الـكثير الـكثير كابن الطيب الفاسي والقرافي كما ان الواجب يقضي اذا اخذ بترتيب القاموس على هذا الشكل ان ينقى من الاوهام التاريخية وان تحقق فيه النباتات والحيوانات واما اذا ترك على ما هو من الاوهام اللغوية والعلمية . فما يكون الصنيع الجديد الا ترويجاً للخطأ واشاعة للاغلاط . . .

المعجم الاصطلاحي

وهذا يتناول المصطلحات في درس لغوي علمي فيبحث عدا عن شرح الاصطلاح . في اشتقاقه ووجه مأخذه وما يتبع . والغرض تعبيد الموسوعة العربية على منتهى المواتاة . . .

المعجم التاريخي او النشوئي

وهذا يفرغ فيه الى درس المواد وكيف كان نشوءها . و يتناول المفردات من حيث هي عربية عريقة أم تنظر الى مصدر غير عربي . ودرس كل الملاحظ الاعتبارية عليه بحيث يكون على وضوح تام فيه.ما يدعى باختلاف اللغات واللهجات وتداخلها وما وراءها من مشاكل في اللغة .

ولهذا المعجم عندنا ترتيب ينزل من مواده منزلة نشوئها في أقرب التقدير . وذلك بأن يبتدأ (بالمعل) الذي هو في نظرنا[1] الثنائي الصوتي . ثم بالثنائي المضعف الذي هو في نظرنا المعل نفسه طوروا اعلاله على هذا الوجه من التضعيف . ثم بالمهموز الذي هو في اكبر عدده معل أخذوه بالهمز .ثم بالثنائي المكرر .ثم بالثلاثي ثم بالرباعي وهكذا واليك المثل عليه :

(زَبَى) بمعنى حمل . وزباه بشر دهاه . الازبى النشاط وضرب من السير .

(زَبّ) الزباء الداهية الشديدة . وزب القربة ملأها .

(زَبَأَ) الزبأة الغضبة .

(زَبْزَبَ) غضب . وانهزم في الحرب .

(زَعَبَ) الاناء ملأه . والقربة احتملها ممتلئة . وتزعب نشط .

---

(١) راجع القسم الثاني من المقدمة بتحر واناة .

(زَغباً) عندها تنتهي المادة فلا نجد لها ذكراً في المعاجم. واليك مثلاً آخر أتم من الأول وهو .

(شَرَى) الفرس . بالغ في سيره . وشرى الشر استطار . وشرى الاقط وضعه على خصفة ليجف . تشرى تفرق .

(شَرّ) شرة الشباب نشاطه وشرر النار . وشرر اللحم والاقط كشراه .

(شرشر) الشيء قطعه . والشراشر الاثقال .

(شمر) الفرس مر جاداً أو مختالاً . وأشمر الابل اعجلها .

(شمرد) الشمردى . الناقة السريعة .

(شمردل) الفتى السريع من الابل .

وهكذا يكون السير فيه بحيث يضع حدوداً واضحة للتطور ورسوماً بينة للارتقاء ثم ينتشر كذلك على المفردات في الاستعمال والدخيل وما يتبعه من أبحاث يرتفع معها مستوى النظر اللغوي في العربية .

المعجم المعلمي

أو دائرة المعارف الصغرى على مثل معلمة (اكسفورد . و بستر . لاروس) . ونحن قد وضعنا لبعض هذه المعاجم أصولاً لم نبدأ فننشرها. لنرى مقدار ارتياح الرأي العربي لهذا الاقتراح الذي تقدمه من أساس عملها . والواقع ان اصول الاشتقاق والنظر الاجتهادي على العربية أصبحا فى حاجة مطلقة الى التمحيص . لنخدم عربيتنا الحاضرة وتاريخ العربية العريقة خدمة مزدوجة . تفيد العربية الحاضرة بما تنفخ في بقاياها من الروح . وبما تمسها به من تيار الحياة . وتفيد العربية القديمة بكشف أسرارها الغامضة . وسيأتي في بعض بحوث المقدمة ما تقف منه على مقدار ما تزخر به الالفاظ من حضارة عربية طواها التراب في غفله التاريخ . واهتضمتها الرمال في شرة وشره ..

دراسة التخصص فى اللغة والادب

(مصر) كلمة ولكن كما كان المسيح (كلمة) تنشر الحياة وتبعث بالروح . فلم يكن معناها على مقدار حروفها بل لها من خيال ما يتزايد به معناها قدر لا تكون الألفاظ قمينة بالوفاء به .

فمن شاء أن يعرف (مصر) فهي مصر وكفى . وفي الحق ان (مصر) كذلك مكانها من الشرق العربي لا تنقص عنه وربما زادت عليه .

ولست من هذا الحديث بقبيل . إلا لأفضي إلى مامن قصدي أن أفيض فيه . يشاء العربي منا أن يتخصص للعربية وما اليها فلا يجد له وجهاً إلا (مصر) ولا منتهى إلا دورها التي تنتظم في مؤسسات ثلاث :

(١) كلية اللغة العربية للأزهر .

(٢) كلية الآداب للجامعة المصرية .

(٣) مدرسة دار العلوم .

والذي يظهر من أسمائها انها منوعة الدراسات بحيث لا تغني واحدة عن الأخرى أبداً . وبحيث نكون من كل واحدة في حاجة اليها . فكلية الازهر تعد للغة وحدها . وكلية الجامعة تعد للأدب وحده . ومدرسة دار العلوم تعد لثقافة عامة عليهما . . .

وكذلك يتمادى الظن مع العناوين إلى أبعد معانيها . فيتمثل في كليـة الأزهر . كيف يعاد درس العربية على نحو ما كان في عهود البصرة والكوفة الزاهرة . من عناية بمتن اللغـة . ووقوف عند النوادر . ورواية للغريب . وتخريج للحُوشي . ودرس للأدب لا من ناحيته الفنيـة . وانما من الجانب المُعاني أو المَعنِيّ . وكان الأولون يسمونه (معاني الشعر)[1] الذي الف عليه ابو عثمان الاشناندانى . وابو العميثـل

(١) ومن أمثلته ما حدث به نفطويه عن أبي العباس ثعلب انه قال : سألني بعض اصحابنا عن قول الشاعر : (جاءت به مرمداً ما ملا مانى أل خم حين ألا)
فلم أدر ما يقول فسرت الى ابن الاعرابي فسألته عنه ففسره لي فقال هذا يصف قرصاً خبزته امرأة فلم تنضجه فجاءت به مرمـداً اي ملوناً بالرماد الحار ثم قال (مانى ال) ما زائدة كانه قال ني ال والآل وجهـه يعني وجه القرص وقوله خم اي تغير حين ال اي حين ابطأ به النضج . يضرب مثلا اذا كان ونا. في العمل او ابطاء .

وكثيرون . ثم الانتزاع الشديد الى استعراض المفردات وكيف دارت دورتها المستوية في أطوار من العمر والحياة مختلفة الالوان والأشكال . على نحو ما نرى في الجمهرة لابن دريد . واحاطة بنادر الكلمات التي يسوق لنا كثيراً من أمثالها ابن الانباري في نزهة الالباء والجرجاني في الكنايات . وتحقيق للفصيح كالذي فرغ اليه ابو العباس ثعلب وابو سهل الهروي وعبد اللطيف البغدادي . وارتياض على الامالي كما نجد عند القالي والسيد المرتضى وابن الشجري ومن قبلهم عند ثعلب في مجموعة مجالسه وعند المبرد . وهكذا حتى يتقن علوم اللغة البحتة التي كان لها (مزهر السيوطي) كفهرس واضح العناوين بعض الشيء .

وهذا وحده الذي يضمن لنا اعداد لغويين قد يعيدون العهد بمثل الشيخ نصر الهوريني وسيد علي المرصفي . ولكن شيئاً من هذا لم يكن فان جهد ما تستطيع كلية اللغة أن تقدمه الى المجتمع من مخرجيها على نسق ما تدرس . أشخاصاً اعداديين لا يوسمون بسمة الاختصاص أبداً . وبحسبك أن تعرف أن متن اللغة مهجور هجراناً تاماً . وهذا ما لا يعذر به فان اختصاصاً يتمطى في ست سنين . ضروري أن يقدم لغويين لهم أكبر الحظ من الاحاطة .

واما أن تأخذ الكلية طلبتها بنتف من هنا وهناك على غير تمحيص ولا تحقيق . وانما بسمة كلها التقليد غير المحكم من نوع الفلسفة وتاريخها وعلم النفس. وملتقطات من الحديث ليس فيهـا شيء من طرائف الغريب فليس مما يفي بالغاية ولا بالحاجة . والطالب من هؤلاء يرثى له حقاً لأنه يقدم نفسه وهو مطمئن على أمل أن يخرج كما يسمو به الهدف. ولكن لا تكون له الا هذه النتيجة الملتوية . وأما إن كان القصد من كلية اللغة في الازهر اعداد معلمين لقسمي الابتدائي والثانوي فهي تعطي اكثر مما ينتظر منها بحق . . .

ويتمثل في (دار العلوم) كيف يستعاد تلقين الأدب الغض. الى جانب المشرق من الفاظ اللغة على نحو ما غبر به الزمن من تخريج الكتاب المنشئين . وكان أخذاً بياناً صرفاً على ما يحكي (الجاحظ) انه وجده عند (سهل بن هارون) وعلية الكتاب . وعمد الأدباء الى خدمته وافراده كفرع من الادب وحده . فألف فيه ابن درستويه

وابن قتيبة وابن السيد البطليوسي وموهوب الجواليقي وغيرهم . وهؤلاء كانت غايتهم الوقوف على أسرار البيان العربي لا من جهة النحو فيتزيدون منه بأكثر من الواجب . حتى كان من طابع هؤلاء ضعف الجانب النحوي عندهم . حيث هو من العناية والتوفر عليه اذ كانت عنايتهم منصرفة الى البيان خالية من الشوائب . وهذا ما يحكيه ابن الانباري في نزهة الالبا من ان أبا منصور الجواليقي كان في اللغة أمثل منه في النحو .

ولقد كان لهذا الفرع من علوم اللغة حلقات لا تدرس الا الجانب المذكور على معنى الفراغ اليه . والا فقد كانت لهم حظوظ واسعة من النحو والصرف وما اليهما . على المقدار الذي يلزمهم منه فقط . واليك ما يحكيه وهب بن ابراهيم قال: كنا بنيسابور في مجلس ابي سعيد احمد بن خالد الضرير وكان مجلساً يؤخذ فيه بروائع الأدب إذ دخل علينا رجل من أهل (قم) وكان بعضنا يقرأ قصيدة من شعر نهشل بن جرير التميمي حتى بلغ قوله

(غُلامَانِ خاضَا المَوْتَ مِن كل جَانِبِ   فَآبا وَلَم تُعْقَدْ وراءهُما يدُ)
(مَتَى يَلْقَيَا قِرْنًا فَلاَ بُدَّ أنه   سَيَلْقَاهُ مكروهٌ من الموتِ أسودُ)

فقال الشيخ ابو سعيد يشرح (ولم تعقد وراءها يد) أي لم يؤسرا بل رجعا موفورين ولو أسرا لعقدت أيديهما كتفا . فقال الرجل ليس هذا الوجه فقال ابو سعيد هذا الذي عندنا فما الذي عندك . فقال : آبا ولم تعقد يد بمثل فعلهما لأنهما فعلا ما لم يفعله أحد كما الشاعر .

« قَوْمٌ اذا عَدَّت تَميمٌ معًا   ساداتها عَدُّوه بالخنصرِ »
« أَلْبَسَه اللهُ ثيابَ الندى   فلم تَطُلْ عنه ولم تَقْصُرِ »

أي خلقت له وقول الشاعر . . .

« قومي بنو مِذْحِج من خير الأمم   لا يضعون قدمًا على قدمْ »

يعني انهم يتقدمون الناس في عملهم ولا يقلدون أحداً في فعل بل يقلدون . وعندنا ان وجه المعنى غير هذا . فان الشاعر يقول (آبا ولم يأسرا أحداً إذ قتلا

الاقران جميعاً) و يشهد لهذا . البيت الثاني الذي يقول فيه (متى يلقيا الخ) وكيفما كان الأمر . فقد كان لهذا الفرع من اللغة عند الجماعة عناية خاصة تحقق طلبة رواد الأدب الانشائي . وربما كان أقرب مثل اليهم في معارفه ودراسته المرحوم (حفني ناصف). وأما أخذ الطلاب على هضم الاشموني والكشاف. فما لا يحقق الغاية أبداً ولا يكفل ما يطلب منه كمعهد أن يتحف به . وليس معناي بهذا أن لا ندرس علم الاشموني وعلم الكشاف .وانما المعنى أن ندرسهما في غير عبارة الاشموني وفي غير عبارة الكشاف التي تقتضي وحدها ارتياضاً بالغاً يؤخر الغاية المقصودة بالدرس . والحق ان عدداً كبيراً من طلبتها على جانب من الانتاج الخصب لو تعهدوهم بمنهج ا كثرضمانة للادب وا كثر تذوقاً له .

ويتمثل في كلية الأداب . الميل الى التعميم في الدراسة . فهي تدرس الأدب العربي . والى جانبه الادب عند الأمم الأخرى ومن ثم تأخذ في أدب مقارن وما اليه مما يكون الدرس رغم ما قد يؤخذ به أقربها الى تحقيق هدف الاسم .

وهذه المعاهد الثلاثة على ما بينها من جهات اختلاف حقيقية في اسلوب التعليم ومنهاج الدرس.تحقق غاية واحدة لا تختلف عليها كثيراً . فهي إذن تمتاز امتيازاً اسمياً وشكلياً فقط دون ما وراء الاسم والشكل . وتتلاقى أهدافها في الواقع على نقطة بعينها دون اختلاف واذا اختلف شيء بينها فانما هو روح الدرس . فهذه تدرس عن مصدر اوروبي محض وتلك تدرس عن مصدر شتيت . وهاتيك لا تزال محافظة أشد المحافظة . مما يثير احتداماً واستعاراً مستمراً دائماً بين المخرجين . لأن الاصول بينهم غير موحدة . وهكذا يندلع لهيبه و يتقد ولكن في غير فائدة تفيد الأدب .

وذلك لأنهم يعدمون التفاهم على الأصول الواحدة للدرس والانتاج . وليس هذا فقط . بل يكيدون في النقد كيداً يراد منه الهدم المجرد . ولا يفتأون يذكونها حامية ليكون ضرامها ما انتحبوا جميعاً . وفي غير كبير جهد تقع على هذا الأثر في كتاباتهم حتى تلمس حزازة لا تمحى وحفيظة لا تفتأ تكيد.وهذا شيء لا يخدم الادب بل يقضي عليه لأنه ينطوي على ازورار مغرض واعراض و يل . وزادت بهم مدة

الحفيظة إن كان للحفائظ مدة . فاعرضوا مطلقاً عن قراءة بعضهم . وناهيك هذا أن يكون من نتائجه . . .

وبعد فان دراسة التخصص في اللغة والادب لا تتوفر أبداً في منهج كلية اللغة العربيـة ولا في منهج كلية الآداب ولا في منهج دار العلوم . وانما يتحقق الغرض المنشود في منهج يجمع كافتها . فمنهج الازهر لا يزيد عن انه أغراض في النحوية والصرفية واعتراضاتها كما وانه لا يعنى بناحية ضبط المفردات أبداً . ونراه يعنى بنواح جديدة من التاريخ والنفس ويدرسها دراسة خاطئـة على وجه العموم شأن كل من يستجد في ثقافة ما . وانما يتم منهاجها بمنهاج دار العلوم وهـذه ينقصها كثير مما يجب على المتخرج أن يكون ملماً به كأديب بكل المعنى . والعجب في مخرج دار العلوم أن يكون بعيداً كل البعد عن نظريات الأدب العالمي التي لا يلم منها إلا بشذرات مقتطفة من هنا وهنا لا تعرفه به الا معرفة ناقصة . مما لا يكمل إلا بمنهج كلية الآداب ولكن يؤخذ عليه ضعف اللغة فيه من ناحية والتزيد من المواد الأجنبية من ناحية أخرى ..

ولكن أنّى يتأتى ضم هذه البرامج ثم تكليف الطالب بتحصيلها . الذي يشاهد نصعبه من برنامجها الواحد فكيف بها مجتمعة . وهذا مسلم شكلاً كما يقولون واما هو من حيث الموضوع فسهل الاحتياط له. بعد ما رأينا من تداخل بين الدراسات وزوائد يمكن الاستغناء عنها . ومن بينها يتأتى اعداد المنهج على أكمل الوجوه أو على الوجه المنشود . . .

ومن ثم يصار ضم المعاهد[1] الثلاثة في كلية واحدة يجمل لها فرعان :

---

(١) كنا ابدينا اقتراحاً لاصلاح الازهر جاءت مناسبته الآن بحيث يحقق كل اهدافه . فان الازهر رغم صبغته التجديدية . ورغم ما يبدى من استعداد للتطور واخذ به . لا يزال بعيداً عنه . لان اخذه فيه لا يتعدى كونه صورياً . فان العالم الاسلامي يطلب من الازهر وهو جامعته الدينية الوحيدة . ان يعد له لا هوتيين (متكلمين) . وفقهاء بكل المعني يدرسون بدقة الديانات ومقدار مشاركتها . وما الاسلام بين هذه الديانات القائمة ومقدار ثبات تعاليمه بين ما يغدق العلم من نظريات فى الاخلاق والنفس والنشوء والعدالة والاجتماع والاقتصـاد والقانون واصول النواميس وما الى ذلك. هذه المشاركات التى اذا حدثوا بها او قرأوها يطالعونها مندهلين فيرون في فجر الاسلام معجز احمد . واذا وقفوا على بعض بحوث البستاني فى الدائرة هللوا ـــ

(١) يدرس فيه البرنامج ولكن مع تقوية جانب اللغة تقوية مبالغاً فيها ليعد لغويين قعيدين يمكننا أن نستفيد منهم .

(٢) يدرس فيه البرنامج ولكن مع تقوية جانب الأدب تقوية مبالغاً فيها بحيث يعد أدباء بالمعنى الصحيح ونقدة يفهمون دقه ودقيقه .

ومن وراء هذه الخطوة المباركة يمكننا أن نطمئن الى فئتنا الأدبية . ونطمئن الى

—لكل كلمة . وهي بعد معلومات شائعة عند غيرهم . وعدا هذه المشاركات اللازمة . ضروري ان يخرج فقهاء ينزلون منزلة مجتهدى المذهب على الاقل يستطيعون تخريج المسائل على اصول الخلاف بنحو مما نرى في تأسيس النظر للدبوسي وعند البزدوي ومن اليهم ممن كتب فى الخلاف كامام الحرمين والكيا الهراسي وكتب الاشباه ككتاب ابن رجب وابن دقيق العيد والزركشي والسيوطي وابن نجيم . والعجب كيف لم يقرر واحد من هذه الكتب فى الازهر ويفضلون عليها مذكرات منتوفة كنتف الشارب وايم الله . وبذلك وحده يستطيعون الاحتياط للنوازل ومعرفة المخارج . ولقد سمعت من يقول من مسلمي الروس بحرارة زائدة (لن نتوجه بالفتوى بعد هذا ونحن نسأل المتصدرين في مصر فلا يكون رجع الجواب الاما الاستفتاء عن سواه اذ يجيبون باجوبة المسائل المعروفة على اقتضابها ومخالفتها لظروف السوآل ومناسباته . كان الشيخ بخيت مورداً فانقطع المورد بعده) هذه عبارته لم ازد فيها علم الله . فحاجة العالم الاسلامي . ان يكون الازهر كما يجب ان يكون مرجعا عاماً للفتوي وجامعة كبرى لتخريج العلماء . واذا اقتضت الحال (وهى مقتضية) ان تساهم الدول الاسلامية بتوفير خزينته وجب ذلك . ووجبت الدعوة الى المساهمة . وواجب ان يرتبط الازهر بروابط اكيدة من حيث كونه مرجعاً رئيسياً بمعهد النجف والزيتونة والقرويين بحيث تتقارب وجهة الدراسة . وتكاد تتوحد ادارة معاهدها . وان في هذه المعاهد علماء حقيقيين يجدر الاستفادة بهم في امداد المشروع . والعالم الاسلامي يطلب من الازهر وعاظاً اعنى مبشرين ودرس الازهر لا يحقق هــذه الغاية بكاملهــا . وجمــاع العلة في بطء سير الازهر هــو احتفاظه بكل (اقسامه الاولي . الثانوي . العــالي . التخصص) وحقيقة ان الازهر لن يبلغ رسالته على الوجه المطلوب الا بعد ان يبالغ في الدراسة العالية . ويضيف دراسات على القرآن والسنة والمعارف الاسلامية العامة على النسق الذي تدرس عليه في الجامعات الاوربية ليتشكل الدرس بشكل اقرب إلي الاسلوب العلمى في غير ضجر ولا تأفف . وعليه فنقترح الغــاء القسم الاولي من الازهر عموماً والاستعانة بميزانيته لتقوية التعليم العالي مع تغيير كلي في سير الدراسة في القسم الثانوى بحيث لا يدرس الرياضي وما اليه الا الى الثاني الثانوي . ما عدا اتمام درس اللغات التي اخذوا بنصيب منها في المدارس الاميرية . وبعده يتوفر على دراسة اعدادية للقسم العالى (الكليات) تتناول النحو والصرف وعلوم البلاغة واللغة والاشتقاق والادب في كتبه الاولى (كفصيح ثعلب ومبادى اللغة الاسكافي) والمنطق والتوحيد والاصول وفرع مقدمات العلوم (يجب ان يجعل فرعاً في الازهر ليحقق الملكة في الطالب) كالذي الف فيه المرحوم—

منتجاتها بحيث نستطيع أن نزاحم بأدبنا الأدب العالمي من كل وجوهه . لا أن يبقى قابعاً في موضعه لا يعرف من شأنه الا انه لا قيمة له .

ومن وجه آخر تتلاقى المخرجة في مذهب التفكير وروح الدرس ومذهب الانتاج. بما لا ترى بعده الفئة اللغوية محافظة الى حد منكر . ولا الفئة الأدبية مجددة الى حد التجاوز والخروج على مذهب العربية وروحها الخالصة . وطابعها المتميز . . . .

— الشيخ . راشد ابو عليان. وفرع الاصطلاحات كالتعريفات للجرجاني (يجب ان يجعل فرعا في الازهر ايضاً) وفرع الكنى والالقاب على معنى ضبطها كما في لب الالباب للسيوطي واللباب لابن الاثير . واما ان يتناول الطالب علوم الكليات وهي غريبة عنه اشد ما تكون . فاننا في مذهب التربية العقلية . ننتقل به بطفرة تترك فراغاً في تفكيره نلمس اثره ونشكو منه . ومن ثم نفرغ لتنظيم الكليات بحيث يضاف اليها علوم وتلغى علوم ويستقدم لبعض الفروع بمستشرقين لهم ضلع بالغ فيها على مسحة يقتضيها التسامي العلمي المشهود ويجعل للازهر الاشراف الاكبر على الفرع الآخر من كلية الاداب الذي يختص للغة . وتخصص المهنة يجعل سنة واحدة . وبهذا وحده يمكن للازهر ان يقدم متثقفين دينيين مطمئنين الى ثقافتهم محققين لها . يصغى اليهم في الاوساط العالية فلا يتهانف منهم اذا خاضوا في ابحاث علمية لانهم يؤدونها تأدية خاطئة اذا صحت لهم النتائج . فقد حدثني بعض اساتذة بيروت انه ضمه مجلس بازهري ذهب يبدي اعجابه بالطريقة السقراطية وانها ضرورية في تربية العقليات وكم كان يعجب منه اذ يدعوها الطريقة الارستقراطية مختلطا عليه مما جعل الجماعة يصغون اليه بذهول ساخر . وكذلك يكونون متحزمين لكل ما يبحث به على القرآن . يغذون المجتمع الاسلامي بنتاجهم الخالص لا ان يكونوا عالة كما نشهدهم على عمل غيرهم . ممن لا يمت الى اختصاصهم بوجه . فهم يتناولون (حياة محمد) للدكتور هيكل كتحفة ثمينة ونادرة وكتب الاستاذ فريد وجدي كشيء يجدون مادة ثقافتهم فيه وهكذا مما كان عليهم مثل هذا العمل وعليهم وحدهم مثل هذا الانتاج . ولقد قال لي يوما بعض المسيحيين مداعبا يا هذا اما عندكم من الشيوخ من يكتب ويفكر حتى تولى هذا الواجب مخرجو اوروبا فقلت له بمراوغة . فيما تقول من هذا شاهد كثرتهم وعظيم اثرهم حتى تركوا كل مسلم شيخاً . وبالجملة اذا حققنا المشروع على وجهه فلا بد ان يكون لهم مثل هذا الانتاج للون دراستهم ولمعرفتهم باللغات وبه نواجه الغرب فاخرين ويصبح بيننا من مثل المرحوم قاضي القضاة سيد امير على الهندي كثيرون . هـذا ما خطر لي صالحا وكنت اعددت رسالة تتناول هذا الاقتراح من كل وجوهه بعنوان (ماذا في الازهر) وربما نشرناها بعد ان شاء الله . . .

القسم الثـــاني

عرض ومقـابلة

لست أعرض هنا إلى شيء من الخلاف في أن اللغات توقيف .أو خلق في محل النطق ،أو مواضعة . لاعتقادي بأن هذا الاختلاف في أساسه وجوهره ، لا يراد منـه اللغة . وانما غايته كلامية بحتة . ولذا لا تكاد تسقط على مبحث من هذا الطراز عند اللغويين القدماء .وانما سرى أو عدى بسريانه الى اللغويين،الذين نشأوا بعد استشراء الخلاف الكلامي الذي كانت هذه إحدى مسـائله . كمقدمة للخلاف الذي صبغ اللاهوت الاسلامي ، حتى آخر العهد بمباحث خلق القرآن وصفة الكلام، ولذا كان بحثه من علم الكلام أمثل . ومن ثم نذهب من أول الأمر إلى اعتماد وتقرير مذهب وضعي صرف .

(قسم علماء[1] المقابلة اللغوية في هذا العصر . اللغات باعتبار تدرجها التهذيبي إلى مرتقية وغير مرتقيـة . وهذه الأخيرة تتضمن أدنى اللغات بيانـاً وأبسطها الفاظاً كالزنجيـة وهندية اميركا . والشمالية الشرقية الأسيوية والحامية والصينيـة . ومن أهم صفاتها أن الفاظها آحادية المقطع لا فرق فيها بين الاسم والفعـل والحرف . واللفظة الواحدة تكون اسماً أو فعلاً أو نعتاً . باضافة الفاظ أخرى ذات معان مستقلة .

وأما المرتقية . فتمتاز بسعة نطاقها ومنها لغات العالم المتمدن . وتنقسم باعتبـار قابليتهـا للتصريف والاشتقاق الى (متصرفة) و (غير متصرفة) وهـذه الأخيرة تشمل الغات الطورانية على فروعها والمنغولية والتنفاسية والاوغرانية . ومن أهم صفاتها انها مؤلفة من اصول جامدة لا تقبل التغيير في بنائها مطلقاً . وان الاشتقاق يقوم فيها بالحاق أدوات لا معنى لها في نفسها على آخر تلك الاصول . مثال ذلك في التركية

---

(١) من كتاب الفلسفة اللغوية لزيدان ص (٢)

(ياز) الاصل الدال على الكتابة فيضعون منه فعلا ماضياً بالحاق (دي) في آخره فيقولون (يازدي) وفي الماضي السابق يقولون (يازديدي) أي كان قد كتب . وفي الجمع الاسنادي يقولون (يازديدیلر) أي كانوا قد كتبوا وهكذا بحيث تبلغ هذه اللواحق العشرة عداً مع بقاء الأصل على بنائه) . . .

(وقرروا [1] أن كل اللغات القديمة تعاقبت عليها ادوار ثلاثة . فی الدور الاول كان كل من كلماتها ذا هجاء واحد فتوضع الكلم احداها بعد الاخرى بحسب نظامها النطقي لتأدية المعنى المقصود . وما برحت لغة الصين من هذا النوع .

وفي الدور الثانى أخذ بالحاق كلمة إلى أخرى فيؤدي اللفظان المعنى الأول مضافاً اليه معنى جديد . أو يحصل من تركيب هجائين أو أكثر معنى آخر . و فى هذا الدور أيضاً أخذ بزيادة أحرف على الاصول في أولها أو آخرها أو بين حروفها للدلالة على معان ترافق المعنى الاصلى مثال ذلك في العربية (فاعل) و (استفعل) ومنه زيادة بعض الحروف في اللغات الاوربية للدلالة على تجديد عمل الفعل مثل (commencer) أبتدأ (recommencer) أبتدأ ثانية ومثل (honorer) كرّم (deshonorer) احتقر . . .

وفي الدور الثالث اكتسبت كل اللغات التصريف وهو تغيير الاصل إلى هيئات متعددة للدلالة على معان . منها تصريف الافعال في الازمنة . ومع الضمائر و بناؤها للمجهول والحاق الضمائر بالاسماء والافعال . ومثل النسب والتصغير وما اشبه ملخصاً عن لا نرمان في تاريخ الشرق القديم)

هذا التقسيم كما نرى يبتدأ أساساً اللغات الحية آخذا بأدناها كالصينية . وهو بهذا النظر والملاحظه غير دقيق . وذلك لأنه يفترض مبدأ . ما يتخلله طفرات حقيقية .

والتقسيم الذي نظنه أدق وصحيحاً . هو ان اللغات جميعها المرتقية وغيرها مرت في ادوار ثلاثة . . .

(١) ذو المقطع البسيط . أي أدنى المقاطع مثل (ba) وهذا الدور في غايته ولد المقاطع الواحدية . المجموعة في حروف الهجاء أو بعبارة اخصر ولد الجدول الهجائى

---

(١) من تاريخ سوريا للمطران الدبس ج (١) ص (١٣٨،١٣٧).

بأصواته المختلفة (الحركات فيما بعد في العربية) . وهكذا كان في كل صوت . يدل دلالة بعينها فمثلا (عو) يدل على الحيوانات الزئيرية و (وا) يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين . وعنه نشأ (وَوْ) في العبرية بمعنى وصل . .

(ب) ذو المقطعين . ونعني به الحرفين بصوتين . والحرفين بصوت واحد . . وهذا الدور انتشأ مصادفة وبمحاكاة الطبيعة في مختلف أصواتها . وفي آخره لما ابتدأ الانسان الرقي المطرد وسعى يطلبه . قصد إلى التأليف من منطقه . فمثلا السامي في هذا الدور لما أراد أن يدل على أن الحيوان يعوي . عمد إلى حرف العين ذي الصوت المضموم أي (عو) الذي يدل على الحيوان المفترس وإلى حرف الواو ذي الصوت أي (وا) الذي يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين . فدغمهما وتوصل إلى (عووا) بمعنى حيوان يصوت أو يواصل التصويت .

ومن رأينا ان المعلات في العربية . تنظر إلى هذا الدور . فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحديين فقط . وباستقرار العربية في الثلاثي بدأت تصحح الصوت فيها وتستحصل مثل (عوى) بمعنى صوّت الحيوان . .

وفي هذا الدور والذي بعده . تواضعوا اللغة الصينية ومثيلاتها وبذلك تعتبر وكأنها قطعت الادوار الأولية واستقرت فيها .

(ج) ذو المقاطع . وهذا الدور بلا ريب كان يقصد الانسان اليه قصداً للحاجة فكان يجمع من المقاطع البسيطة الواحدية . والمقاطع الثنائية ويؤلف منهما دلالة مركبة وهكذا . وفي هذا الدور اتخذت العربية وحدتها . واستقرت في الثلاثي . .

وفي ختام هذه الادوار التى تؤلف العهد الأول . وقفت لغات واميتت لغات ونشطت لغات آخذة بالحياة الجبارة . وهذه وحدها هى التى ألفت العهد الثانى الذي يسمى عهد اللغات المرتقية . وباعتبار قابليتها للتصريف والاشتقاق . تقسم إلى متصرفة وغير متصرفة . ونحن انما يعنينا هنا القسم المتصرف فقط وهو في نظر ناقد تطور فى دورين تصريفيين . .

(١) التصريف بالالحاق . .

(٢) التصريف بالاسناد .

وسيأتى الكلام على هذا التقسيم الذي كان الغرض من ذكره هنا العرض والمقابلة فقط . وكيفما كان فنحن لم نقصد الابسط رأي جديد بين يدي موضوع لم يتوضح بعد . وما احرى أن تثار من حوله طائفة من الابحاث أن لم تكشف عنه . فلا أقل من أن تميط من غموضه . .

الدور الأول

الانسان الفطري

لم يعد من الصعب أبداً ولا فى حال من الاحوال . تصور كيف كان الانسان الأول إنسان الفطرة أو بعبارة أكثر جدة وأكثر طرافة . إنسان التجربة الاولى التى بدأت مستضعفه. و برزت فيه على غموض. حتى لم يكن على شيء ممايستدعي النظر ...

وأما الانسان الذي تمجد فيه الله . فهو ذو الملكات والاستعدادات المتكاثرة على شبه الانقسام او التوالد الذاتي فى الحيوانات الدنيا .هذه الاستعدادات التى لم تزل سراً مغلقاً . وعقدة لا تحل . ولا يمكنني أن أقول بأنها ستبقى كذلك فلعلها تكشف عن نفسها يوماً من اليوم . .

وهذا الانسان لم يزل يثير العجب الخاشع .و يبعث بالتقدير والاحترام العميقين حتى استقر فى منطق الدينيين منذ ابعد العهود اللاهوتية . ان الله خلق [1] الانسان على صورته .ولهؤلاء عذرهم فان انسان العواطف العاقلة، والمشاعر المفكرة،والاحاسيس المنطقية التي انتظمت الشرائع والتعاليم وتواضعت النظم . لا يزال يشعر بعين الشعور الذي استولى على اجيال التاريخ . بل ربما لم يكن فى عصر بأكثر وضوحاً من العصر الحديث . الذي دعى فيه (اوغست كنت) إلى إحكام هذا الشعور واحالته كعبادة لعل لها أيضاً طقوسها ولها هياكلها . . .

بيد كان الانسان الفطري غير هذا الانسان الذي نعرفه وندهش له تلك الدهشة التي كانت مصدر نزعات مختلفة . كان انساناً خاماً (كما يقولون) لا يكاد يرتفع عن

(١) جاء هذا الاثر في التوراة سفر التكوين . واخرجه الشيخان بلفظ ان الله خلق آدم على صورته واخرجه احمد في مسند ابي هريرة . راجع كشف الخفاء والالتباس للعجلوني حرف الخاء.

مستوي النوع . الذي هو فصيلة من فصائله المشاكلة . والذى تكوّن بعد ذلك مثلا اسمي . . وكما قلت في طالعة المقال لم يعد من الصعب أبداً تصور كيف كان الانسان الاول . وذلك لأننا أصبحنا اليوم وتحت نظرنا أشكال عن الانسان المتطور تحتفظ بالخصائص الأولى في بساطة نسبية وسذاجة غير مطلقة . .

ولذلك لن أُغنيَ هنا وفى هـذا المكان بنقل صور عن الانسان الفطري . لأن هذا لا يعنينى كثيراً . ولا قليلا أيضاً فاستطرد اليه . كموضوع له فروع من العلم تخصصت لدرسه . ولست آخذ الآن في واحد منها . وانما اغنيَ من كل الانسـان الفطري بالبحث عن لهجته (ولا أرى هذا التعبير دقيقاً وأدق منه) البحث عن شتي الأصوات السليقية عنده . التي استقرت في غايتها على صورة وكانت لهجة .ومن ثم نلاحظ أن اللهجة داخل في مفهومها الاستقرار ولن تكون لهجة الأصوات التى تتخذ عدة أشكال تردقبد الخاطر . .

لغة الآنسان الفطرى

نستقبل الانسان الأول وهو يلهج بأصوات غير متشكلة . وليس يهمنا ما قبل هذا لأنه من فروع النشوء العام وللنشوئيين أن يقدروا هنالك ما شاؤا. ولـكن الذي يهمني و بصورة خاصة . هذا الدور لأن عنه انبرعت اللهجة فاللغة . .

واقصد من غير متشكلة انهـا لم تنطبع بطابع خاص يميزها . بل كانت جارية مجرى الأصوات التي يقال الاضطرارية في قسمها الفتمي . وهى الأصوات التي تتولد عند الانفعالات . ولا تتميز فيهـا المقاطع كالانين والعنين والاحيح . وهى أصوات المتوجعين والمغمومين . والهمهمة . وهو الصوت الحاصل من تردد الزفيرهما أو حزناً . والزحير وهو خروج النفس بشدة عند عمل شاق والنحيم والنهيم وهو الانين المركب الذي يخرجه المـكدود . . .

وكذلك بقيت الأصوات آخذة سنة مطردة على نسبة الترقى العام . حتى انتظمت في أغراض ثابتة وان كانت عمومية . تولد عنها أصوات لا تزال دارجة في كل اللغات

ويظهر أن هذا الدور امتد كثيراً وعاصر الانسان اطول العمر . وكان في حلقات لا سبيل إلى تمييزها على وجه الدقة والتحديد . ولكن يمكن ارسال القول على كثير من الغموض . وفي شيء من الوضوح أيضاً . .

تأثرت لهجة الانسان الفطري في هـذا الدور على امتداده بصوت الطبيعة في نفسه ، وفي المواليد الحية ، والنامية ، والجامدة .

وكان من نتيجة هذا التأثر أن تولدت اصوات كلية . كانت فيما بعد هي الجدول الهجائي بلهجاته التى صارت في سموقها اللغوي حركات الحروف . .

وهنا نكون قد وقفنا بك على لغة الانسان الفطري المترامية في القدم البعيد وراء معارف التاريخ . ونكون أيضاً قد عثرنا على الطرف الأقدم من لغة الانســان الأول التي هى أم اللغات . والتى لم تزل سراً مغلقاً في مباحث (علم اللغة المقارن) .

وعليه فاللغات وحدتها الحقيقية هذه الحروف بأصواتها (أى الحركات الثلاث فى العربية وسواها في سواها) وهى بعينها لغة الانســان الذي ارتقت البشريات عنه . وليس معنى هذا انهم توصلوا إلى الجدول الهجائي على ترتيبه . بل المقصود أن مجموعة كلمات اللغة الفطرية (أن صح هذا التعبير) هي مجموعة هـذه الحروف بأصواتها التى توصل اليها بالمصادفة . والمحاكاة . والتقليد (أي ارادة المحاكاة)

والاسباب التى حدت بي إلى هذا الظن كثيرة . أهمها اختلاف حروف الجدول قلة وكثرة . ونقصاناً وزيادة وعلى نسبة كثرة وقلة الجدول نسبة اتساع وضيق اللغة نفسها . فهذا الاختلاف شاهد على أنه وحدة لغوية أي اليه تنحل اللغة . . .

وإذا كان الشأن تألف المركبات من البسائط . والبسائط قامت مقام المركبات في ظروفها . فلا شك اذن في أن الجدول الذي هو بسيط أية لغة قد كان لغة في ظرف بعينه . واليك[1] مثال هذا الاختلاف .

(من القبائل القاطنة أواسط افريقيا من لا وجود للمقاطع الشفوية (ف ب م و) في لغتهم . و بعض هنود كولومبيا يستحيل عليهم التلفظ بهذه المقاطع (ب ف ج د ب

---

(١) راجع كتاب الفلسفة اللغوية ص (١) .

و). وأكثر أهالي اوستراليا لا يستعملون المقاطع الصفيرية (س ز ش ث ص ظ) والنيوزيلانديون في غنى عن جميع هذه الحروف (ب س د ف ح ج ل ق ص و ي) واللغة المصرية القديمة خالية من هذه المقاطع (ب ج د ز ظ ض) الخ .

هـذا الاختلاف الذي نعرض شاكلته . يدعونا إلى عدم التردد في استنتاجنا السابق . كما أنه إذا صح يدلنا على أن لغات العالم لم تنشعب عن مصدر واحد . وانما اللغات وليدة أسباب مكانيه اجتماعية وانفرادية . كالعادات وليدة الطبائع والظروف . وان دعوى نشوء اللغة عن الأصوات بالمحاكاة وما اليها يقضي بهذا أيضاً . . .

ويلي هـذا أهمية . الاستدلال بمقاطع اللغة الصينية التى لا تزال حية إلى اليوم بقانون (الاستصحاب المقلوب) فان المقطع الواحد فيها يلفظ بخمسة [1] أصوات أو أكثر ليدل في كل صوت على معنى خاص . .

ولقد تقدمنا بأن ما يسمونه مقطعاً في الصينية هو مقاطع عندنا . وعليه فلا ريب في أن هذه المقاطع تنحل إلى أبسط جداً كانت تنطق كذلك بأصوات مختلفة . لتدل في كل صوت على معنى بعينه كما هي في حال التركيب . ومن ثم ندرك ان هذه الأصوات هى أصل الحروف الصوتية في غير العربية . والحركات في العربية . أو بمنزلتها على أقل تقدير . ولهـذا نجد فى العربية مثلا اختلافاً باختلاف حركة الحرف . لأن هذه الحركة لها معني خاص في الحرف . وهى منه في عهود اللغة الأولى . بمنزلة الصيغة من الكلمة في عهود اللغة الأخيرة فكما تقضي الصيغة بتغيير معني الاصل الواحد . كذلك حركة الحرف.والكلمة المؤلفة من حروف مختلفة الحركات مثل (فَعُل) تكون بمثابة الجملة التى تتضام فيها كلمات مختلفة الصيغ فهى اذن جملة بسيطة . . .

ولسنا نعني هنا بأن جميع حروف الهجاء تولدت إذ ذاك كاصوات ذات معان . وإلا كان يجب أن يتحد الجدول في السامية على فروعها . والحال الواقع يكشف عن أن العربية انفردت بحروف كما أن غيرها كذلك . ونرى في هذه الحروف الزائدة انها (ان لم يكن ولادها تحت تأثيرات أجنبية) وليدة المقاربة والحاجة كالضاد من الدال . .

---

(١) راجع مقدمة الحضارات الاولى لغوستاف لوبون ص ٤٣ .

وجملة القول أن الدور الفطري في غايته أدى إلي هذه الحروف بأصواتها لتدل دلالات ثابتة تختلف باختلاف الصوت مع الحرف . وربما ساغ لنا الاحتجاج باللغة (التركية) التى تمثل بالنظر اللغاني [1] طفولية لم تسوها مراحل العمر . قال [2] أبوحيان الاندلسي في كتابه (الادراك للسان الاتراك) . .

(الاسم أحادي وثناني وثلاثي ورباعي وخماسي . فالأول متحرك بضمة ومتحرك بفتحة ومتحرك بكسرة مثال ذلك (صو) و (يا) و (جي) والحروف التي بعدها أشباع وليست أصلاً . وكذلك حروف المد واللين الثلاثة لا يكون شيء منها أصلاً في هذه اللغة) .ونحن لا على شك في أن اللغات كانت على حالة من ذلك . وأن هذا الأحادي هو أساس اللغات وهو يتمثل في حروف الهجاء بأصواته المختلفة ذات الدلالة المختلفة. وبالجملة فانانجد في التركية التي يحكى عنها (أبوحيان) تحقيقاً لما نظن في النشوء اللغوي . وأنه خضع لمبدأ التركيب حتى بلغ مبلغه من الثلاثية والرباعية وهكذا .

ومن الممكن جداً تعيين دلالات هذه الحروف بأصواتها حين كانت لغة على شيء من الافتراض المقارب . وسبيل هذا التعيين المعلات مطلقاً . وبالأخص منها (اللفيف) في العربية . وليس اعتمادها بأخذ معانيها المعجمية على وجه التحديد . وإنما بأن ننتقل منها بالمقاربة إلى ما هو الادخل في تفكير الساذجين واعتباراتهم . على أن العربية بنوع الاجمال لا يمكننا أن نفهم منها شيئاً على وجه الضبط . لما أن نسبة تطورها كبيرة جداً . وبالأخص إذا نظرنا إلى هيئة اللفظ فان العربية لم تعد على شيء بقرب من الأصل . لما كان للاتباع من أثر خطير في تغييرها . وربما كان أحرى بهذا القصد أن نعتمد البابلية والأشورية والارامية وما إليها .

وعليه إذا أردنا أن نعين معانى الحروف على اختلاف الأصوات لزمنا أن نفهمها على ضوء هذه اللغات . ونحن لا على شك في أنه يمكن حلها وتحديد معانيها . ومن ثم فهم العربية فهما تاماً لاشِيَة عليه ولا شبهة فيه . وليس في تأليف الثلاثي فقط بل في الوازيين أيضاً . .

---

(١) كلمة من وضعنا الجديد لتحل محل علم اللغات المقارن وهي مصدر من لاغى قارن بين لغتين .
(٢) راجع كتاب توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائرى ص ١٨ .

ويتفرع عن هذا فهم سر الحركات . ولماذا كان هذا الاختلاف في المعنى باختلاف الحركة الواحدة في الميزان . وإن لم يعد هذا نظراً في الأدوار المتأخرة من حياة اللغة . ولقد يتأتى اعتماد معانى أسماء الحروف الفينيقية في فهم الكلمات . ولكن لخلوها عن معانى أصوات كل حرف يبقى سر الحركات غير مفهوم كما يجب . وذلك لأن الجدول الأبجدي منفصل عن أشكال صورية كان يقال عليها هذا الحرف اسماً كمقطع الألف . رسموه بما يشبه رأس الثور . ومعنى هذا المقطع (الثور) أيضاً . وعليه فيمكننا أن نعتبر بأن الأولين أي قبل عهد وضع الجدول الأبجدي كانوا يفهمون من (ا) الهوائي معنى الثور وما يشبهه فيكون له مصدوق الجنس. ثم في عهد بلوغ اللغة زادوا اللام والفاء تخصيصاً للنوع . ومن ثم نفهم أن هذه الحروف كانت تدل على أجناس معانيها الفينيقية في العهود الساذجة الأولى .

وإذا أخذنا في تحليل كلمات العربية على معاني الجدول خرجنا بمقاربات يمكن عليها فرض التطور . واليك كلمة (شجر) التي تحل إلى (ش) ومعناه سن وهو ينظر إلى مطلق النبات و (ج) ومعناه جمل وهو ينظر إلى مطلق الارتفاع و (ر) ومعناه رأس. والمعنى المؤلف (نبات مرتفع له رأس) وهو تماماً معنى الشجر وانظر إلى تخصيص اللغوي الشجر بماله ساق . وكلمة (جبل) التي تحل الى (ج) ومعناه ينظر إلى الارتفاع و (ب) ومعناه بيت و (ل) ومعناه الملاصقة والمساس والمعنى المؤلف (بيت مرتفع ملاصق وكأنه للسحاب أو للارض) وهو تصور صحيح عن الجبل .

وكلمة (جمل) التي تحل إلى (ج) ومعناه الارتفاع و (م) ومعناه المياه وهو ينظر إلى السحاب و (ل) ومعناه الملاصقة أو المساس والمعنى المؤلف (مرتفع يلامس السحاب) وهو تصوير لوضع الجمل تماماً . وكلمة (سمك) التي تحل إلى (س) ومعناه (الدعامة) وهو ينظر إلى مطلق القوي المتحامل و (م) ومعناه المياه و (ك) ومعناه (كف) الذى ينظر إلى مطلق التبسط في صغر والمعنى المؤلف (كف الماء القوي) وهو تصور قريب عن السمك .

إذن فهذه الحروف ذات معان جنسية وقد بقيت ملاحظتها في وضع الكلمات إلى آخر العهد اللغوي . وعليه فلا يبقى ما يستبعد معه تقديرنا الآتي من أن الثلاثي

والرباعي وما اليه لم تنشأ بالنحت أو بشيء من هذا أبداً وإنما نشأت بزيادة الحرف فقط.

وبعد فانا لانقول بأن الجدول يضمن لنا دراسة كل كلمات اللغة وفهمها على وجه التحقيق . وإنما يمكننا أن نستروح اليه . وأهم شيء يفيدنا منه أنه يبرهن على أن اللغة انفصلت عنه ثنائية فثلاثية بحيث لا ينظر اليها كنظرية إفتحارية[1] .

كما أنه يبطل المبالغة في تقدير عمل النحت في السامية على الاطلاق . وخصوصاً في الأدوات . فان ما لاريب فيه أن هذه الأدوات كان لهـا معان أولية تحجرت وبقيت كذلك لتدل هذه الدلالة المتحجرة[2] .

وبالجملة نقرر بأنه يمكن اعتماد الجدول الأبجدي بمعانيه في تحليل الكلمات وردها إلى معانيها الأولية إلى أن يتم لنا استخراج جدول واسع يتناول معاني الحروف والأصوات.

الدور الثاني

نرامي النظر في تخطف وتكهن . ووراء حقب من التاريخ المظلم . إلى هـذا العهد الذي بدأ الانسان يتوقل فيه . أو ابتدأه متوقلا في مأتى التطور . ولكن على كل حال حقق خطوة لها غايتها وسن لنفسه طريقه في غير ما تخدد ولا التواء . وكان من نتائج هذه الخطى الأولى والساذجة . ان انتظمت مقاصده في أغراض جد يسعى وراءها. وكثيراً ماكانت تأتي خطاه متخلفة . وكان لها مع ذلك أثر ليس بقليل في الرقي العام . ورقي اللغة وتطور المنطق الذي نقع منه في هذا الدور على تقدم محسوس . ونصادف الانسان بما انطوى عليه من الغريزة المكتسبة . يحاكي ويقلد على غير قصد منه .

---

(١) كلمة من وضعنا الجديد بمعنى (utopian) أي خيالي مغرق وهي نسبـة الى كلمة (utopia) وقدجاء في المعاجم الانجليزية ان الـكلمة لاوجود لها أصلا وليست كما توهم ترجع إلى كلمة (topos) فلا يبعد اذن أن تكون ماخوذة من كلمة (طوبى) الـسامية بمعنى الجنة ومنه (طوبى لهم وحسن مآب) والـكلمة الجديدة من قول العرب افتحر القول والرأي أتى به غريباً جداً ولم يتابعه عليه أحد .

(٢) وبهذا يظهر مقدار المبالغة في تخريج الادوات والضمائر على سنة من النحت وسبيل من الاختزال . وهو وإن يكن فيه شيء من الحق لاينكر . فقد أخذ على وجه مزيد وأ كثر من بالغ في هذا التخريج صاحب كتاب الفلسفـة اللغوية فراجعه ص ٣٢ . والحق أن طائفة منها وطائفة من الزيادات في الموازين حرفية من أول الامر كالتاء في (تفعّل) والتاء في (تفعل) على ما انتهينا اليه فراجعه في القسم الثالث من المقدمة . . .

ويقين أن الانسان بعد اضطراره إلى هذه المحاكاة بحكم كونها المصدر اللغوي له فحسب . ترك ثروة ليست بقليلة في هذا المضمار وان كانت محدودة معدودة . .

وهذه الثروة هي أكثر المقاطع الثنائية التي يمكن فرضها . وانما أحلنا على الفرض لأن من المعقول أن اللغة في حالتها الراهنة ، ووجودها الشاهد لم تعد تحتفظ من تلك الثروة بأكثر من أنها تمثلها في وجودها الارقي . وما بقي اليوم منهـا في المعاجم (كأب ونب) فليس جميعها من الثنائي رأساً عند التحقيق كما سيأتي في محله . . .

ونحن وان ذهبنا نقرر بأن الثنائيات من وضع هذا الدور أو وليدة عوامله فلسنا نعني أن ذلك كان بقصد الانسان الى التأليف والتركيب . وانما انتزعها تارة من مصدر بسيط غير ملاحظ فيها تركيباً . وتارة نشأت بنفسها من ضم المقاطع التي يحتمها التعبير خصوصاً اذا كانت مجموعة المقاطع المضمومة تدل على معنى شخصي واحد . فبضرورة استمرار هذا التعبير لهذه الدلالة يتوحد في غايته . وهذا لايعجزنا المثـل عليه بل هو قريب وعلى طرف الثمام كما يقولون . وليس فرضاً بل حقيقـة غالبة . ما دمنا نستطيع تعيين دلالة الحرف وصوته على أن فى الأمثـال التي سنوردها كثيراً من الطرافة . وطرافةٌ بالغة . وبالأخص حين يكون عملنا محاولة لأول مرة تعرف في (علم تحايـل اللغة) . ولا نستطيع هنا الا التصريح بأن معرفة دلالة الأصوات تماماً . ودلالة الحروف البسيطة كذلك . تحتاج الى مجهود كبير ، والى معرفة لغوية شاملة ، والى استقراء دقيق ، يقعد بالباحث المنفرد . وذلك لأن اللغات المرتقية في وضعها الحالي . أصبحت على بعد يقرب من الخلاف بالنسبة الى أوليتها القديمة . . .

ولذا سنقتصر الآن من التطبيق على بعض الحروف فقط ليكون كدليـل على صحة النظرية من وجه . ومدعاة لبذل الجهود وتوفيرها على تحقيق أصوات وحروف كل لغة ونسبتها إلى الكلمات المؤلفة من وجه آخر .

والآن نستطيع أن نتخيل كيف كان يعبر انسان الدور الثانى . وكيف كان يبين باعتماد معاني الجدول الفينيقي . ولو ذهبنا هكذا فى التحليل لكلمات اللغة .وعلى سنة منتظمة نقف على مستوى الأخيلة الواضعة . وعلى مقدار سذاجتها . ونستعين بذلك أيضاً على تحقيق التطور الوضعى وتاريخ الاشتقاق . واليك مثلاً على هذا (عبى) فان

(العين) تدل على الحيوان الزئيري . (والباء) تدل على البيت . وكأن المعنى الأولي (حيوان البيت القوي) الذي هو كناية عن الرجل ثم اشتق منه بعد أطوار من الترقي اللغوي والشعبي . اسم للباس الرجل الخاص به (العباية) ثم غلب الأصل في معنى الفرع المشتق . واميت معنى الاصل بالنسيان أو بعدم الاحتياج . حتى صار في معنى الفرع حقيقة وضعية .

وكما قلت اقتصر على هذا المقدار من الامثلة للغاية عينها . وبودي لو استرسل في هذا المذهب من التحليل الطريف، الذي يكسو البحث اللغوي جدة لاذة، ولكن تحول دونه عقبات أقلها المقابلة بين فروع السامية . بيد أنا مهما تنصلنا هنا من التوسع في بحث الموضوع فلا نهمله من كل أطرافه . ونرى من الضروري أن نتكلم على رأينا في المعـلات . التي لا نتردد في الحكم عليها بأنها ثنائية ألحقت بالثلاثيات بتصحيح حركة الحرف حرفاً . واذا صح هذا التقدير فلا ريب في انها تكون أقدم ما حفظت اللغة من كلمات العهود السالفة والعريقة في القدامة . ومن ثم نفهم في الواوي واليـائي معنى جديداً وهو انه الحركة الأثرية للحرف . وهذا عدا عما اختلف وطورته العربية متجاهلة الأصل الذي انشعب منه والهيئة التي ولد عليها . لأن هذا الأصل وهـذه الهيئة بقية من الطفولة اللغوية كان لها في مدارك الطفولة معناها ومكانهـا . واما هي من العربية الراقية فليست بأكثر من مفرد ذي مدلول قد يقـارب المعنى التركبي القديم وقد يباعده .

ويظهر أن العرب في أدوارهم الأخيرة قصدوا إلى تقليل المعلات مطلقاً واماتتها وتوسلوا إلى ذلك بأمرين :

(١) إبدال الهمز به . وغلب هذا في المثال . وهي ظاهرة قلما تنبـه اليها باحثو الاشتقاق العربي . مع ان لها خطرها في بناء الكلم وتحرير معانيها فمثلاً (اور) أصلها (يور) و (اخ) أصلها (وخ) و (أخى) أصلها (وخى) ولذا بقيت على قلة في المفاعلة فقالوا في (آخى . وأخى) و (أشاح) أصلها (وشاح) كما سيأتي في القسم الثالث بتحقيق . وأهمية هذه الملاحظة (عدا ما ذكرنا) في تصحيح التاريخ اللغوي وتمييز الأصول الموضوعة من الملحقة الحاقاً .

(٢) الحذف والتضعيف . وهذه أيضاً ظاهرة لغوية لم ينتبهوا اليها وهي بلا ريب عظيمه الأهمية . من حيث وجوه المعرفة في الأولى فمثلاً (نبي) يصار بها إلى (نب) . وربما دل لهذا تقدير بعض المستشرقين في لفظ (مكة) وانها مشتقة من (مكا) بمعنى البيت العظيم في البابلية . واذا صح هذا ولا مانع من صحته . فأصلها معل . وفي دور التصحيح نقلوها إلى التضعيف . وكذا ما تحتفظ به بعض لغات القبائل من (أبا) في (أب) أي الوالد . وأيضاً بناء (تَفَعَّل) من الثنائي المضعف يرده إلى الأصل المعل كما في (تظنى) و (تمطى) فان النحويين[1] يقدرون بأن حرف الاين منقلب من النون فى الأول . ومن الطاء في الثاني . وهو مجازفة محضة اذا لم تقدر بأن أصل المضعف الثنائي . ثنائي معل . فرد إلى الاصل عند الزيادة هرباً من الاستثقال الذي يجر اليه .

والذي يقطع بأن المعلات هي صور مصححة عن الثنائي الصوتي . وانها تحمل كل معاني الثنائي القديم . الكلمات[2] التي كل حروفها من جنسٍ (كالدَّد) بمعنى اللهو و (الببّة) كلمة تقال للطفل تلميباً وهكذا . فانها لا تملل إلا على هذا الوجه . وكذلك سبب قلتها . وهي ترجع إلى المعل المعتمد على حرف واحد . فالببة ترجع إلى (البوّ) بمعنى ولد الناقة وجلد الحوار يحشى ثماماً أو تبناً . والدد يرجع الى (ددا) بمعنى اللهو واللعب .

وتفسيره ان العرب لما أخذوا ببعض هذا الصنف من المعل، على وجه التصحيح ومحو الصوتية منه قام على حرف واحد . بينما أقل ما تعتمد عليه الكلمة في العربية ثلاثة أحرف . فضعفوه هذا التضعيف ولثقله ندر وجوده في العربية .

على ان في العربية أيضاً ما يقطع عرق النزاع . في أن المعلات صور مصححة عن الثنائي الصوتي . وانها أصل للثنائي المضعف . وهو الثنائي المخفف كدم ويد وأب وذلك لأنها ان كانت ثنائية[3] ساكنة فلا معنى لتحريك الآخر وهي تعتمد على

---

(١) راجع ملحقات شرح الاعلم الشنتمرى لديوان طرفة طبع الروسيا . . .
(٢) هذا النوع الذي نص اللغويون على ندرته راجع كتاب ليس في كلام العرب لابن خالويه ص ٣ .
(٣) ذهب الامام الاصبهاني والشيخ ابراهيم اليازجي إلى أن الاصل النشوئى القديم للغة هي

أقل ما به تتم الكلمة . وعليه فلم يبق إلا أن تكون منفصلة عن معل مما تكون به متخلفة بالنسبة إلى موضع اللغة .

ويدل لهذا الاعتبار فيها (أب) المحفوظ بالاعلال والتضعيف والتخفيف. وهو ينتظم في تطورات ثلاثة أبا فأب فأبّ . وبهذا يعلل الاعراب بالحروف في الأسماء الخمسة . وذلك لأنها تعتمد على حرفين فاذا اضيفت أسهلوا الحركة وأشبعوها. والذي جعلني أعتمد انفصال أب من أبا دون العكس . ان القبائل التي تنطق به معلاً متخلفة من حيث الاجتماع مما يتبعه تخلف اللغة . وبقي أسباب أخرى قد تقوي وجهة النظر المذكور وهي :

(ا) ان اللهجات الدنيا تميل إلى الاطلاق والتصويت وهذه ظاهرة عامة تقريباً.

(ب) ان اللغات القبلية التي تحفظ في الكلمة الواحدة تفاوت صوتية بتفاوت ارتقاء القبيلة .

(ح) ان العربية قد جازت[1] دوراً صوتياً كانت الحركة فيه تنطق حرفاً كما سيجيء .

ومن ثم نفهم سر التضعيف الذي كان القصد منه طرد كلم العربية على ثلاثة أحرف والتحلل من الصوتية . وهذا التقدير وحده هو الذي يعلل السر في جريدة المعاني المختلفة اكبر اختلاف . لكل كلمات الثنائي المضعف تقريباً . وذلك لأنها تنظر إلى أصول عديدة فمثلاً (شح) بمعنى بخل ينظر إلى (شيح) و (شح) بمعنى وسع ينظر الى (شحى) وهكذا . وأيضاً به يمكن تعليل كيف كان من العرب من يقول في (مَرّ مَيْرٌ وفي زِرّ زِيْرٌ وفي ذَمّ ذام وفي كَعّ كاع) إلى آخره مما هو كثير كثرة مطلقة .

الثنائيات الساكنة كدَقْ وانْ فالاول وضع في معجمه (مَسَدّ) قبل (مدح) والثاني نشر في مجلة الطبيب (السنة ١٨٨٤ ص ١٩٤) ان الثنائي موضوع في الاصل على حرفين . وينتصر الاب انستاس الكرملي لهذا المذهب وقد توسع بشرحه في كتاب نشوء اللغة العربية ص ٢ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ .

(١) راجع بحث تطور اللهجة من القسم الثاني فى المقدمة .

على ان الثنائي المضعف أقرب الى اللفظية واقعد . مما يظهر انه عولج بالصقل اللغوي . و يؤيده انتشار المضعف في مثل هذه الكلمات وقلة المعل مما يشعر بأنه أخذ بالامانة . وفائدة هذا النظر من عدة وجوه .

(١) عقـد وحدة دائمة بين معـاني المعل والمضاعف والرباعي غير الأصم والمهموز كعبى وعب وعبعب وعبأ

(٢) رقوب مقدار التطور المعنوي بينها .

(٣) تحقيق ما هو الحقيقة والمجاز فيها .

وهذه انما تتأتى لنا بهذا الملحظ الاعتباري في اللغة . و ينبغي أن يتنبه[1] الى أن الكلمات التي فيها حرف حلقي تنظر الى المعل رأساً على وجه الاطراد . لأن واحداً من هذه الحروف ليس أصلاً .

وعليه فالمعلات من بقايا هذا العهد السحيق . وانما رأينـا هذا الرأيـ في وضع المعلات على أنواعها لتخلف الجامع المعنوي بين صورها المـادية الست . مما يدل على انها لم تخضع للوضع النظامي . وانما كانت وليدة فوضى الوضع القديم . وهذه الظاهرة اعتبرها صحيحة جداً في الدلالة على القدامة . وكذلك يجدها من تفرغ لدرسها بصورة استقرائية على كلم اللغة . وهنا نقف على أن المعلات بأنواعها المختلفة أثرية وجدت قبل الوضع اللغوي الدوري . وقبل أن صارت العربية كلغة ذات فقـه خاص واشتقاق ثابت على اطراد .

وهذا الدور نقرره كحالة لا بد منها في نشوء اللغات . ونمضي عليه بدون تردد . ولربما يحتمل مناقشة في غير اللغات السامية . وليس لأنها لم تخضع لهـذه الظاهرة . ولكن لأنها في السامية اكثر وضوحاً . وقدامى لغويي العرب أدركوا شيئاً من هذا في كثرة في المفردات ولكن وجهوه لخدمة الاشتقاق العربي . ولم يحاولوه درساً كقانون في انشاء اللغة . وكذلك أدركها صاحب كتاب الفلسفة اللغوية غير انه تنبه الى أن الثلاثي متفرع من ثنائي سابق لا في الاشتقاق فقط كما فهمـه الأقدمون حين ذهبوا يطبقونه في الابدال وتعاقب الحروف . بل في النشوء اللغوي أيضاً . بيد انه كان

---

(١) راجع هذا البحث في الحلقة الثالثة من الدور الثالث من المقدمة .

كثير الغموض إلى حد كبير . وهو في محاولته اثبات هذا التقدير لم يجاوز ما قرره الأقدمون من الابدال والنحت في الثلاثي . مع ان العربي لا يعرف هذا النحت المتخرص كما سيأتي لك تحقيقه .

ولا ريب أيضاً في انه حين يقول بأن اللغة العربية مؤلفة في الأصل من أصول قليلة ثنائية . لا يعين انه يعني ان اللغة عاشت في دور كذلك ثنائية فقط . ولكن مع ذلك لا يسعنا إلا أن نقول بأن الفكرة انقدحت في ذهنه .وان كانت متضائلة غامضة. واذا حاولناه انصافاً فلم تكن أفكاره في فحواها . بأ كثر من افكار كتاب العين التي بثها[1] الخليل بن أحمد وأرسلها ارسالاً .

الدور الثالث

لم يعد الانسان في هذا الدور ساذجاً على المقدار الذي كان عليه في الدورين الأولين . سواء في اللغة أو في أي منحى آخر من مناحي التأهل الارتقائي بمعناه العام. ولم يكن أقل من ذلك في السمو الفكري والعلمي والحياة المدنية . . .

ولقد يمكن للباحث التاريخي أن يعين مبدأ الدور الثالث على مقياس ما عرف في تاريخ الاجتماع ونرجح أن يكون مبتدأ هذا الدور . هو بعينه عصر الحجر المهذب . الذي تم للانسان فيه كثير من الرقي . فعرف استخدام الأواني الخزفية ، وابتناء المساكن ، وتدجين الحيوانات ونسج الملابس ، وتمهيد الأرض للانتفاع بها واستدرارها بالزراعة . .

وكان بحكم هذه العوامل التي توفر الحاجة إلى الخطاب المبسوط على نسبة ما . ان وجه عنايته إلى إصطلاح المنطق . وجمع جهده في انتزاع الكلم وتحصيلها من أي وجه . ولذا غلب عليه الخلق والايجاد والضم والجمع . وما عليه أن يأتي موزوناً . مادام يجده كافياً لحاجته وهو مع ذلك غاية ماسمحت به الفواعل المنتشرة في الطبيعة والوسط والاجتماع . . .

---

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٨ .

ونحن إذا ذهبنا نقدر مبدأ هذا الدور بالعصر الحجري المهذب . فلا نكون على شطط من التقدير أو على مجازفة من النظر . بل نكون قد سايرنا الواقع الذي يمكن للباحث التاريخي أن يتمحله بشتى القرائن والدلائل . وبهذا التقدير يتمكن الباحث اللغوي في سهولة،من استعراض أدوار النشوء في بناء هيكل اللغة،على سنة تدريجية غير آخذة سبيلا من الطفرة . أو قائمة على أسس المفاجآت المحضة التي كانت تحل محل الرضى من أذهان كتبة التاريخ العلمي قبل سلطة النقد وهيمنة قوانين التطور العام . وضروري أن نقدر أيضاً ونحن نشهد من تقدم الانسان كثيراً . ونقع منه على رغبة غير محدودة في التقدم الواسع . ان الثلاثيات كانت تتزايد وتنمو وتتكاثر . ولكن تكاثرها لم يكن بالقصد اليها و إنما كان على سنة التركيب الكلمي الذي يتخذ بحكم التعبير به عن الشيء الواحد صبغة الأفراد . ومعنى هذا أن عصر الحجر المهذب شهد ثلاثيات كانت تستعمل للدلالة بها على مفردات من الأشياء . . .

وهذا الدور الذي نقدره يقع في حلقات متباعدة المدى . ولكنها بقيت خاضعة حتى في عصور كونية اللغة لطابع الثلاثي وحده . في شُعَب كالعربية بحيث كان فيها وحدة المادة . ولربما يكون هذا نتيجة هيمنة اعتقادية . فان عقيدة التثليث ظهر أنها كانت تسيطر على شتى مآتي الانسان القديم . وكانت في أدوار مصدراً عاماً للعادات. ولكل ما هو من عمل القبيل . .

ولا يستبعد احتمال هذا في جانب العرب القدامي . وهم من ذوي العراقة في معتقد الوثنية . و إذا صح هذا الظن فلا ريب في أنه يفتح أمام الباحث أفقاً جديداً من الدرس للعربية القديمة . .

ونحن إنما عمدنا إلى تقسيم الدور الثالث في حلقات خمس . لما أنها تعاقبت على اعتبار الثلاثي فهي بهذا لم تتغير في أساسها.وانما اختلفت في نسب جعلت بينها تفاوتاً إرتقائياً فقط.

وسنأخذ فيما بعد بالكلام على كل منها مع حصر النظر في التطبيق على العربية طلباً للاختصار ونفياً لداعية الخلاف والمناقضة . وذلك لأني على ثقة كبيرة من سلامة النتائج على العربية ولست أعني أنها ليست كذلك فيما سواها . ولكن أقصد أن تطبيقها فيما عدا العربية يحتاج إلى فضلة مجهود وزيادة درس

الحلقة الأولى

في هذه المرحلة نشهد الانسان عاملاً جاداً مقتنعاً بقوته محكماً إرادته . ليخضع ما حوله من أجل معاشه غير منتظر ما تاتي به المصادفات . التي ينتهب العيش منها إنتهاباً . بل عاملاً بكلتا يديه ليحيي ولينتفع مزوداً بمعارف من الطبيعة . وحيل مما اكسبته ضرورة التناحر . وانا إذا أطلقت لفظ الانتفاع فلا أريد الانتفاع الشخصي المؤقت . بل قد بدأت فكرة الادخار الاستغلالي أيضاً تنتاب عنده على نسبة . كنواة للادخار التي صارت في غايتها أثرة و بيلة . فراح يؤنس الحيوانات ويدجنها . كل ذلك من أجل ضمانة المستقبل . . .

ولقد أعمل ضروب الحيلة لتكوين منطقه بين هذه المطالب الجديدة . والآفاق الارتقائية ، التى انفسحت أمامه . وكان أن أدرك طلبته بنجاح أطرد مع الترقي الانساني . وكذلك لن يقف الاحين تقف الانسانية عند حدودها الفاصلة . فكانت له لغة يستطيع بسهوله أن يعبر بها عن خوالجه ، وعواطفه ، وأشيائه اللاتي تلامس حياته ، ويقع عليها بحواسه . وان كان ضيق نطاقها الطبيعي يجعل تعبيراته عامة . واصطلاحاته على اشتراك . .

ولكن مهما يكن فلقد كانت لغة على مقياس من تفكيره وحوائجه . ولا يبعد أن تكون هذه الحلقة امتدت إلى آخر العصر (البرونزي) الذي تم للانسان فيه وضع الحجر الأساسي في بناء الحضارة . ومن ثم كان لنا أن نقرر أيضاً أنها بقيت طيلة الحلقة الأولى على غير تناسب ولا نظام . وذلك لأنه لم يعمل فيها يد التنقيح بعدُ . وانما كما سبق يجتهد فى اصطناع الكلمات لابراز تصوراته وأفكاره ومكنونات نفسه . ولنقل ما يريد إلى من يشاركه الحياة ويجاوره المسكن . .

وعماد هذه الثروة اللغوية التي نقدرها في الحلقة الأولى من الدور الثالث .

(ا) المفردات ذات المقطع الواحد (وهي الجدول الهجائي فيما بعد) . .

(ب) المفردات ذات المقطعين وهي المعلات في دور النضوج اللغوي .

(ح) المفردات ذات المقاطع . وهي التي انتهت كوحدة في العربية تنحل اليها

كلمات اللغة وتصدر عنها . وهذه المفردات الأخيرة كثرت جداً . وكان من وجوه كثرتها كون المفرد الواحد ينطق على أشكال مختلفة لتأديات مختلفة أيضاً . . .

الحلقة الثانية

قارنت هذه الحلقة من حياة اللغة . العصر الذي اصطلح عليه في الدوائر العلمية والاجتماعية باسم العصر الحديدي . وفيه عرف الانسان كيفية استخراج الحديد ، واخترع الكتابة ، وشاد المدن ، وقطع أشواطاً بعيدة من الحضارة ، وبدأ عهد المدنيات العظيم .

ولا ريب فى أن اختراع الكتابة يكشف عن مقدار التقدم اللغوي لذلك العصر . فان من المعقول جداً تأخر الزمن الذي يصبح الانسان في حاجة إلى تقييد أفكاره ، ومبادلة عواطفه ، مع البعيد عنه .

وكانت الكتابة أبداً وليدة الرقيّ اللغوي والاسلوبي ، والبسطة في مدارج البيان. فحاجة الانسـان إلى الكتابة في العصر الحديدي يوضح لنا المبلغ الراقي الذي وصلت اليه اللغة . وليس كذلك فقط بل تدل على العقلية اللغوية أيضاً .

وفي رأيي أن الكتابة من وسائل التقدم اللغوي ، أو هي الوسيلة الفعـاله بالمعنى الصحيح . ولا يكن ما أقرره من هذا غريباً أو مدعاة للتساؤل . وان كان يعزو كثير من المستشرقين رقي اللغـة عند العرب إلى عدم الكتابة . ممـا كان سبباً قريباً لمرونة السنتهم . ما دام واضحاً جداً أن لغة التعبير المطلقة على حرية كبيرة في المذهب البياني . حين لا تقضي بأ كثر من أن يرسل الكلام ارسالاً معبراً عن المقصود كيفما تأتى . ما فتيء قميناً بحصول الغاية من الخطاب .

بينما الكتابة ليست على هذا الوجه . ولا على مثل هـذا اللون . فهي تأخذ في مذهب بعينه ، وتفيض في طوابع خاصة ، وتعمل دائبة على التقليم والتهذيب . ما دامت تقدم نماذج للمقارنة بين المنتجات للانسان المترقي . فتدعو للأمانة والايجاد، والاختزال والاطناب ، على حسب الدواعي . و بالأخص حينما تقع من الانسان على غريزة طلب الأصلح . ولست أنكر أيضاً ما يجيء به المستشرقون تعليلاً لرقي العربية . لأني أفهمه

على خلاف ما يظهر منه . أفهمـه على معنى الرقي الكيفي في اللفظ فقط . والا فالرقي اللغوي في صميمـه ومادته ليس كذلك أبداً . ولا أتردد في عزوه الى الكتابة فقط . ولولا الكتابة لما كانت لغـات اليوم . إلا شواهد كما يخرج باطن الأرض من نصب وتماثيل . اللهم إلا إذا كانت على تقدم نسبي .

ومن ثم صرنا نشهد أقواماً على حضارة مّا ولغة متخلفة . لأنها لم تكتب بعدُ . والكتابة وحدها هي التي تجعل اللغة كائناً حياً يدب ويسعى . لأنها منه بمنزلة الوجه الثابت ، والوجود المستمر .

هذا شيء لا أرتاب به ولا أظن أحداً من الناس يرتاب فيه أيضاً . ولذلك لن أكلف نفسي عناء الإكثار في التحدث عنه ، وتكلف أسباب الاقناع به . وحيث كان هذا العصر مولد الكتابة . وكانت فيه الحاجة اليها . فلا نكر في أن نقـدر سمو هذه الحلقة من الوجهة اللغوية . وهي في ظننا الخطوة الأولى لتنظيم اللغة . ومن ثم تهيأت بما تمثّله للاطراد في الترقي على سنة آلية مستقيمة .

وكانت المفردات الآحادية ، لا تزال تسـد مسداً في اللغة ، وتزاحم في الوجود البياني . ولكن بنمو العقلية في هذه الشعبة ، بدأ يطّرح المفردات الاحادية كذات دلالة معنوية على الانفراد . ويميت فيها دلالتها الخاصة ، حتى لم يبق لهـا أثر إلا فى تكثير مفردات اللغة بالزيادة بها ، ولكن على وجه لم يستتم بعدُ تمام الاستقـامة . فلم يكن للزيادة بها كيفية وقانون ، بل كل ما في الأمر ان الانسان لم يعـد يتكل في تكثير اللغة ، وتسمية الأشياء ، على المصادفات الطبيعية ، أو الملابسات الظرفية . بل أصبح يلجأ إلى التأليف تارة ، والتركيب تارة أخرى ، عند الحـاجة وبحسب المقتضيات .

وروح هذه الكثرة ، والعامل الأوحد فيهـا هي المفردات الاحادية (جدول الهجاء فيما بعد) رغم انه لم يكن رتب على وجهه .

وكما قلت لم يكن للزيادة بها قانون يصطنع عند التفريع . فكـان يزيد على الثنائي هكذا من غير تقرير لموضع الزيادة . ومن ثم يتضح الفرق بين ثلاثيات الحلقة الأولى والثانية . فان الثـلاثي في الأولى . كان عبارة عن تركيب مؤلف من ثلاث

كلمات . فلم يكن مفرداً في مفهومه وان تعين بحكم دلالته وموضوعه . بخلافه في الثانية فقد كان عبارة عن مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الآنية . وان كانت ذات دلالات أثرية عن عهد من الوجود اللغوي أدنى . كما قصد فيه من أول الأمر الوضع الشخصي . ولا شك في انك تلاحظ فرقاً بين ما دخله القصد في أن يكون ثلاثياً . وبين ما كان ثلاثياً بضرورة تشخص الموضوع له .

وبتحرير هذين الفرقين ، يمكن أن نقف بوضاحة ، على مميزات كل من الحلقتين، وعلى درجة التفاوت بينهما

وبناء على هذه الافتراضات المظنون صحتهـا ، لم تعد اللغة اتكالية أبداً . بل أصبحت على نسق مثلي من الكائن الحي ، فيما بعد دور الطفولية يهيىء لنفسه أسباب البقاء في غير معونة لأنه متمتع بكل مقومات الحيوية . لا ينقصه شيء مما يلزم لبقـائه الاولي ، إلا كما ينقص الحلقات المفقودة في تقدير النشوئيين . على ما في هذه المقومات من استعـداد للتطور المستمر ، وقابلية للوجود الارقى . وسيمر بنا أمثـلة عن هذا الاستعداد ، وهذه القابلية في وضوح ، وفي غير ما ابهام .

الحلقة الثالثة

في ظننا أن هذه الحلقة ، ترتبت من الحلقة الثانية ، فقد أدت اليها بما هيأت فيها من أسباب ، وبطنت من قوى .

وطبيعي أن تؤدي هذه القوى التي لها طبيعة النواة وخصائصها . إلى الحلقة الثالثة في تقديرنا بكل ما اشتملت عليه ، وجميع ما امتازت به . من طابع لغوي ، إلى عمـل وضعي ، إلى نشوء نظامي ، لا يختلف في شتى اعتباراته .

ولا يمنع دون هذا أي شيء من إحالة . فان الحلقة الثانية التي انفصلت بما شهدنا من ارتقاآت لغوية ، في البناء والوضع . حتى تم للانسان أن يجمع هدفه في الـكتابة بعد اللغة . وتم له معرفة الاسم ، والفعل (بمنزلة الوصف) والحرف المهمـل ، دون الحرف الذي جاء لمعنى .

وإنما رأينا هذا الرأي . لأن من البعيـد جداً التقدير الذي يقرر عرفان الاسم

الوصفي حينئذاك . لأن الوصف في الحقيقــة . علم على معان تقوم بالأشياء ، أو على وحدات عرضية تقال على الذوات . فتقرر الاسم كعلم ، ثم ابرازه كوصف محض ، عمل مركب فوق منزلة اللغوي الراهنة . كما أن تقدير إدراك عقلية الوسط لهذه الوحدات والمعاني ، يكاد لا يتماسك أو هو غير متماسك بالفعل . لأن انتزاع وحدات الأشياء . يحتاج إلى عقلية علمية ناضجة ، وإلى دقة في المقايسة والموازنة مما هو بعيد بلا ريب عن هذه المنزلة التي تقدرها .

وأذكر اني رأيت بحثاً لمستشرق كبير . ذهب فيه إلى أن الساميين لزمن متأخر ، كانوا لا يعرفون من الألوان سوى الواضحة كالسواد والبياض . وهذه علامة اتخذها كظاهرة من طفولية الأمة . وإخال ان هذا صحيح . وربما أيده عدم معرفة العرب للون اللازودي ، إلى ما بعد خروجهم من الجزيرة ، مما اضطرهم إلى استعارته بلفظه وإهابه الأجنبي .

وإنما كان يستعيض بالفعل عن الوصف . ولا يؤخذ من اطلاق لفظ الفعل ، أنا نعني الفعل المهذب ذا القواعد المقررة . بل ما يقارب المصــدر في المفهوم اللغوي . كما سيأتي في بحث (الافعال) من المقدمة وكذلك نؤكد عدم معرفة العربي حروف المعاني في كل الحلقة الثانية . التي هي في مقياسنا الوجه اللغوي للعصر الحديدي . وذلك لظهور التحولات الطويلة فيها التي صيرتها أدوات في نظم الخطاب

واليك مثلا (واو الجمع) فهي في ظننا واو العطف ، المختزلة من كلمة (وَوْ) التي تحتفظ بها العبرية بمعنى (وصل) . ونقلت إلى الجمع للاشتراك في الدلالة . ولذا عرّف قدامى النحويين الجمع ، بأنه ما أغنى عن التكرار بالواو . وهذا الظن قديما رض بالقلب ، ولكن البحث اللغاني معارضاً بالعقلية الساذجة ، قمين بتصحيح ظننا على وجهه .

وكذلك (أو) العاطفة فهي عندنا متأخرة عن واو العطف وكأنها مركبة من واو العطف وهمزة الاستفهام . ومن ثم يظهر كيف قالوا هي موضوعة في الأصل للشك . ومثلها (أم) الموضوعة للتقسيم بملاحظة أن الميم علامة الجمع الخ [1] . .

هذه الحيوية الخصبة في كيان الحلقــة الثانية . أدت إلى التنبت اللغوي ، وإلى

---

(١) بسطنا الـكلام عن الادوات في كتاب (دراسات على فنون العربية). ولأو على هذا التخريج نظير في الانجليزية وهو (almost) المؤلف من كلمة كل والاكثر لنعطى معنى تقريباً . وهو في الاجنبية يكثر كثرة مطلقة .

نوع من بلوغ الحي . وكان من نتائج هذا البلوغ ، ان اجتهد في ضبط موضع الزيادة، بدون ان يتركها على فوضوية من تعيين الموضع المذكور . فهو لم يكن يعرف قبل هذه الحلقة موضعاً بعينه يخص الزيادة به ، ولا قانوناً لها ، ومر به زمن ليس بقليل حتى اصطلح الموضع الخاص بها .

ومضى قدامى رجال اللغة ومحدثوهم ، في غير تردد ولا تنكر ، على تعيين[1] الآخر موضعاً للزيادة في الأكثر . فانك لو أخذتهم من أقدم العهد الدراسي أي من عهد الخليل إلى العهد المصري ، لوجدت الجماعة على وفاق من تعيين الموضع المذكور . .

وينبغي أن لا يفهم من عبارتنا ، أن اللغويين [2] قدروا الدور الثنائي وأثبتوه كعمر مرت به اللغة ، في تطورها الطبيعي للتكامل .

وإنما كانت كل أبحاثهم في هذا الباب ، عبارة عن أن الواضع لاحظ عند وضع بعض الثلاثي معنى الثنائي ملاحظة مشتركة . كقط في قطع وقطف وقطم وهكذا .

وكما قلت لم يترددوا في هذا الظن أبداً حتى اصلوا عليه أصولاً ، ووضعوا ضوابط أتى عليها علماء[3] الاشتقاق كابن جني في سر الصناعة ، والزجاج في الاشتقاق ، وابن الاثير في المثل السائر إلى سواهم . ونحن وان كنا لا ننكر أن في كثرة من كلم اللغة ما يسند هذا الظن ، أو يحمل عليه ، نقول بخطئه ونرى رأياً آخر يباين رأيهم ويخالفه . ورأينا وان كان يبدو غريباً فلا يباين الصدق ، ولا يجانب الواقع ، وهو جدير بالدرس والتوسع .

ويجب أن لا نغفل ونحن نؤرخ للتطور اللغوي ، أو بعبارة أخرى للتطور الوضعي عند العرب ، أن الأمر قبل كل شيء وصفي . وأقصد بهذا أن على الباحث استقراء

---

(١) ويقدر بعض باحثي اللغة اليوم كزيدان والاب أنستاس الكرملي إلى جانب هذا وجهاً احتمالياً باخذ الثلاثي على انه يحتمل ان يرد إلى ثنائي باعتبار زيادة الفاء او العين او اللام راجع كتاب الفلسفة اللغوية للاول وكتاب نشوء العربية للثاني وسيمر بك مناقشة هذا الرأي الاحتمالي في القسم الثالث من المقدمة .

(٢) اي القدامى منهم وان كان بعض متاخري اللغويين يراه طوراً نشوئياً ثابتاً .

(٣) لخص هذه الضوابط تلخيصا حسنا صديق حسن خان في رسالته (العلم الخفاق)

مفردات اللغة وأخذ صفة عامة لها ، قبل أن يلتمس وجه التعليل المنبني على تقديرات مجردة . وما أيسر التقدير في جانب الدرس . ولكن قلما يأتي بنتائج عملية صادقة أو لا يأتي بها أبداً .

وهم في تقديرهم درجوا على ان الآخر موضع الزيادة . ونحن نقرر انه الوسط دائماً في غير ما يكون حلقياً من المواد . فان حروف[1] الحلق عندي منقلبة عن أصوات هوائيـة تصحب الحرف . ولم تستقر على الوجه الحرفي بالمعنى الدقيق إلا بعد بلوغات لغوية عديدة . ومن ثم لا يصح أن يعد الحلقي حرفاً في مباحث التأصيـل . فقطع ترجع إلى (قط) ، وحلب ترجع إلى (لب) ، وعصفور ترجع إلى (صفر) التي ترجع إلى (صر) ومنه الصِرّ طائر كالعصفور ، والصرصور الخ . وأيضاً ما كان فيـه حرف نون فالأكثر زيادته . لأن النون تنوين بالغ فقط . (فنهر) يرجع إلى المهل (روى) الذي منه الري . ويشهد لهـذا كلمة (ددٌ) بمعنى اللهو ، الذي حفظ على وجوه ثلاثة تنتظم التطورات التي نفرضهـا . قالوا (دَدا) و (دَدٌ) و (دَدَن) وقالوا في جمع دينار دنانير . وكذلك التاء يكثر كونها منقلبة عن واو وهكذا .

وبالبحث المستفيض ، والدراسة الدقيقة ، والمقابلة الصادقة بين المفردات بوجه عام . نقف على صدق النظر المذكور . ولا تظنن اني سأتكلف أمثلة صدقت فيهـا وجهة النظر مصادفة أو اتفاقاً . بل سآخذ في عرض أعرق أمثلتهم ، وهو (قطف) فانه يرجع إلى (قف) وكما تشهد المعاجم يدل على الضم والجمع و (الطاء) تدل على الالتواء والانكسار . وهذه الدلالة تنسحب على كل الجـامع الحرفي كقذف وقرف وهكذا مما سيأتي تحقيقه ببيان ومقابلة في (بحث الثـلاثي من القسم الثالث) . ولا بأس من أن ننوه هنا ، بأن صنيع الجوهري في بناء معجمه (الصحاح) على ملاحظة لام وفاء الكلمة . هو الذي الفتني إلى هذا الرأي ، وانبهني إلى هذا الظن . وان كان ليس مبنى ملاحظة الجوهري اصلاً ، وانما ملاحظته معجمية فقط . وأرى أن الحامل له على هذا الوضع ، هو ما رآه في كتاب (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس ، من تنصيص

---

(١) ويشهد لهذا عـدم وجودها في اللغة البابلية التي هي بلاريب ادنى مستوى من العربية بالنظر اللغائي راجع كتاب تاريخ اللغات السامية للدكتور ولفنسون ص ٢٠ و ٣٩

على الاصالة . فمثلا (جند) يقول فيها الجيم والنون والدال أصل . فالجوهري طلباً للاختصار بنى معجمه على الآخر والأول، الذي هو في قوة النص على الحروف الاصول.

هذا ظن نرسله في كثير من الثقة والاطمئنان . ولقد يزيد في خطورة الحلقة الثالثة ، أن تكون انتهجته في التفريع والتأصيل الوضعيين . واذا تقرر هذا وهو ليس بعيداً ، فتكون هذه الحلقة من التقدم اللغوي بمكان .

ولكن قد يقال بعد تقرير هذا القانون . كيف كان طبعه في الأفراد حتى يصدروا عنه ؟ وأي تقدير يحتمل في هذا الصدد مستبعد ، من مثل المجامع اللغوية وما اليها .

أقول من المظنون ان هذا عمل فردي ، ثم تنطبع به الجماعة بعد الانتشار والشيوع ، ويتقرر على الأيام كظاهرة لغوية . ولهذا شاهد من المكتشفات الحفرية . فقد ورد في قائمة أثريات الحفر ، الجاري عند اللاذقية في (رأس شمرا) ذكر لوح كتابي ، عليه حروف مسمارية . وحروف يصطنعها صاحب اللوح بين المسمارية وبين الفينيقية الشهيرة ، مما حدا بالمكتشفين إلى الظن بأن الكاتب فينيقي ، اجتهد في اختراع الأبجدية الفينيقية ، وكانت هذه إحدى محاولاته.

قد تكون هذه القوانين اللغوية ، عملاً من هذا القبيل . وقد تكون عملاً جماعياً، تقوم به الجماعة ، ويتقرر من غير قصد اليه ، كما هي سنة التطور في الأشياء ، وفي عاميتنا الشائعة ما يوضحه . وان كنت اميل إلى أنه من عمل الأفراد الجيليين ، ثم يأخذ سبيل الشيوع والعمومية . ومن هنا نقف على ان عمل العربي في هذه الحلقة ، كان في الاهتداء فقط إلى محل الزيادة . ومن بعدُ اطرد التكاثر على سنة بعينها لا يعدوها ، ولا يأخذ مأخذاً مباينا ، بل يحاكي ويقلد ، ويلحف في المحاكاة على قانونها .

الحلقة الرابعة

ربما كان الحديث في كل هذه الحلقة مفاجأة مطلقة . وربما كان من العسير التسليم به والاستدلال عليه . ولكن هذا لا يمنع من المضي في تقرير ما نرى . وأيضاً

لا يمنع أن يكون هو الواقع فكثيراً ما كان الخاطر موفقاً ثم يجيء على تأكيده العلم.

على ان ما نحن منه الآن بصدد، لا يعد كذلك برمته، بل لبعضه مؤيدات وشواهد وقرائن، ان لم يكن كل الواقع فليس بعيداً عنه: وان لم يكن نفس الحقيقة فليس يباينها.

ومع اني أعتقد بأن ما أقدمه في هذه الحلقة هو أعظم أبحاث المقدمة وأخطرها، فلا أغفل الدارسين بل أنتصف للدرس، وأنتصر للتاريخ، وأقول وملء قولي صراحة، بأنه رأي يعتمد الاستنتاج، وان أنجده الصدق على مفردات اللغة.

انني أنتظر أن أفاجيء بكل هذا، في حديثي عن الحلقة الرابعة التي فيها تم النضوج اللغوي عند العرب. فلم تعد اللغة في حاجة إلى شيء مما كانت تحتاجه أولاً، بل خضعت خضوعاً عاماً لأصول في الوضع، أعتبرها اللغائيون (الفيلولوجيون) أسمى وأرفع ما عرفت أمة من الأمم.

تركنا العربي في الحلقة الثالثة، يزيد زيادة تعتمد طريقاً واحداً، ولا تتنكب أبداً الرسوم والاعلام المعينة. والآن نراه (لما انفسح امامه من الآفاق الارتقائية على اختلاف شعبها وهذه كثيراً ما تتداخل في مشابهات تقضي بتوحيد الوضع) يلجأ إلى القلب. ويحاول أن يجعل منه منفذاً إلى غرضه، أو فيه تحقيق كل ما يبغي من جملة مراميه. فمضى عليه ووضع متخذاً أسبابه، ولكن بقي كشيء لم يثقفه بعدُ تمام الثقافة، ضرورة انه ابتدأه ابتداء. بيد أن قد وجد فيه توفيراً للعناء وتخفيفاً للمؤونة. فاجتهد باتقانه رغبة منه في أن يجعله السبب الوحيد إلى الوضع غير المتخاف. ولم يترك الوضع عليه حراً، بل محكوماً بقوانين تحفظ الفكرة الواضحة، وتترجم عنها في وضوح. ومن ثم نرى العربي بعد ما اعتمد في التزيد اللغوي على المفردات الأحادية (الجدول الهجائي) يذهب إلى ترتيب هذه المفردات كمحاولة انتهت به الى الترتيب الهجائي دون الأبجدي. لأنني أشك أشد الشك في أن تكون الابجدية ترتيباً صحيحاً، ويخيل إليّ انها عبارة عن ضوابط للحروف، متخذة شكلاً كلياً لتسهيل الحفظ. هذه العادة التي انتقلت الى أصحاب الفنون. وكأن الاولين تنبهوا إلى هذا، فزعموا أن هذه

الضوابط منقولة عن أسماء[١] ملوك أقدمين اجتهدوا في اجراء حروف اللغة عليها.

بينما البساطة كلهـا تتجلى في الجدول المذكور، ولا يفهم عني اني اقرره كما هو اليوم أي على شكله وحروفه، لوضوح التخالف في بعض مواضعه، والزيادة في البعض الآخر. ولكن مع ذلك هو أقرب ما يكون إلى الأصل، ولا يمكننا إلا أن نقبله كما هو لتصحيح الوضع في المستقبل بقطع النظر.

ومن المحقق أن اختيارنا قد يكون مدعاة للتساؤل، ولا أنكر أن هذا التساؤل صحيح، ولكن اطمئن جداً الى اختيار الجدول لسببين:

(١) شهادة المقاليب بحسب قاعدة الدوائر التي ستمر بك.

(٢) تشكك الحفريين في قدامة الحروف الفينيقية، بعد ما اكتشفوا من آثار عرب الجنوب التي ترجع بتاريخها إلى ما قبل أقدم أثر فينيقي. مما لا يبعد معه الظن بأن عرب الجنوب كانت لهم حروف على ترتيب خاص يكتبون بها.

ومع اعترافي بأن كل هذا لا يكفي لاثبات أقدمية الجدول على ترتيبه، لا استطيع إلا أن أثبت له هذه القدامة، ما دامت مقاليب مواد العربيـة تنتظم عليه، ومن ثم أراني متحللا من أية تبعة في اعتماده وتقريره.

وكما قلت جعل العربي القلب محور الوضع، ثم اجتهد في تنظيم قاعدة المقاليب والوضع على اعتبـارها ولقد تأتى له استخلاص قاعدة موزونة جداً، بعد أن رتب الجدول الهجائي (وقد يصح اعتماد الابجدية ولكن أجدني أميل الى الجدول).

وهذه القاعدة قمينة بتوليد ستة مواد لكل ثلاثي، متخذة تولداً على مثـال تولد الكائن الحي، وأيضاً تعيش في أدوار محدودة لا تتعداها، وتخضع ككل شيء للناموس العام، كما انها تعين المادة الاصل، ثم المقاليب على التوالي التاريخي، بحيث نقف من بعدُ على مقدار قدامة كل مادة، ومعرفة العمر الطويل الذي عاشت فيـه. وسيأتي الكلام عليها مفصلاً في القسم الثالث ولـكن لا بأس من أن نلم بطرف منها. هذه القاعدة تعتبر أقدم المواد من الثلاثي ما كانت مسـاوقة للترتيب الهجائي.

---

(١) راجع تفاصيل هذا الزعم في كتاب ادب الكتاب للصولي ص ٢٩.

فأقدم مادة من ثلاثي (م ل ك) هي (كلم) وطريقة توليدها بجعل العين واللام . فاءً وعيناً . وعليه فالمادة الثانية (ملك) والثالثة (مكل) . ولو ذهبنا نستولدها على الطريقة عينها فلا تلد إلا مادة الأصل (كلم) . وهذا يشبه من كل وجوهه قانون (Atavism) الرجوع إلى الجد - ومن ثم يقف الثلاثي عن الانتـاج ، إلا بنوع من التغايرات يجرى عليه بعد تمثيله دائرة بكاملها .

والتغاير الذي تقضي به القاعدة ، يكون بجعل اللام من مادة الاصل (كلم) عيناً ، وحينئذ تتولد المادة التي هي رأس الدائرة الثانية (كمل) التي ينشأ عنها (ملك ولكم) . ويقف الثلاثي عن الانتاج أبداً بعد استيفائها . ومثال القاعدة على الترتيب المذكور .

الدائرة الأولى « كلم . لمك . مكل »

الدائرة الثانية « كمل . ملك . لكم »

والقاعدة تقضي بوجود جامع معنوي بين المقاليب الستة ، لا يمكن أن يتخلف وان كان على بعد ، وانما التخالف في الخصوصية فقط . ومن هذا نعلم أن الواضع القديم كان يحرر التشـابه بين المسميات ليضع لها من مادة تتـوافق في مفاهيمها التي هي (ملاحظة الوضع) وان تخالفت في الماصدقات . وليس هذا دعوى مجردة ، أو اجتهاداً مفتعلاً ، وانما هو شيء راهن في التطبيق على مواد اللغـة . وما أبالي إذا صدقت باستبعاد مستبعد ، أو بنقص في مقدمات الاستدلال التي تتوقف على هدم سور مجاهل التاريخ .

وأعتقد بأن مقدار الثروة العظيمة التي حازتها العربية ، انما كانت من عمل القلب فقط ، بينما كان عمل الابدال وما اليه في جانبه نذراً يسيراً . ولنوضح هذا على المثال المضروب بالمقابلة بين أوضاع المقاليب الستة ودلالاتها ، التي نخرج منها بمعنى يصح أن يكون جامعاً وهو (القوة تترك أثراً) والقوة في كل شيء بحسبه . ومن ثم نقف على ان اصالة نقل (كلم) الى الكلام بمعنى اللفظ بملاحظة الكلام النافذ ، أو لملابسـة الكلام للقوة وما إلى ذلك من علاقات النقل . ولا ريب في أن وضع الكلام بمعنى اللفظ ، متأخر جداً لغموض العلاقة ولضعف الجامع المعنوي فيه. وسيأتي درس القاعدة

بتوسعة وعمق في القسم الثالث ، بما لا يترك شبهة في أن العربي صدر عنها في وضعه، وما تنكب أسبابها . ولقد يبدو مهماً أن يكون العربي استعملها بدقة تفوق أرقى لغة عصرية . وسأضرب هنا مثلاً على سبيل الايضاح ، ليست له صفة مشتركة ولا جامع معنوي ظاهر ، اذا سايرت نهج القواميس . وانما تبين لك الحقيقة حينما تأخذ بتطبيق قاعدة المقاليب . ولهذا المثل قصة أوردها هنا ، بياناً لمدى الخطأ الذي نقع فيه إذا تجردنا الى المعاجم فقط ، دون أن نترك للقاعدة عملها فيما تسوق المعاجم من نصوص.

لما كنت آخذاً بوضع مواد المعجم ، عرضت لي مصادفة كلمة لم يكن عندي خاطر عنها ، وانما كان مفاجأة وجدانها والخاطر اليها . وقفت على بحث أثري عن (حضرموت) وكان أن جاء فيه ذكر قلعة تبلغ سبعة طوابق ، تسمى (حورة) فقدح في خاطري هذا الاسم ، تأصيل مادتها في الاشتقاق لناطحات السحاب ، وكان أن اشتققت لما زاد عن سبعة طوابق لفظ (مُحَارة) بالضم كفامة ، وهنا تساءلت عن (المحَارة) بالفتح — صدفة اللؤلؤ — فشككت في أن تكون من مادة (حور). وقدرت أن تكون من (محر) ، وكم كانت دهشتي بالغة حينما رأيت صاحب اللسان، يرد المحارة إلى (محر) على رأي الليث ، وان كان الفعل مماتاً ، بينما الجمهور يردونها إلى (حور) ذهاباً مع عدم وجود الفعل في اللغة . وذلك لأن القاعدة تقطع بهذا ، فان من مقاليبها (رحم) وعلى ضوء قاعدة المقاليب ، نقف مبهوتين للملاحظة الدقيقة التي بنى العربي الوضع عليها ، وهي التخصيص في كيس الحمل الجنيني على فصائل النوع تخصيصاً ملاحظاً فيه أدق الميزات . فان من المحقق ان (اللؤلؤ) حيوان في الدرجة الانتقالية ، ومن المحقق أيضاً أن هذا كان شيئاً معروفاً لعصر الوضع العربي ، فلم يبق ما يستبعد معه ، ظن ان العربي وضع للكيس الجنيني في الحي التام الحياة (رحم) ، وللكيس الجنيني في الحيوان الانقلابي (محارة) وعليه فالمحارة كيس جنيني للؤلؤ .

يعجب الباحث العلمي أشد العجب حين يقف على هذا الوضع المكتمل الملاحظة، والذي لا يقع على مثله في أية لغة عصرية على سموها العلمي واقتدادها اللغوي .

وبالجملة فهذه القاعدة لست على تردد من أمرها ، ولا على شك من صلاحيتها

لتكثير اللغة عند الحاجة ، ويكفي انها تضمن احداث مواد لا تعرفها عربية المعاجم، وان كانت تدل عليها ، لما تقرر من وجود جامع معنوي بين المقاليب . فلم يعد من الصعب أبداً ولا في حال من الاحوال ، تعيين الدلالات بحيث لو وضعها العربي ، لما تجاوز بها هذا المعنى . عدا عن انها تعين المهات من المواد كما سيأتي لك في مادة (زفن) فانها عينت وجود (فنز) في دور من العربية ،وان كانت لا تحفظها المعاجم اليوم ، ولم يدركها عهد الرواية . ويؤكد ما أوصلت اليه القاعدة ، النص الأثري الذي احتفظ به صاحب القاموس وبسطه صاحب التاج ، من أن الفنزج رقصة .

وعدا فائدتها نطمئن جداً إلى عرفان العربي لها في هذه الحلقة ، وانها خطته الوحيدة في الوضع سواء بنى الاصالة على الترتيب الهجائي أو الأبجدي. وكيفما كان الأمر فلا مناص من اعتماد هذه القاعدة في تصحيح نصوص المعاجم التي لا نكاد نطمئن إلى كثرة منها ، وفي تلافي تخلف العربية حيال ما يغدق العلم من اتساعات موضوعية تستتبع تزيداً في اللغة .

وقد يتساءل عن وجه هذا الترتيب الدائري ، وعن كيفية اتساق اللغة عليه ، مع العلم بأن العربي اهتدى إلى قاعدته ، بعد أن كانت لغته موفورة المواد التي ليست على اعتباره .

ولكن نقول ايجاباً بأنه اهتدى اليها ، ولغته غنية بالمواد الثلاثية ، وهذا لا يتنافى مع الترتيب الدائري المفروض ، لأن الوضع الأول الذي ترك الثروة المذكورة ،كانت الملاحظة فيه ساذجة وعمومية ، وبعد الاهتداء الى قاعدة المقاليب ، اجتهد العربي في طرد المواد جميعها الموضوعة وسواها على اعتبار القاعدة في المعنى والخصوصية . فلقد تكون مادة ما ، أقدم مما تقضي القاعدة بتقدمها ، ولكن بهذا المعنى والخصوصية تكون كمقتضى القاعدة . على معنى ان العربي أمات فيها معانيها المتخالفة ، ليضعها على خطة ذات وحدة متفاهمة .

هذا هو الثلاثي في نشوئه وتزيده ، ولا تركن إلى شيء مما يخيلون به في أصله ، لأن مبناه على الخاطر المرسل في غير توازن . ولعل مذهبهم [1] في التركيب والاختزال

---

(١) راجع كتاب الفلسفة اللغوية ص ٥٨

لتحصيل الثلاثي ، أقرب إلى الفكاهة منه إلى التحقيق . ولنضرب أمثلة منه لنرى مقدار ما فيه من اعتماد على التخيل المحض ، والتقدير الواهم . قالوا في (قطف) انه من (قَطّ . لَفّ) وفي (قمش) انه من (قَمّ . قَشّ) وفي (بعج) انه من (بَعّ . بَجّ) وهكذا مما لا يحتاج إلى تعليق ، ولكن ضرورة التنبيه دعتني إلى الاستطراد به في بحث كيف نشأ الثلاثي وكثر .

الحلقة الخامسة

مر العربي بالحلقة الرابعة ، ولم تعد لغته في حاجة إلى شيء مما يضمن بقاءها ، لأنه وفر فيها كل عناصر البقاء ، ولم تعد في حاجة إلى ما يحفظ تزيدها ، لأن فيها من الحيوية الفائضة ما يكفل تكاثر النوع .

وهي ان تكن في حاجة إلى شيء ما ، فما حاجتها إلا إلى مكملات تحكم اللغة ، وتنفي عنها التريث البطيء ، وتدفع بها إلى المد غير المنذجر .

رأينا كل هذا في جمل الجدول الهجائي بمعانيه العمومية نواة اللغة ، التي لا بد أن تنمو إذا وضعت موضعها من التربة الصالحة ، ولا بد أن تزيد لا على نسبة رياضية فحسب ، بل على نسبة مضاعفة آلية .

ورأينا دقة العربي في جمل الثلاثي وحدة الكلمة ، لأنه أعون على التزيد ، في غير تحرج ولا تأزم من فصاحة وبيان .

ورأينا كذلك مثالاً لانفصال الحياة من الكائن على نواميس ثابتة لا تتخلف ولا تضطرب .

أحكم كل هذا بقوانين ، وأخضع لغته لها ، وكذلك عادت معيناً لا ينضب في قوة وتدفق . بيد انه كان من المعاني التركيبية ما لا تأديه كل هذه الثلاثيات ، لأنه ينبني عليها وفيه زيادة من المعنى تفتقر الى ما يؤديها ، ولا تتم الدلالة إلا بها ، فاحتاج إلى الزيادة ولكن احتفظ بالثلاثي كوحدة للمعنى ، واستعان بحروف الجدول على صبغ هذه الوحدة بصبغة تجعل منها معنى مؤلفاً . ولا ريب في أن العربي قد توصل في هذه الحلقة والتى قبلها إلى زيادات تصريفية ، جعل موضعها في أول الثلاثي ،

وأما الزيادة من أجل تحصيل كلم المعاني المؤلفة ، فجمل موضعها الآخر . ومن ثم تولد الرباعي والخماسي ولكن في تعاقب والحاجة ماسة . وعليه فالزيادة على أقسام .

(١) زيادة البناء . وتكون على الثنائي لتحصيل الثلاثي وموضعها الوسط .

(٢) زيادة الاشتقاق.وتكون على الثلاثي لتحصيل الرباعي وما اليه وموضعها الآخر

(٣) زيادة التصريف. كتفعل واستفعل وموضعها الأول غالباً لعدم الالتباس .

وأما زيادة الاسناد كغربتْ فليست من أقسام الزيادة على معنى التأليف،الذي هو المراد هنا ، بل بها تصير الكلمة مركبة ، لأنها سواء كانت علامة أو ضميراً فهي شيء غريب عن الكلمة ، وإنما تضاف لحاجة أسلوبية فقط .

هذه هي الطريقة التي كان يجنح اليها العربي ، لاستحصال الرباعي والخماسي . وهذا شيء لا نرسله في تردد بل نقوله وملؤنا إيمان به واطمئنان إليه ، فلقد كان لحروف الهجاء في مفهوم العربي معان عمومية يزيدها على الثلاثي عند الحاجة للوضع في معنى جديد . وليتنبه إلى أننا لا نعنى بالرباعي إلا الأصلي كدحرج ، دون الملحقات كحوقل وما إليه ، فانها ثلاثية زيدت زيادة تصريفية . وإذا صح هذا يظهر لك مقدار الوهم والدخل الذي سقط فيه الأقدمون حين ظنوا الرباعي وما اليه ، تولد[1] بالتركيب والاختزال ، كمثل (بعثر) ظنوا إنهـا من (بعث . أثير) و (شقحطب) إنها من (شق . حطب) إلى آخر ما هنالك مما هو أولى بفلسفة العزائم . والحق ان العربية شبت عن (النحت) بما فيها من القوانين العملية . وكان النحت[2] أبداً ظاهرة من طفولية اللغة . وليس معنى هذا أنا ننفيه وننكره على اعتبار أنه لم يقع في العربية . وإنما ننفي بدون هوادة أن تكون كلمات المزيد كلها على هذا الوجه أو كثرتها . ونحن إنما نعتبره في النحت المَثَلي[3] على المفآجات فقط كما في حوقل و بسمل مما لو حررت فيه الاعتبارات والملابسات وقفت عنده .

---

(١) راجع الصاحبي لابن فارس ومقاييس اللغة له .

(٢) ولا نعارض بشيء من اللغات الاجنبية التي تستبيح النحت حتى كان قانون تقدمها المستمر لان اللغات الاجنبية في غير استثناء على طفولية لغوية ظاهرة و يظهر هذا في الادوات والضمائر واصول الاسناد وإنما قوتها في الحقيقة تعود إلى خصبها الفكرى فقط .

(٣) راجع الكلام مفصلا عليه في القسم الثالث من المقدمة .

وهذه النظرية لا مجال للشك فيها أو التردد أبداً ، ولا بأس من إيراد أمثلة على سبيل توثيق ما نذهب اليه منها.

ذكرت دائرة المعارف الاسلامية معتمدة تحقيقات (كلمان هوار) ان القرطاس هو ورق البردي وانتهى إلى أنها دخيلة ولو أخذنا بتحايل لفظ قرطاس على ضوء القاعدة المذكورة،لوصلت بنا إلى عربيتها بهذا المعنى بدون فند او ريب.فان قرطاس ترجع إلى (قِرْط) ومعناه فى العربية ، ورق الكراث ، ولما كان الورق من البردي على نسق أبسط اضافوا إليـه (السين) ليدل دلالة تشتمل على أهم مميزات الورق النباتي المذكور . وكأن المعنى التحليلي ، ورق نباتي أبسط من ورق الكراث .

وهذا قد يكشف أمام نظر الباحث عن أفق جديد ، ينجد تاريخ الكتابة والأوراق ، وهو أن قدامى العرب كانوا يستعملون أوراق الكراث فى كتاباتهم . ولما سقطوا على ورق أو وصل اليهم ، ووجدوه أبسط منه وأصلح ، وضعوا له من اسم ما يستعملونه للغرض نفسه ، ولكن مع اضافة ما يدل على الذي به الامتياز وكذلك نجد المادة تشهد لنفسها بالعراقة في العربية ، وتنفى عنها كل اتهام من دخل ولا شك فى أن هذه القاعدة ستضع حداً لدعوى التعريب فى كل ما يشتهيه الدارس . ولا عجب إذا قلنا بأنها تضع للأبحاث اللغوية قاعدة صحيحة ، وتكشف عن اعتبارات دقيقة متماسكة ، وتغير كثيراً من زيف التاريخ اللغوي . وإليك مثلا آخر (عنقاش) الموضوع فى العربيـة للمتجول فى القرى ، وهو كذلك بحسب القاعدة ، فانها ترده إلى ثلاثي (عنق) وهو شدة السير و (الشين) تدل على التفشي وعدم النظام . وعليه فالدلالة التامة له (السير على غير نظام) . وهو بعينه المقصود من المتجول فى القرى . وإليك كلمة (ختلم) الموضوعة لأخذ الشيء خفية وواضح إنها تنظر إلى (ختـل)

إذن من المحقق إن العربي كان يضع على هـذه الصورة ، ولا يتكلف النحت والاختزال ، ولا شيئاً من هذا مما هو أقرب إلى الخرص الواهم والتلفيق المنظم.وعليه فليس يوجد مزيدات نشأت من اختزال وما أشبه . وإنما بصورة مطردة ، السداسي يرجع إلى الخماسي ، وهذا إلى الرباعي ، وهذا إلى الثلاثي ، وهذا الى الثنائي ، وهذا إلى

الأحادي . وهو مجموعة حروف الهجاء ، التي هي فى ظننا لغة الانسان الأول ، المتباعد فى القدم والمعرق في التوحش .

وإنما وقفت الزيادة فى العربيـة عند حد السداسي فقط ، لأن الزيادة بلغت ضعف الأصل ، وأكمل الزيادة العددية التكرار ، وبعبارة أحصر تقف الزيادة فى العربية عند ما يبلغ المزيد أصلين ثلاثيين . ولقـد وقع للصرفيين ملاحظة جديرة بالتقدير ، وإن جاءت لهم عفواً ، وهى جعـل الزيادة فى الميزان دائماً بتكرار اللام عند التمثيل ، مما كأنه ينظر إلى الملحظ المذكور .

ولو تخففنا من كل فوائد هذا التقدير التاريخية ، وفوائده فى تصحيح نقول المعاجم ، فلا ريب في أنه يفيد فائدة غير محدودة في الوضع المستقبل ، وسد حاجة العربيـة وسط هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات . بعد تعيين دلالة كل حرف من الهجاء .

ولقد تأتى أيضاً للعربي في أخريات هـذه الحلقة أن يوسع من نطاق الوضع باستخدامه قوانين لم تكن الحاجة اليها ماسة كثيراً ولا تكون أيضاً . وانمـا قوانين قد تدعو اليهـا حاجة وقد يوضع عليها . وهي في حالي الاستعمال والاهمال عنوان على خصب اللغة . ومثلها من اللغة كمثل الاستعدادات فيها الحياة وهي معينها أيضاً .

ونحن اذا قلنا في أخريات الحلقة فانما نعنيه على النسبة فقط ، والا فالحلقة الخامسة كان أولها عند انتهاء الحلقة الرابعة التي ترتبت ، وما انتهت بفاصل لغوي من نوع تلك الفواصل ، وانما وقفت دون أن تنتهي وقبل أن تبلغ الغاية من تطورها ، فبقيت على شيء من فوضى الموازيين والجموع والمصادر والافعال ، لأنهـا وقفت فجأة بداعي الخروج من الجزيرة ، وتخلل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

ومن هذه القوانين التي نظنها ، الرباعي بالتكرار ، وهو الرباعي غير الاصم ، كذبذب . وأرى أن استحداث هذا الوزان من الثنـائي رأساً ، وهو متأخر جداً ، والذي دعى إلى استحداثه الدلالة على المعاني التركيبيـة ، في صورها البسيطة ، كالحركات العكسية السريعة على المكان الواحد . وسيأتي تحقيقه في القسم الثالث .

وكذلك خطت الحلقة الخامسـة دون أن تنتهي ، ولكن مع ذلك أخذت بالاستقرار شيئاً فشيئاً . واستحدثت في سيرها ما تدعو اليـه الحاجة من موازيين ،

دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل واستفعل وما اليه . ولقد يكون هذا الأخذ الجديد الذى تدل العربية عليه . من اقرار الموازيين بدلالات قارة ، واقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع انهاء حقيقياً للحلقة الخامسة . ووصولاً بالعربية الى المستوى الذى كانت تصل اليه لو ظلت في محيطها بدون براح .

التطور فى اللهجة

هذه فصول من المقدمة ، تعرض لناحية تنزل منزلة الشكل من اللغة وهي اللهجة. وليست اللهجة في نظري بأقل شأناً من الناحية الأخرى التي هي الالفاظ ، لأنها قد تكون وحدها فارقاً على خطر .

ولا تنتظر من تصريحي هذا ، أن أحدثك عن اختلاف اللهجات على اختلاف القبائل ، فان هذا له شأنه ، ولكن ما أحدثك عنه ليس شيئاً من ذلك ، وان كنت سألتمس شواهد منه . وانما أريد أن أستعرض تطور اللهجة على وجه عام ، دون ما نظر لقبيلة بعينها ، أو لناحية من الانحاء . وأظنني في حديثي عن اللهجة أستعرض شيئاً طريفاً ، وشيئاً له لذته الخاصة ، كما ان له الى جانب ذلك مكانته في تتبع الدرس العلمي بدقة وتحقيق . ولا أجِدُني مبالغاً إذا قلت بأنه سينقض كثيراً مما قد تقرر بين الناس كحقيقة لا ريب فيها ، وسآخذ ببحث ما ذكرت وملئي ثقة بالنتائج التي أصل اليها ، ولا أظن بأنها تعالج [1] أبداً إلا على هذا النهج .

وسأتحاشى الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه الباحثون عن اللهجات ، إذْ أخذوا بقايا التطور المستمر في قبيلة مّا ، علماً عليها وحدها ، ولم يرعوا أي اعتبار من اعتبارات اللهجة الواحدة . وهو وان يكن حقاً من بعض وجوهه ، فليس حقاً على الاطلاق ،

---

(١) من اعضل المباحث اللغوية تعليل اختلاف العربية على القبائل واتخاذ هذا الاختلاف مباينات حقيقية . ومن ثم كان تعليل ونظم نشوء العربية بمكان من الصعوبة. ونحن قد فرغنا الى هذا البحث الذي ترى نتفاً منه فى هذا الفصل والذي قبله من كتاب (دراسات على فنون العربية) وهنا اكتفينا بما ترى لان هذه المقدمة ننشرها تعريفاً بأفكار شتى وتصحيحاً لاسلوب الدرس بحيث محتبك من مجموعها اقتراح الاصلاح الجديد

لأنك سترى ان ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، وانما هي بقايا خلفها التطور الذي لم يتكامل . وسترى ان هذا تفسير صحيح لكل هذه المتخلفات التى حار في شرحها علماء اللغة . على ان مما لا ينكر أن هناك اختلافات لغوية ، ترجع الى مخرج الحرف واتساقه أو تكسره . وأما الاختلافات المحفوظة في البنية أو الاعراب أو النهج البياني فهي تطورات فقط . وأهم شيء ينتهي به هذا البحث ، هو ربط ما بين هذه الاختلافات بحيث تنتظم في سلم ارتقائي واضح . وتسلسل تصاعدي صحيح . عدا عن ان الأبحاث حتى اليوم لم توف على الغرض المنشود ، بل جاءت قاصرة عنه ، وضعيفة أيضاً ولم توفق إلى نتائج موثوق بها .

ولكن سيرى بحثنا أكثر ضبطاً ، واكثر اتناجاً على منهج الصدق ، وان كان يبعد أحياناً عن المألوف ، ولا يشا كل المعروف المشتهر . وقد اقطع بأن نتائجه ستظل وحدها الكفيلة بتوضيح ما يختلف عليه الباحثون ، وما يرون فيه تفاوتاً مع ما هو أشبه بالسائد في المنطق العربي . ولا بدع فعلى ضوء هذه التقديرات ، وصلت إلى ما خفي على اللغويين عموماً بدون استثناء ولا تمييز . ولست أقول هذا من باب الاطراء لمنتوج قد يكون ضئيلاً وقد يكون ثرياً . ولكن تشويقاً للباحث على الدرس المنصف والتحليل غير المغرض .

ويجدر بي أن الفت النظر إلى هذا الذي أزعم انه خفي على اللغويين ، خذ (المصباح) في كلمة (يَبْرِين) فانه ذكر (يعقيد) وهو — العسل يعقد على النار — و (يَعْضِيد) وهو — بقلة مرة لها لبن لزج — والمزهر[1] في بناء يفعول فانه يذكر (ينبوع ويسروع الخ) وكذلك نجدهما لا يترددان في انها أبنية اسمية ، اشتق عليها توسعة ، كما أن اللغويين عموماً لا يترددون ، وانما اختلافهم في حروف التمثيل هل تكون أصولاً كلها ، أم فيها مزيد فيقابل بلفظه .

ونحن بكل صراحة نقول ان ما ذهبوا اليه خطأ ، ونقرر في غير تردد أن العربي ما عرف هذه جميعها أبنية ، وانما مر بها في عهد من عهود اللغة أفعالاً فقط ، وقد كان يصف كما قدمنا[2] بالفعل ، وكان ينطق الحركة حرفاً ، فلا عجب ان وصف بهذه

---

(١) المزهر ج ٢ ص ١٠١ (٢) راجع ص ١٤٣ من المقدمة .

الأفعال وما على شا كلتها ولزمت كأسماء ، وتطورت اللغة من حولها وبقيت في اللغـة لتدل على مسمياتها ، مع الاحتفاظ بلونها الأثري الذي ينظر الى وجود سابق، كانت له هذه الظاهرة . والذي حملنا على هذا أمران :

(١) بقاء هذه اللهجة المقدرة على لسان قبائل عربية من مثل ما أنشد[1] الفراء.

« اللهُ يَعْلَمُ أنَّا في تَلَفُّتِنَـا يَوْمَ الفِرَاقِ إلَى جِيرَانِنا صُوْرُ »

«وأنَّني حَيْثُ مَا يُثْني الهوَى بَصَري مِنْ حَيْثُمَا سَلَكُوا أدْنُو فأنْظُورُ »

ولا تصغ إلى ما قرروه في غير تحقيق ، ان هذا متولد من اشبـاع الحركة في ضرورة الشعر ، لوقوعه في غير الضرورة كثيراً ، وفي أبنية عدها السيوطي في المزهر . ويحقق ما نذهب اليه من التعليل والظن ، (ينبع) فقد نصت المعاجم على أنها من بابي طرب وقعد،وها قد احتفظت العربية بأثرين يدلان على هذا التحال والانفصال. أما الأول فقول عنترة في المعلقة .

(يَنْبَاعُ منْ ذِفْرَى غَضُوب جَسْرَةٍ زَيَّافَةٍ مِثْلِ الفَنِيقِ المُـكْدَمِ)

وأما الثـاني (فينبوع) اسم للمسيل الناز . ومن شواهد بقاء اللهجة أيضاً قول الراجز :

(أعوذ بالله من العقراب الشائلات عقد الأذناب)

ومع اني لا أطمئن إلى التصديق بصحة هذا الرجز ، وأرجح أنه أثر من افتعال لغوي ، لا أمتنع من قبول (العقراب) ككلمة من اللغـة . وقال ابن الانبـاري في مبحث (نِعْم) من كتاب اصول اللغة ، (وقد ورد (نِيعْم) بالياء وقد ورد (نعَام) في (نَعَم) ثم قال وهذا اكثر من أن يحصى ، وقد ذكرناه مستقصى في المسائل الخلافية) وبقاء هذه اللهجة على لسان بعض القبائل ، يدل على أن تحلل العربية من هذا الطابع كان لعهد قريب من القرآن .

(٢) كون كل ما جاء على الواو أو الياء ، ورد كذلك على الضم أو الكسر

---

(١) راجع الصاحبي لابن فارس ص ٢١ . والضرائر للالوسي ص ٢٨٣ . والزوزني في المعلقات ص ١٨٤ وهذا الاخير نسب البيتين لابن هرمة بن الحرث.

في أبواب الأفعال ، مما يدل على ما نذهب اليه من التحلل . فمثلاً (يعقيد) نصت المعاجم على أن الفعل من باب ضرب وكذلك يعضيد . وفي ينبوع تنص أيضاً على انه من باب قعد وطرب ، وهكذا مما لا يدع مجالاً للشك في انها أفعال مضارع أثرية بقيت في اللغة كأعلام على أشياء ، وهذه العلمية هي التي أدت إلى الاشتباه والخطأ . ولقد وفق الخليل جداً في تسميته الضمة واواً صغيرة ، والفتحة الفاً صغيرة ، والكسرة ياء صغيرة . وناهيك بالخليل ودقة نظره ، وسمو ملحظه العبقري ، الذي كأنه خلق من طبيعة اللغة ، فكان على طبع منها ، وكانت اللغة في نفسه كما تكون في قانون اشتقاقها .

وعليه فالعربية قبل أن تصبح لغة لفظية تماماً (أي تقوم على الحركات) كانت صوتية (أي تقوم على الحروف) ومرت أيضاً في أدوار معرقة في الصوتية ، حتى تحررت أخيراً ، ولكن تحرراً غير مطلق ، وبقيت صوتية في نواح غير قليلة . والذي يجعل هذا الظن صحيحاً ، وفي غير شيء من شك ، احتفاظ العربية لعهد القرآن بهذه الألفاظ المتفاوتة حركة وحرفاً ، مع الترادف المعنوي ، والوقوع على موقع واحد ، كما سيمر بك في شيال وشمال وطومار وطمار وهكذا مما يعدو الحصر . ويجدر بكتبة القواميس في العهد الجديد أن يرعوا هذه الناحية ، ويعطوها حقها من التنبيه .

وهذه الصوتية دور طبيعي ، لا بد لكل لغة أن تجوزه ، ويظهر اكثر ما يكون على اللغات الدنيا في سلم الارتقاء . قال ابو حيان في الكلام على التركية التي هي من اللغات المتخلفة (جميع حروف المد واللين الثلاثة . لا يكون شيء منها أصلاً في هذه اللغة ، بل هي نواشيء عن اشباع الحركات) .

والعربية وان لم تصبح لفظية بكل المعنى ، فقد تركت قوانين أعدت اللغة للتحرر على الاطلاق ، كما سيأتي في الكلام على (نِيدُلان) . وفي ظني ان العهد الصوتي طال أمده ، حتى كان طابع اللغة خلال أدوار ثلاثة . ولكن لم يكن على صفة واحدة ، بل اختلف قوة وضعفاً ، ومن ثم يجيء العهد اللفظي الذي عنده وقف تقدم اللغة .

العهـــد الصوتى

الدور الأوُل

يبتدأ هذا الدور بالمرحلة الاولى من الدور الثالث ، التي تقدم الكلام عليهـا ، وكان من أهم مميزاته أمور :

(١) نطق كل حركة حرفاً .

(٢) الابتداء بالساكن ، والانتهاء بمتحرك . ونظن بأن الحركة الملازمة للآخر كانت الواو كما في الاشورية والبابلية .

(٣) النطق بالساكنين المتعاقبين ، الذي صار محذوراً في الادوار الأرقى من حياة اللغة . والذي حدا بي الى هذا الظن ، ظاهرات تقوم في طائفة من الموازيين ، وظاهرات أخرى تقوم في مفردات أيضاً . وضروري أن أتكلم هنا فى شيء من إيضاح ، لما للموضوع من الخطورة ، ولما ينبني عليه من شتى الاعتبارات في التاريخ اللغوي .

قلت أهم مميزات هذا الدور ثلاثة أمور :

(١) نطق كل حركة في الكلمة حرفاً ، والذي حملني عليـه وجود كلمات في العربية تشهد بأنها وليدة عهود صوتية كما في شمال بمعنى شمال (بالكسر) ولا شك في أنها سبقت بعهود كانت أكثر صوتية ، ضرورة انها مركبة من حروف ذات أصوات لدلالات بعينها .

(٢) الابتداء بالساكن ، والانتهاء بالمتحرك ، والحركة ضمة ممدودة . أما الشق الأول فقد دعاني اليه ، هذه الموازيين التي تعطي بصورتهـا انها قد عاشت في دور كانت تنطق فيه ساكنة الاول ، كاجفيل واخريط واعشوشب وما اليـه ، ثم في تطورات أضافو الهمزة توصلاً إلى النطق بالساكن . وكذلك الأسماء الاثنا عشر التي حفظت بهمزة الوصل ، كاسم وامرء الخ وهي كما نظن أثرية عن سكون الأول .

ولقد أصاب الاستاذ (جبر ضومط[١]) في تقديره سكون الأول من الأفعال، ولكن ان يكن يؤخذ عليه شيء في التخصيص بالافعال . على اننا لا نستطيع أن ننسبه اليه كرأي ، لأنا لم نقف على فكرته مفصلة،وانما أورد[٢] هذا تتفة من استطراد في الكلام على الافعال .

ودعاني إلى تقدير الانتهاء بالمتحرك المذكور ، احتفاظ لفظ (عمرو) بالواو في املائيته.الأمر الذي جعل علماء العربية يتساءلون على الدوام عن سر هذه الواو .ولما عي عليهم الأمر ، نقلوا الكلام إلى لهو الحديث ، وانصرفوا الى فكاهة الموضوع ، فاتهمه بعض بالاختلاس من (داود) ولم يرق لبعض آخر هذا الاتهام فشكى ظلامته . وفاتهم ان الأمر أخطر من هذا ، وكأنني ألمح فيه الدور الذي تمخض عنه . وليس في هذا ما نتهم به لأن عهد العرب بالكتابة قديم جداً ، ويرجع إلى عصور متطاولة أي إلى العصر الذي كانت العربية ينطق بها محركة الآخر . وخصوصاً إذا سايرنا الفئة التي تقدر ان الحمورابيين عرب .

ولقد كشفت[٣] الحفريات عن مدرسة حمورابية تعلم الكتابة والهجاء والحساب ومهما يكن من قيمة هذا الرأي ، فلا ينفي علينا الاتصالات العربية في عهد الحمورابيين .

ومما لا ريب فيه ان تطور الكتابة بطيء جداً ، بل قد يكون معدوماً في الأزمان التي كانت بها وقفاً على أفراد ، ومحتكرة بين أيدي أشخاص ، وهي دائماً بالنسبة إلى تطور المنطق تكون على تريث . ولا يفوتنا أيضاً ملاحظة الاعتقاد السائد عند القدماء ، في أن الكتابة مقدسة ، وان هي إلاَّ وحي يوحى ، مما يضع أكأد العثرات في سير تطورها .

---

(١) من أفذاذ لبنان كان لغوياً قعيدا يميل في درس اللغة إلى الاسلوب العلمي ويتزن جداً في دراساته اللغوية والبيانية وله عدة كتب ومحاضرات ومن آرائه التحقيقية . ذهابه إلى أن سفر التكوين ربما كان من وضع يوسف (عليه السلام) ليظهر نسبه الرفيع في وسط مضيع فيه وخص هذا الراى برسالة شائقة

(٢) راجع مجلة الكشاف التي كانت تصدر عن بيروت ج ٣ عدد ١ و ٢

(٣) راجع ادبيات اللغة العربية لزيدان ج ١ .

ولا ريب أيضاً في أن هذا الاسم أي (عمرو) تسمى به عدد عديد من قدامى ملوك العرب ، وذوي الخطر فيهم : مما دعى إلى كتابته من أول العهد بالكتابة . ولكن تطور الشكل اللفظي ، وثبتت الكتابة ، وبقي عضواً أثريًا في الاملاء ، لا فائدة منه ولا غناء .

و إلا فأي معنى لهذه الزيادة ، وبناء (فَعْل) قد سمي منه ، ولم تكن فيه ظاهرة من هذا . وظن أبي حيان الأندلسي وغيره ، بأنه للفرق بين (عُمَر) وبينه غير محتمل ، لكثرة هذا الاشتباه في العربية . وأيضاً لأن التسمية (بعُمَر) أحدث جداً من التسمية (بعَمْرو) وقد نص غير واحد ، على ان المعدول من أصله ، حديث الوجود في العربية ، مما يقضي بأن تكون الزائدة في عمر لا في عمرو .

على ان الأولين بدؤوا يفهمون شيئاً من هذا النظر . قال ابو اسحق ابراهيم بن السري (ان ذلك - أي الزيادة للفرق - كان قبل الكتاب العربي ثم ترك استعمال ذلك بعدُ ، و بقيت منه أشياء لم تغير عما كانت عليه في الرسم قديماً) وشاهدنا في عبارته ، أن العلماء القدامى اتضح لهم شيء من غامض الموضوع ، وفهموا بعضاً من سر الرسم القديم ، وان كان ما فهموه لا يعبر عن الحقيقة في شيء .

ولماذا أتكلف هذا ، والشواهد كثيرة في النصوص الحميرية (كأخت امهو) أي أخت أمه ، وفي تحريك ضمائر الجمع للغائب المضافة أو المقرونة إلى حروف الجر ، بالضمة الممدودة مطلقاً في لسان قبائل ، وفي بعض الاحيان وعند الضرورة في لسان قريش .

وظاهرة أخرى احتفظت بها العربية في بعض المواضع من الوقف ، وهي ظاهرة الوقف (بالروم)(١) التي نلحظ فيها التحلل عن الصفة العمومية . وقد ذكر(٢) الألوسي ان من القبائل من كان يقف بالروم مطلقاً .

وبالجملة فاني أرى في نتائج هذا الظن ، تعليل ما غمض فيما سقطنا عليه ، وتعليل ما قد نسقط عليه أيضاً .

---

(١) الروم حركة مختلسة تميل الى الضم .

(٢) راجع الضرائر ص ١٦٩ .

وهذا بناء (فعْلون) نعتقد بأن أصله (فعلو) ، وفي دور الانتقال باللغة، وكدوا النطق بالنون ، وثبت هذا كقانون في طبع العرب اللغوي . يدل لهذا ، الأثَرُ الذي نركوه في المحيط البربري ، ظاهرةً واضحة في الاسماء . كخلدون وحمدون وزيدون وزهون . فان هذه النون زادها العرب من أجل تمكين المنطق وتخلصاً من الصوتية البادية ، وذلك لأن البربر سمت بأسماء العرب ،ولكن طبعوها بطابعهم اللغوي العام، فقالوا حمدو وزيدو الخ . والعرب وكدوها بالنون ، واحتمال أن يكون تسمية بالجمع ، ينفيه الزيادة في (كسكسون) الذي لفظه البربري الخالص (كسكسوا)[١]،ولم يكتف العرب بالزيادة على الاسماء المستحدثة فقط ، بل عمدوا إلى الاسماء البربرية القديمة، وأضافوا اليها النون للغرض المذكور . كما فعلوا في (زُرْهُون) اسم الجبل الذي دفن فيه مؤسس دولة الادارسة في المغرب . وأظن بأن أصله[٢] (زُرْهو) والعرب زادت النون عليه .

وأيضاً وزان (فِعْلِين) ليس أصلياً كذلك ، بل هو يرجع إلى بناء (فِعْلون) ولكن بما أن الاتبـاع في العربية ، قانون شائع وواضح الأثر في كل مناحي اللغـة ، دخلوا بالياء على الواو . وأمثلته[٣] في العربية تجاوز الحصر والعـد ، قالوا شِكاية في شِكَاوة ، وقِنْيَان في قِنْوان ، وكذلك نشأ وزان (فِعْلِين) . هذا ظن في جملة الظنون نرسله ونحن لسنا على خلافه في قليل أو كثير ، ما دام درس اللغة يعتمد التقدير الذي تتسق عليه الابنية والكلمات ، ويتخذ اداة للتفسير والشرح .

(٣) التقاء الساكنين على معنى عدم حظره في العربية الأولى ، وربما كان شاهداً صحيحاً عليـه ، جواز التقاء الساكنين على حدة في العربية المرتقية في مثل (مَادّة) و (خُوَيصّة)

وقصارى القول ان صوتية اللغة أمر لا ريب فيه، ومرور العربية في عهد الابتداء

---

(١) على ما نص عليه العلامة المغربي اليوسي في رحلته .

(٢) ومن الهنات . زعمهم بانه مركب من (زُرْهُنَا) ثم تصحف الى (زُرْهَوْن) . وللقدامى عبثات من هذا الباب تفوت العد كتخريجهم لكلمة عصفور من (عصى وفر) على ما نص عليه صاحب التاج الزبيدي .

(٣) راجع المخصص لابن سيده ج ١٤ ص ١٩

بالسا كن والوقوف على متحرك ظن نظنه ، وعليه شواهد قد تثبته ، ووجود بقايا أثرية في اللغة تمثل وجوداً سبق وكان ذا صبغة عمومية من المحقق جداً .

(الدور الثانى)

يقارن هذا الدور ، الحلقة الثانية والثالثة من الدور الثالث السابق الذكر . ونرى إن اللغة لم تتحلل فيه من كل مميزات الدور السابق ، بل بقيت على شيء منها ،ونظن ظناً مؤكداً انها بقيت محركة الآخر ، ولم تتحرر تماماً من التقاء الساكنين .

ومعنى هذا إن أسباباً من البناء اللغوي القائم ، جعل اللغة تتهيأ للتحلل ، وإن لم يكن على الوجه الأكمل ، وعليه فقد بقيت الحركة تنطق حرفاً فى كثير من مواضع الكلمة أي لم تعد تنطق كذلك على أطراد .

ومن ثم كان وجه للتحلل ، وأيضاً بقيت محركة الآخر ولكن على نسق لا اختلاف فيه ، ولربما كان هذا مسلماً لنا ، بيد لا نظن أن فى معاجمنا ما يسعف بالشاهد عليـه ، ومن هنا قد نؤخذ فى تقدير لا يستند إلا على حدس محض ، ومعرق أيضاً ، غير أننا قد نتمكن من التصريح باعتماده ثانية ، رغم أنه لا يوجد شواهد عليه ، بناء على عدم استقامة التقديرات التى بعضها حقيقة لا ريب فيها إلا كذلك ، وهذا له اعتباره فى نظر المؤرخ الذي يجتهد فى الاستطلاع إلى ما قبل التاريخ ، متخطياً الحوائل وإن تكن صفيقة ، والحواجز وإن كانت لا تبين .

وضروري أن لا يبق شواهد تنظر إلى هـذا الدور ، واللغة قد قطعت أطواراً تبعد بها جداً عن الدور المذكور ، ومهما كانت الأسباب المقتضية بقاء المفرد على لونه من القوة والقابلية للدوام المتطرف ، لا بد أن تموت بحكم الاستغناء ، خلال انقلابات لغوية خطيرة ، وقلما تبق النفايات والبقايا أجيالا من عهدها الولادي . وعسى أن تكشف الأيام شواهد هـذه التقديرات ، حيث تخفى السافيات ما أتت عليـه فى غفلة الانسـان ، ويقظة الجوافىء الجائحة ، وإنه لمدهش حقاً أن تنبعث هذه بعد أن أقبرت ناطقة بما كان كأنه لم يكن .

وفى تقديرنا أن اللغـة دارت دورتها وكانت طويلة جداً ، ومثمرة كثيراً ،

وانتهت إلى الدور الثالث وقد خلصت من حركة الآخر ، ولكن بقيت فى فترة من الاهتداء إلى الاعراب ، كانت بمثابة تجارب تفشل أحياناً ، وتنجح حيناً ، ومن بين هذه التجارب المتخبطة خرجت العربية نهائياً بتجربة الاعراب المدهشة ، التى بلغت[1] اليها فى أخريات الدور الثالث .

(الدور الثالث)

شهدنا كيف بدأت اللغة تتحلل من طوابعها الرسخة بفعل التقادم ، ورأينا كيف لم تعد على شكل ينزل من الطبيعة منزلة العناصر فى القوة والوجود ، وانما بقيت عرضة للتغيرات التى يقتضيها التطور ، ويفرضها النشوء ، وكان التغير الدائم وحده هو السر الحقيق لدوام البقاء وتعاقب الوجودات المستمر .

وأظن فى شيء من الحيطة ، إن العربية فى هذا الدور كانت كالعبرية من حيث اللهجة التي أفيض فى الكلام عليها ، واجتهد بتمثيلها على صورة واضحة مما كانت عليه ، رغم ما يحول دون ذلك من غمضات التاريخ .

---

(١) عني المستشرقون بدرس الاعراب من ناحيته النشوئية . وهذه ناحية لم يعن بها قدامى النحاة الا على وجه نحوي . وقد حاول الاستاذ ابراهيم مصطفى في كتاب (أحياء النحو) درس ظاهرة الاعراب على وجه تعليلي نشوئي . وقد وفق فى بحثه إلى حد ما ولكنه كبير على أي حال ومع أنه لم يلته بالموضوع فقد وفق كثيراً وأدرك من غامض البحث كثيراً. والحق الذي لا مرية فيه أن درس النحو على الوجه الذي دل عليه الاستاذ سواء كان عنديا أو اعتمد فيه رأيا سابقا . هو أحياء للنحو على نحو جديد . وليس معنى هذا إني اوافق الاستاذ على كل النتائج التي وصل اليها أو قررها فى الكتاب كلا فاني لا أرى كثيراً من التعاليل أو الالتماسات التى خرج عليها مشاكل النحو . كرأيه في التنوين وفي الفتحة إنها الحركة المستحبة وأعتقد بأن الاستاذ لو درس العربية على النهج التطوري الذي نأخذ العربية به لوصل إلى حلول حقيقية جداً وغير رأيه فى أشياء كثيرة . وهو فى أسلوب الدرس إنما يؤخذ على وجه عام باعتماده العربية كمخلوق لا قبل لوجوده الراهن . على أنه وإن إنتهى إلى تعيين فائدة الاعراب ومعنى الحركات الاعرابية . فلم يبين شيئاً من السر فى أن الرفع لماذا كان علم الاسناد وهكذا وإنتهى ولم ينته إلى الجواب عن كيف نشأ الاعراب ؟ والاعراب من هذه الناحية اجتهدنا بفهمه على الوجه التطوري الذي أثبتنا عموم أثره على العربية وحل معناه فى كتاب (دراسات على فنون العربية) . وعلى أي الاعتبارات فالكتاب من افضل الكتب التى درست النحو في العهد الاخير . ويمتاز بشيء خطير أيضا وهو الاسلوب العلمى الهادىء ويكاد يكون من هذه الناحية فذاً بين أساليب الدراسات التى كتبها شرقيون فى العهد الحديث

وأنا إذا قلت هنا بأنها كالعبرية ، فلست أعني شيئاً سوى اللهجة وإنما أحرص على التنبيه حذراً من الظنة المتهمة التي قد ترمي بالخطأ .

وبقايا هذا الدور كثيرة في العربية ، وليس على معني التصحيح فقط كما في ينبوع ويربوع ، وإنما على معني بقاء اللهجة أيضاً في بعض من القبائل ، مما يدل على إن انتقال العربية إلى اللفظية لم يكن لزمن بعيد . ولذا تركت هذه البواقي ، ضرورة ان التطور لم يمثل دورته التامة . وهذا شبيه بما يحدث في البناء العضوي للكائن الحي ، فلقد تبقى بقايا وزوائد ، لا عمــل لها في الهيكل الجسمي سوى أنها دليل على وجود سبق ، كان لها فيه خصائص اندحرت ، ومن ثم أصبحت طفيلية في الوجود الماثل . وكذلك الناموس في فصائل الأنواع ، يقضي بالانقراض عند وجود الارق والأكمل ، ولقد يبقى مع ذلك بقايا من الفصيلة المنفرضة ، ولكن لا لتستقر ، بل لتكون في عيني الفناء مشهداً من الوجود المقهور . والأسباب التي حفظت الاثريات في اللغة أربعة .

(١) التشخص العلمي . كما في يربوع .
(٢) القصد الكنائي . كما في يأجوج ومأجوج .
(٣) حداثة الارتقاء . كما في انظور .
(٤) الكتابة

إما الأول : فمن المعقول جداً ، إن اللفظ إذا اتخذ مفهوماً شخصياً لم يعد يتأثر بالتطورات التي تعرض لأصله إلا نادراً ، لأنه فارقه في المعنى ، وأصبح يحتفظ بدلالة عينية . ومن هذا أكثر ما حفظ من المتخلفات في العربية فمن الأفعال [1] المضارعة

يَسرُوع (اسم دويبة تكون في الرمل)	يعقِيد (العسل يعقد على النار)
يعَسُوب (اسم دويبة شبيهة بالجرادة)	يعَضِيد (بقلة مرة لها لبن لزج)
يرْبُوع (اسم دويبة أكبر من الفأرة)	يقطِين (نبات معروف)

وأما الثاني : فلا مجال للتردد فيه ، لأنه بمثابة التشخص العلمي أيضاً ولــكن ف

(١) راجع المزهر للسيوطي ج ٢ ص ١٠١

المعاني ، فدلالة الكلمة أو التركيب ، ليس إلا المعنى المثلى فقط . ومن هذا الباب كما أرى [1]

(يأجوج ومأجوج) في معني كنائي عن التأجج المتدافع ، والتأجج فى كل شيء بحسبه . ولقد يتلقى رأينا هـذا فى كثير من التردد والاستبعاد ، وانا أقرره على أنه احتمال فحسب . أرى أن كل ما قرر فى معنى (يأجوج ومأجوج) من أنه علم على قوم ، خطأ لا حجة عليه تنهض به ، وشبهة وقعت لعلماء التأويل من امتزاج الثقافات الدينية وفهمها على غير وجهها ، فإن لهذا التركيب مثـل في نبوة (حزقيال) ، وقواه عد التوراة (ماجوج) فى أولاد يافث .

وهذا كما أرجح أصـل شبهة المفسرين فى قصة يأجوج ومأجوج، وهو وهم . والحق عندي إن يأجوج ومأجوج ، مَثَل من بقايا العهد الصوتي ، بقي فى اللغة للغاية المثلية فقط . وعليه فيأجوج فعل مضارع من ثلاثي (أجج) ، ومأجوج اسم مفعول منه ، والمعنى التركيبي التأجج المتدافع . فقول الله (إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض) معناه ان القوم الذين يقـال عليهم يأجوج ومأجوج الخ ، والكلام جار على التنزيل مبالغة ، وهو كثير فى بيـان العرب . ومن ثم نقف على ان القرآن لا يستعملها بمعنى واحـد ، بل كلما وقعت فى موضع كانت على معنى منه كما فى الانبياء فان قول الله (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) تمثيل لحالة الخروج يوم القيامة بعد بَعْثَرَة القبور .

واظن انه كان يستعمل لعهد القرآن كمثل فى هـذا المعنى ، واستعان به القرآن لتأدية الغرض الذي يرمي اليه ، و بفضـل استعمال القرآن له فقط بقي فى معجم اللغة . ولا عجب أن يخفى هذا الخفاء وهو مستعمل لعهد القرآن ، فقد ذكر [2] (ابن فارس) ان الفاظاً فى الحديث وقعت ، لا يعرف معناها على وجه الضبط .

ولهذا السبب حفظ قولهم [3] جوع يرقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب ، وارض يخضور .

---

(١) هذا احتمال في جملة الاحتمالات الكثيرة . يستند الى اللغة واذا اوسلناه فلا نقطع به.
(٢) راجع الصاحبى ص ٣٤
(٣) راجع المزهر ج ٢ ص ١٠١

وينبني على هذا الظن تصحيح القوائم التي يسوقها اللغويون كنوادر ، وتعبيد سبيل اللغة المعثر . ومن ثم يتسنى للعربية أن تستقيم على وجهها ، وتستقر في الوجهة التي قصد اليها العربي ، فإنا نرى من خلال صنيعه ، ان الحركات في الأفعال التي هي الأبواب الستة ، تنظر إلى عهد صوتي كانت الحركة فيه تنطق حرفاً ، وهذه الحروف التي هي بمثابة الحركات ، تنظر إلى دلالات بعينها لا تتأدى إلا بهذا الحرف الشكلي . كما تقدم [١] في الكلام على الدور الثاني من تطور اللغة .

ثم في دور الاستقرار قصد العربي أن يثبت الافعال على صورة آلية ، فالماضي مفتوح العين أبداً ، والمضارع مكسور العين أبداً ، والأمر يتبع المضارع .

وما بقي من اختلاف الابواب التى قدرها الصرفيون ، ليست على الحقيقة إلا مثلا من عدم الاستقرار اللغوي ، ولو مهدت الظروف للغة السبيل لاستقرت على الوجه الذي نفرضه لها بلا ريب . ولذا نشهد في بعض الابواب انقراضاً أو تناقصاً ، كباب ورث فانه لم يحفظ من كلماته الصحيحة إلا ثلاث يجوز [٢] فيها الباب الرابع . ولقد تراءى للغويين شيء من هذا ، فقال [٣] ابو زيد الأنصاري (اذا جاوزت المشاهير من الأفعال فأنت بالخيار بين الضم والكسر) وقال [٤] الفراء (الأصل في المضارع الكسر) .

وصحة الأمر ان الاختلاف ، وعدم التساوق القائم في أفعال العربية الثلاثية ، لكونها أقدم ما عرف العربي ، وبضرورة انفصالها في عهد السذاجة . ثم اجتهد العربي في دور الاستقرار بازالته ، والقضاء عليه ، فصحح الماضي على الفتح وأمات ما عداه من الباب السادس ، وأما ما بقي من الابواب فهي تصريفية فقط ، كباب

---

(١) راجع ص ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٣ من المقدمة . فقد قررنا ان الحرف الواحد من الهجاء كان يختلف معناه باختلاف الصوت او الحركة . فالحرف الواحد بعدة اصوات يدل على عدة دلالات مختلفة .

(٢) راجع نزهة الطرف للميداني ص ٨

(٣) راجع مقدمة القاموس للفيروزابادي .

(٤) راجع مادة (أبى) من اللسان . وقد قص العلامة الرضي في شرح الشافية وكذلك الجار بردى اختلاف الصرفيين في اصالة باب نصر او باب ضرب فراجعه .

طَرِب وباب كَرُم ، يلجأ اليه لحاجات معنوية . وقصد تصحيح المضارع بالكسر ، واماتة باب نصر ، وبقية الابواب يلجأ اليها لأغراض من المعنى سنقصها في بحث الافعال من المقدمة . وقرر الباب الثالث فيما كان حلقي العين أو اللام كشرط ، وما وقع حلقياً وليس من هذا الباب فأثري .

ويؤكد هذا اطراد أبواب المزيد بالكسر ، إلا ما لا يتأتى الكسر فيه ، مما يدل على اختيار العربي للكسر كأصل .

وانما جنح إلى ما تقرر لأنه خضع لعقلية لغوية خطيرة ، كان ضروريًا معها أن يجهد بتصحيح ما سبق وضعه ، وأن لا يضع إلا على نهج منظم وسيأتي الكلام عليه في فصل (تعليق واستنتاج) .

ولنأخذ في وصل ما انقطع . قررنا ان العربية في هذا الدور ، كانت على شبه قريب من العبرية أي صوتية من بعض وجوهها ، ولنضرب مثلاً فيه فرض وفيه حقيقة :

اسم الفاعل : في هذا الدور كان على وزان (فاعيل) وكان يقال عليه ضاريب وقائيم وهكذا وان نص علماء العربية على أن وزان فاعيل ليس من أبنية العرب كما نبه[1] عليه الفيومي حيث قال (وزان فاعيل ليس من أبنية العرب فهو بمنزلة قابيل وهابيل) لأن الجماعة يعنون العربية الحاضرة ، ونحن كذلك قلنا ليس من أبنية العرب الباقية ، وانما يجيء في انفصالاته العديدة فليس بغريب عن العربية أبداً . وربما دل له كلمة (آمين) التى تمحل[2] لها اللغويون وجوهاً شتى ، وكان أقواها أن الفها اشباع عن الفتحة .

وفي الدور الأول من العهد اللفظي اختصر الى (فاعِل) و (فعِيل) ، وفي الدور الثاني اختصر إلى (فعِل) وفيه أيضاً خفف بالاسكان فقيل (فَعْل) .

---

(١) راجع المصباح ج ٢ص ١٠٥٥

(٢) راجع شرح معلقة عنترة للزوزني .

مثال تطور اسم الفاعل فى العربية :

(فاَعِيل) في الدور الثالث من العهد الصوتي

فاَعِل   فَعِيل في الدور الاول من العهد اللفظي

فَعِل   فى الدور الثانى من العهد اللفظي

هذا مثال من تطور اللهجة ، يوضح لنا منحى غامضاً من المناحي اللغوية ، قد خفيت على علماء اللغة ، واورثتهم شبهة بالغة ، إذ اثبتوا اختلاف الدلالات باختلاف هذه الصور الميزانية ، والحقيقة ان الاختلاف استنتاج محض من عرض الامثلة على كل وزان .

ولا اعني أن العربي كان يقصد الى اماتة فاعل وفعيل استغناء بفعل ، لو لم يكن الخروج من الجزيرة ، ولكن اقصـد أن جميعها تطورات عن فاعيل الممات ، الذي يدل على الذات المتصفة بالحدث ،

واليك مثالاً آخر اصح ، لان أمثلة من اصله الصوتي ، لا تزال محفوظة على قلة. (فاَعُول) صيغة مبالغة قديمة ، ترجع الى الدور الثالث من العهد الصوتي ، اخذت تنقرض من اللغة تدريجيا ، استغناء عنها بفَعُول ، بينما هي فى العبرية كثيرة جداً أو سائدة مما يؤكد رأينـا واختصرت الى (فَعُول) فى الدور الاول من العهد اللفظي ، والى (فَعُل) فى الدور الثاني . .

(فَاعُول) فى الدور الثالث من العهد الصوتي .

فَعُول فى الدور الاول من العهد اللفظي .

فَعُل فى الدور الثاني من العهد اللفظي .

ونقدر ان منه (يقُظ) الذي ذكر صاحب متن المقصود ، ان المراد منه المبالغة. وعليه فهو ينظر الى وجودين ،انتسب اليهما على تعاقب ، فكان يَقُوظ وكان ياقُوظ.

وخذ كذلك مثالا على (فَاعَال) فقد قالوا منه (خاتام) وقد ثبت[1] هـذا المثال مع كل الانفصالات التي تعاقبت عليه ، بحيث يكون خير مثال يمكننا اعتماده في تقرير النظرية . وهو يفهمنا بالوجـه الآخر ، مقدار تفاوت درجات الارتقـاء عند القبائل ، بالنسبة الى التطور العام .

فَاعَال - خَاتَام . في الدور الثالث من العهد الصوتي

خَتَام - فَعَال   فَاعَل-خَاتَم . فى الدور الاول من العهد اللفظي

فَعَل - خَتَم   . فى الدور الثاني من العهد اللفظي

(١) ذكر الزبيدى فى تاج العروس من (خ ت م) لغات في خاتم اليد وهى خاتام خاتَم

هذا المثال الذي نراه حافظاً لكل صور التطور ، وتلوينات الترقي . والذي ينبؤنا فى صراحة عن مقدار عمل التطور فى العربية ، الى حد ان بدت معه على خلاف كبير . واراني معنياً بهذا المثال على صورة خاصة ، لأنه يحقق الفكرة من كل أطرافها ، واذا درسناه بانصاف وتفهم ، عرفنا كيف نعلل الاختلاف القبَلي الجسيم ، وعرفنا الى ذلك مقدار العصور التي تكيفت فيهـا العربية حتى تمخضت عن لغة القرآن ، وحتى نزلت منزلتها من السموق اللغوي ، والاهاب القشيب والحلة البارعة .

وأظن بأن العربي في مثل هذا ، كان يرمي إلى إماتة الصوتي ولا يقصـد الى التكثير والتزيد .

ومن كلمات هذا الدور التى لا تزال محفوظة في معاجم اللغـة ، وهو (طومار) اسم للصحيفة ووزانه (فوعال) ، وسبب تخلفه مع عراقته الصوتية كما نظن هو انفراد القبيلة . فان من المعقول جداً بقاء قبائل لم يشملها التطور ، إما لعدم الاتصال أو لحداثة الارتقاء فان القبيلة في كيان المجتمع كالعضو كثيراً ما يبقى متخلفاً في وجود أدنى أو حافظاً لصورة من هذا الوجود ، بينما يكون الجسم كله قد تجاهله في وجوده الأرقى ، كالأذن في الانسان لها عضلات تجعل منهـا عضواً خاضعاً لتكييف الصوت ، ومع ذلك لا تقوم بعملها ، وكذلك الجفن الثالث في العين ، والزائدة في المعى لا عمل لها في الانسان على حين انها ضرورية جداً في حيوانات حية .

وبعد فهـذا البحث مهم من كل وجوهه ، ويكفي انه الإداة الوحيدة لتأريخ التفريخ اللغوي والتشعب المديد . على ان فشو أمثلته في عربية المعاجم لا نكر فيه ، ولا سبيل إلى تعليـله إلا من هذا الوجه وعلى هذا النحو فقط .

وزيادة فقد احتفظت العربية أيضاً بما هو أبلغ من هذا كله ، احتفظت بأمثـلة تقوم فيها التفاعلات ولما تستقر . وهي ترينا وجهاً من تطوير الصوتي وتؤكد النظرية

خَـتَـم خَـتَـم . خِيـتام خِيتام . خاتِيام خاتِـم الخ ويتضح لك من هذه التقسيمات ان الاصل البعيد خاتام وما وراءه تطور بتخفيف الحرف او بالتصحيف تكسرا فان خاتيام بلا ريب متكسر عن خَـتام او خيتام في منطق بعض القبائل .

بصورة لا تدع مجالاً للريبة . ومن هذه الأمثلة (نِيدُلان)[1] حفظ كذلك بالياء ، وحفظ أيضاً بالهمز (نِئدلان) وهذا الاختلاف الفت نظري ، إلى حقيقة خفية كان يتوسل بها العربي إلى ما يبغي من التصحيح . وعليه فهذا اللفظ كان في العهد الصوتي ينطق بالياء (نِيْدلان) على أنها الكسرة فقط . ولما خطت العربية خطوتها إلى التصحيح تعذر نقل (نِيدُلان) بالكسر فقط لما يترتب على ذلك من محذور الانتقال من الكسر الى الضم ففصل بينهما بساكن . وبما أن العربي طرد الهمزة في أحرف اللين عند التصحيح همز الياء .

وخذ مثلاً آخر (زِئبِر) يمثل وجهاً من التفاعل في مرحلة أرقى من (نِيدُلان) فانه حفظ بكسر المعجمتين ، وحفظ بكسر الاولى وضم الثانية أيضاً . ونحن حيال هذين الوجهين نظن بأن أصلها (زِيبر) ، وعند التصحيح في العهد اللفظي أبدلت الياء همزة ، وفي عهد أرقى نقل إلى (زِئبِر) بكسرهما اتباعاً وهو قانون شائع في الحركات كَنَخِر ومِنْخِر وفي الحروف كطُوبى وطِيبى .

ومن ثم ندرك أن وزن (زِيبُر) الصوتي (فِعُل) والياء هي الكسرة الممدودة فقط ، ومن الخطأ اذن ما عليه أصحاب المعاجم من عد (زئبر) رباعياً ووضعه في باب الزاي والهمزة ، وانما يجب أن يعتبر ثلاثياً مزيداً زيادة أثرية لا زيادة تصريفية وأن يوضع في باب الزاي والباء وما لي أذهب هنا وهناك وفي عرض القراآت وبحثها بالاسلوب العلمي ما هو مغن عن أن تطلب الدليل دونها

وأظن أن في هذا الدور الذي ينزل منزلة الشكل من الحلقة الرابعة ، تمائلت العربية الى الاعراب ، وانطبعت به كطابع راسخ .

ولكن كيف انتهت اليه وانطبعت على اعتباره . هذا ما يبدو عند الدرس أعقد من ذنب الضب كما يقولون . ويخفى إلى حد أن يعتبر ظاهرة غامضة لا تحل على وجه طبيعي . والاعراب على أي الاعتبارات يضع العربية في منزلة سامية من حيث الجانب

---

(١) راجع التصريف الملوكي لابن جني ص ١٠ والمبهج له أيضا .

اللغوي . بل سيظل الشاهد العظيم على مبلغ الصقل الذي أخذت به العربية . وعلى مبلغ العقلية التي تناولتها .

ولا كبير إذا قلت بأن العربية انفصلت بعد تمخضات و بلوغات طويلةواستوت في أكمل ما تكون لغة ، وهي في وجهي الاعراب والبنية ، أدق اللغات في ملابسة اللفظ للمعنى ملابسة حقيقية من كل الأقطار . وربما كان المثنى شاهداً لا يقبل التلدد ولا التردد بحال ، فنحن حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ، ندهش كثيراً وعلى وجه غير محدود للدقة العربية التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئاً كثاراً يشهد بدقة العربية كلفة ، ويشهد بمبلغ التسامي اللغوي في طبيعة العربي . ومع ان مميزات لغة العرب كثيرة على هذا المقدار ، وإلى درجة مدهشة . فان الإعراب من بينهـا أكثر ما يكون إحكاماً وعمقاً ، وا كثر ما يدعو إلى الدهشه . ولعل خفاء تعليله من أسباب الدهشـة المستمرة . وينبغي أن لا يفوتنا أن الاعراب من بين أشياء العربيـة استوى على وجه التمام ، واستقرّ على الوضع الأكمل ، بحيث نفى عنه الزوائد والبقايا الأثرية ، واتخذ وضعه التقني في العربيةوثبت كصبغة لازمة .

العهـــد اللفظى

الدور الأول

بالعهد اللفظي بلغت اللغة الشوط الاخـير من ترقي الهجة ، وان لم تستقر تماماً لانه لم ينه عمله فيها . ومعنى هذا ان اللغة اخذت به وعملت عليه ، ولكن لم يتسع الزمن والظرف لاخضاع اللغة برمتها لما يقتضيه قانون اللفظية ، فبقيت صوتية فى انحاء وظلت قلقة فى موازين ، غير ان هذا لا يمنعنا من تقرير ان اللغة لم تعد فى حاجة الى نحو جديد من الاصلاح ، فلقد تمت فيها كل عناصر التهذيب ولـكن لم تبلغ بعدُ ولم يكمل نضجها على الوجه السوي .

---

(١) راجع تعليل الاعراب فى القسم الثالث من المقدمة .

ومهما يكن من اثر مبارحة الجزيرة بهـذه السرعة ، فى ايقاف عمل الاصلاح اللغوي ، وفى جـذر مد التهذيب ، فلا ننسى أثر اللغويين أيضاً الذين اجتهدوا فى الحصر والضبط فقط ، حتى خُيِّل من صنعيهم انها فى منزلة من الوحي كما كان خيالهم. فعملوا عملاً لا يعنيها بالذات وانما كان تعليمياً اكثر مما هو شيء آخر . ولنتجاوز هذا الحديث الآن ، لنستعرض عمل العربي فى هـذا العهد الذي يستوي مع الحلقة الخامسة ، ويقع فيها الدوران اللفظيان ، وان كان الدور الاول مراحاً لنشاط العربي بصورة اكثر عمـلاً وجهداً ، واكثر انتاجاً وتصحيحاً كما لم يكن الثاني متخلفاً لان العربي اراده للاستثراء الا فيما تحس الحاجة به الى الامانة .

فى هذا الدور تقع كثرة الموازين التى تصدر عنها اللغة فى اشتقاقاتها ،ولقد كانت عملية التصحيح فيه جسيمة جداً مما يشعر بطول زمنه ، ويكفي ان نعرف انه حدث انقلابي يشمل اللغة من مناحيها ، ويستغرق اللغة فى متفرق شعبها الا فيما ندر وقل . ويتبين لك كل هذا في بحث الموازين بحيث لا يصعب معه بعد ذلك تعيين التاريخ للاشتقاق . وكذلك صححت اكثر الموازين والمفردات عليها من مثل . .

(فاعل . فعيل) من (فاعيل) . .

و (فَعُول) من (فاعول) . .

و (فعَال) من (فيعال) . .

و (فُعال) من (فُوعال) . .

و (فاعَل) من (فاعال) . .

ولسنا فى حاجة الى الاكثـار من سرد الامثلة ، والذهاب مذهب التهويل ، لان اللغة التي فى المعاجم تخضع فى اكثرها الى ما قضى به الدور الاول من اللفظية. وتظهر في هذه المسحة وكأنها المسحة التي تمثلتها العربية غاية . فلم تعَدُها الا في ارتقاآت حدثت في الدور الثاني ، لم تكن في ذوق العربي وفي مفهومه الاتنويعاً فقط

الدور الثاني

لم تكن الغاية من هـذا الدور ، تمثيل انقلاب في شكل اللغة او في كيانها ، وانما

هو يعبر عن اغراض تنويعية محضة . وعلى تقدير انه يراد لشيء من التغيير فلم يجر الى انقلاب ذي اثر عام ، وانما عمل الى جانب الدور الاول غير محاول الانتقاض او الاماتة . .

وكيفما كان الاثر الذي تركه في اللغة ، والغرض الذي في قصد العربي منه ، فلا يسعنا الا ان نعده دوراً تكميلياً وان لم تكن ظواهره على شي كبير من الوضوح والبروز في بناء اللغة . وخصوصاً اذا نزّلنا الاسباب التى نظن انهـا اضعفت من عمله منزلة الاعتبار . وقد يقوي تأثير الاسباب التى نظنها بقاء العربية في نواح غير قعيدة ، أو على غير تماسـك بل يبدو قلقها للوهلة الاولى من النظار العلمي . كهذا الاختلاف البين في ابواب الثلاثي ، يقابله الاطراد الموزون في المزيدات . ونحن وان كنا نقرر وسبق لنا ايضاً التقرير ، بان الابواب تنظر في الواقـع الى دلالات بعينها كانت لا تتأدى الا بهذا الحرف على هذا الشكل . لا نتوقف عن القول بانها قلقة ، لان الدلالات المذكورة تعتمد على الشكل الحرفي قبـل اقتعاد الكلمة في معناها ، وأما بعده فتصير الكلمة ذات دلالة غير منفصلة ، كما اطلقت فهم منها معناها .

واليك الماضي فقد تقرر في وزان (فَعَل) مطلقاً (الا لغاية معنوية ليست في ذات الدلالة وجوهرها بل تدخل في كيفها فقط) بينما لم تستقر في المضـارع ابداً . وكذلك في المصادر كما سيأتي بسطه . وهـذا النظر ينفصل عن اللغة وهى قلقة على معنى انها لم تستقر استقراراً تاماً بداعي الخروج من الجزيرة ، وذواء عمل التنقيح اللغوي الذي كانت بقاياه تتمثل في الاسواق الموسميـة . وكانت ذات خطر ولكن لم تكن الا صورة مصغرة عما كان العربي يلجأ اليه كوسيلة للاصلاح المنشود .

وهذه الاسواق التى كانت تقام لاغراض ، مادية تحتكم بمعنوية قوية من القومية والدين ، تتجلى واضحة في التفاهم على اشـتراك الالهة وفي نسيئة الشهور . يمكن أن ترينا وجهاً من العمل اللغوي للاصلاح . ومن ثم لا نرى شيوع الاصلاح اللغوي صعباً . وايضاً يكشف عن كيف تكون الافتراضات المتقدمة في بحثنا عن الرقي في مادة اللغة وفي اللهجة معقولة ولها مجاز واسع للتسليم . فلا جرم ان لا نعد هذا الدور الذي يقع من الحلقة الخامسة في ختامها ، انقلاباً كبقية الادوار في ترقي اللهجة :

ومن الشرح السابق نكون قد كونا فكرة عن عمل هذا الدور الذي يتلخص في الانتقال بكل حرف الى حركة مع الاحتفاظ بالتأدية نفسها او مع اعتبار تغيير بسيط . والا فبماذا يمكن تعليل مجيء (فَارِح وفَرِح) اسمي فاعل من فرح ، على قلة فارح وكثرة فرح تعليلاً علمياً معتبراً . واليك امثلة عن هذا الدور في الموازين .

(فَعِل) من (فاعل او فعيل) كفارح وفرح ..

(فَعُل) من (فعُول) كيقظ ويقوظ

(فَعَل) من (فاعَل) او (فعَال) كملَك ومَلاك ..

(فعْلل) من (فعْليل) كغرْنِق[1] وغرنيق ..

(افعَلّ) من (افعَالّ) كأحمر وأحمار ..

وجدير بنا ان نستفيد منه بقصد التنويع في وضعنا الجديد ، وما نكون قد افترينا على العربية فرى من اباطيل ، وانما سايرنا النهج الذي انتهجته في إبان عملها النشوئي . وقد كان في جملة ما ادي اليه هذا الدور ، التخفيف بالاسكان حتى كان قانوناً شائعاً عند العرب . ومن كثرته فيما كان الثاني حرف حلق عد قياسياً ..

وهذا الدور كان به ختام اللغة، ولا نعني بهذا اللفظ مايفهم منه، لأن اللغة وقفت ولم تنته ، وإنما نعني أن قد كان لهـا انجذار مفاجئ أوقف مافيها من عناصر فعالة. ولو ألقينا نظرة إلى اللغة من وراء هذا الدور ، لنرى ماهي الصفة العامة للارتقاء لرأينا مثلا من الرقي الواضح فى شتى نواحيه.بيد أن قد بقي شيء من مظاهر الطفولية اجتهدت العربيـة بالتخلص منه ، ولـكن بقي على بعض صوره ، وهو التقاء السا كنين . فإن العربية تخلصت منه على كل صوره ، ماعدا التقاء السا كنين على حده، فقد بقي فى اللغة الشائعة العامة على انه بدت طلائع ترمي إلى التخلص منه أيضاً عنـد قبائل غالت فى

(١) الغرنق من وضعنا الجديد وقد وقع في بيت من قصيدة لنا (جمعت سجاياك النبيلة طرفة من كل منتخب فيالك غرنق) ترجمة لكلمة (dimegod) الانجليزية بمعني نصف آله أو بطل . وكذلك غرنيق او يخص بآلهـة الاشياء كمثل (muse) آله الشعر وهكذا . ووجه الوضع استعمال العرب اللفظ بهذا المعني ومنه قولهم (الغرانيق العلى) ..

التخلص من التقاء الساكنين، حتى قرئ[1] قوله تعالى (ولا الضألّين) بالهمز على لغة من جد في التخلص من التقاء الساكنين.

تأريخ النظرية :

قد يكون عجيباً وايم الله أن أسقط بعد أن أعددت أبحاثي فى اللهجة على صورتها للطبع، على موضوع للقاضي الفاضل الشيخ (مصطفى الغلاييني)، له هذا التقدير وقد جمع عناصر الفكرة وإن كان على غموض وفي غير توسعة، لأن الشيخ أرسله يومذاك خاطرة يدعو الأدباء واللغويين إلى درسها. ولقد بقيت صرخة في ورقة لاتجاوز حروفها مع أنها كانت جديرة جداً بالتوسع والبحث المشبع، ونحن تخليداً للجهد نلخص الفكرة عن مجلة الكشاف[2].

(الحركات فى العربية أحرف مد، في عهد اللغــة القديم. فالمضموم والمفتوح والمكسور كان يعتمد على حرف من أحرف المد. وبعد فقد تهذبت تبعاً لسنة تغلب القوي على الضعيف، وأقوى دليل أن العبرية لم تزل تعتمد على أحرف المد في حين أن هذه الألفاظ قد فقدت الحروف في العربية. ومن هذا يمكننا تعليل اختلاف عين الفعل في الأفعال الثلاثية. ونرى أن العربية فقدت كل أحرف المد وما يكن من ذلك فيها فهو زائد أو منقلب بضرب من الاعلال فألف قال أصلها الواو. ونرى أن ماجاء على وزن فَعِل كان على فعيل وما على (فَعُل) أصله (فعُول) كبئس وبئيس، ويؤس ويؤوس. والخلاصة.

(١) الحركات أحرف مد في عهد اللغة القديم ثم سقطت وقام مقامها أحرف صغيرة.

(٢) الحركات فرع وأحرف المد الساقطة هي الأصل.

(٣) لاممدود أصلية في اللغة والمد الموجود منقلب عن أصــل (أوهو زائد.)

ومن هذا التلخيص نقف على أن الشيخ، لم يجاوز في تقديرنا الدور الأول من

---

(١) راجع تفسير البيضاوى في الفاتحة.

(٢) راجع مجلة الكشاف البيروتية. س (١) عد (٢) ص (١٤٠)

المهد اللفظي، وكأنه أراد بحث ماهو معجمي فقط دون مجاوزة في التقدير. وضروري أن نأتي هنا بلمحة عن تاريخ انبعاث هذه الفكرة عند اللغويين وكيف انتشأت.

نرى ونحن على حق، بأن الخليل رحمه الله كان أول من أمسك منها بطرف، وأخال من تسميته الحركات أن الفكرة تجلت له واضحة، فإن من يسمي الضمة واواً صغيرة والكسرة ياء صغيرة والفتحة ألفاً صغيرة لاشك هو واقف على الفكرة بجلاء. وليس هذا فقط فإن مما يحدثنا التاريخ عن الخليل أنه غير صنيع أبي الأسود الدؤلي في الاستعانة بالنقط للدلالة على الحركات التي هي الأحرف المحذوفة من الكلمة. فاختصر من الألف الفتحة، ومن الواو الضمة، ومن الياء الكسرة. ولقد وضحت جيداً عند اللغويين من بعد حتى قال الرازي (الحركات ابعاض المصوتات).

وجاء السكاكي فتحدث عنها باطمئنان ودقة وفهم صحيح. وانظره كيف يقول[1] في الكلام على اسم الآلة (ويأتي على مفعال ومفعلة ومفعل وعندي أن مفعالا هو الأصل وما سواه منقوص منه بعوض وبغير عوض) وأراه قد وقف على الفكرة تماماً وإن كان على غموض، فلم تتوسع عنده ولا توسع بها من أتى بعده.

ولقد حدثني الشيخ بأنه ذاكر بالفكرة المرحوم (احمد زكي باشا) فاستصوبها جداً. وهذا مايدعونا إلى عده في جملة من تناولوا الفكرة بالدرس.

تطور اللغـــة

نقصد هنا أن نرقب مقدار المسافات التي عملها التطور في اللغة على مختلف الأنحاء سواء في الاعراب والاعلال والموازين والاشتقاق والأفعال والمصادر.

هاتيك المسافات الواسعة التي بقيت واضحـة في منطق القبائل الشتى، ومنطق القبيلة الواحدة. حتى ذهل من كثرتها علماء اللغة جميعاً، وراحوا في تعليلها على مذاهب متباينة وابتدعوا لها وجوهاً من الاختلاف القبلي، وتداخـل اللغات، والضرائر، والشذوذ، والغلط.

---

(١) راجع المفتاح ص ٢٧

والواقع أن كل هذه التقديرات ليست إلا حيلة المتحيل ، وأما هي من الوجه الحق فليست بأكثر من كونها أثراً من آثار التطور العام الذي تخضع له كل لغة في سيرها الارتقائي ،وتبقى هذه البواقي والمتخلفات لأسباب مكانية وظرفية ، أو لأن التطور لم يتم دورته بما يكفي لأن يأتي على كل موائل الوجود المهضوم .

والشيء الذي لا يمكن أبداً الشك فيه ، ان العربية لم تستقر لعهد القرآن على وجه نهائي ، وان كانت قد أخذت فيه بقوة وعنف . وفي الحق ان القرآن كان سبباً فعالاً لتهيئة هذا الاستقرار ، واعداده على الوجه الأكمل . وليس كذلك فحسب بل أسرع أيضاً في تحقيق الاستقرار وهضم المتخلفات ، التى تمثل مع الموجود الأرقى وضعاً قلقاً جداً وشاذاً أيضاً . وذاك لأنهم اعتبروه آية البيان في العربية ، فاحتذوه في كثير من التقليد وأخذوا أنفسهم به أخذاً عنيفاً ، وفي غير اقتصاد ، وانظر أثره في (علي ابن أبي طالب) أعظم هبة بيانية عرفتها العربية ، كيف ينفعل به انفعالاً يكاد يكون احتذاء صرفاً وان كان على مميزات وشخصية . .

والأمر الطريف انك واجد تطور العربية ، كائناً في حلقات محفوظة النسب ومقدرة المنازل على صورة خالية من الفراغات ، حتى التفاعل والمغالبة التى يثيرها الارتقاء وتنتهي بغلبة الأصلح . وهذا شيء لم ينتبه اليه حتى اليوم ، كل دارسي اللغة على وجه العموم ، ولم يعيروه شيئاً من اهتمامهم ، بينما لحظه[1] علماء الكوفة في كلمات قليلة (كأيمن)[2] جمع يمين ، اختصر أو تطور فقيل (ايم) بحذف الهمزة والنون ، ثم اختصر كذلك فقيل (مُ) و (مِ) . ووقف هذا الدرس عندها على مرادة أحبطت اعتباره بصورة مطلقة . .

وسترى حينما نقص عليك حكايته ، انه عمل في المادة كما عمل في الصورة ، وكان

---

(١) يمتاز نحاة الكوفة بفهم العربية فهماً حقيقيا لا يستند الى تكهنات تعملية . وفلسفيات عندية تملى على العربية ولا تأخذ منها . ومن ثم كان المذهب الكوفي أقرب لتصوير العربية على الوجه الواقعي . وان كان يضعف في الجانب التعليلي . على ان الحظوة التى صادفها المذهب البصري حالت دون الاستفادة من المذهب الكوفي . ومن اراده فعليه بكتاب الانصاف لأبي البركات ابن الانباري .

(٢) راجع خاتمة المصباح المنير للفيومى

أهم عمله في حروف الاعلال . وقد تكلمنا على نوع من اللغة وقع فيه هذا التطور ، ومثلناه هناك تمثيلاً وافياً ، وأعني به انتقال العربية من الصوتية إلى اللفظية ، ورأينا هناك السير التطوري ومقدار عمله ، واستطعنا أن نسوق أمثولة فذة يتجلى فيها أسلوب الارتقاء واضحاً . وهي (نِيدُلان) و (زِنْبِر) وقدرنا أن (زنبر) يمثل تمام العمل في (نيدلان) . وربما لم يكن تكرار الحديث عنها معيباً لأنه عدا خطورتها يظهر فيها سير التطور واضحاً ويعز أن نجد مثلها في العربية المحررة (عربية المعاجم) .

والآن نقتصر على إيراد أمثولات شتى ، يظهر فيها مقدار ما عرى العربية من تطور بليغ ، انتقل بها من وضع إلى وضع آخر يبعد عنه كثيراً .

أمثولة تطور الميزان :

قال العرب (نِيدُلان) و (نِئدُلان) و (زِنْبُر) و (زِنْبِر) ..

هذه كلمات وردت في متن اللغة كذلك ، وهي تنتظم عندنا في تطورات حقيقية . وذلك لأن (نيدلان) كلمة جارية على وزن صوتي ممات ، وهو (فِعُلان) والياء فيه هي الكسرة الممدودة .

وهذا الوزان اميت في عهد البلوغ اللغوي ، الذي قضي باستثقال الانتقال من الكسر إلى الضم . وارتقت الكلمات الجارية عليه ، بصور من الارتقاء ، ولكن بقيت كلمة تحتفظ بشكل منه ، رغم انه دخلها عمل أولي مما يقضي به التطور . ولا يمكننا أن نحدد ظروفها التي أوجبت بقاءها ، ولكن نعرف انها بقيت وكفى ، وربما كانت الصدفة ، وربما كان الوضع في موضوع كثرت كلماته فأهملت ، وربما كان شيئاً آخر ، على ان هذا لا يهمنا كثيراً .

والعمل الأولي الذي دخلها هو قلب الياء الصوتية همزة ، وكأن هذا بعد خضوع العربية لمنطق عدم الانتقال من الكسر إلى الضم ، فأبقوا على الياء بقلبها همزة تخلصاً من المحذور . فقالوا (نئدلان) ووقف فيها العمل الارتقائي عند هذا الحد ، مع ان له بقية ظهرت في (زنبر) التي تعتبر أرقى بمرحلة واحدة ، وقد أنهى فيها التطور اللغوي عمله . وذلك لأن (زنبر) في تقديرنا أصلها (زِيبُر) جارية على وزان اميت ،

وهو (فِعُل) والياء انما هي الكسرة الممدودة ، فدخلها الإبدال بالهمزة فقيل (زِئبُر) ثم دخلها الاتباع بالحركة فقيل (زِئبِر) .

ولا يؤخذ علينا افتراض واثبات أوزان كمثل (فِعُل وفِعُلان) . لانهما ليست افتراضاً بل بقي في العربية ما يدل على انها كانت ، ولذلك قيل ليس في كلام العرب (فِعُل) الا (حِبُك) . ولقد أبعد ابن جني حينما خرجه من باب تداخل اللغات ، كما هي العادة فيما خفي عليهم وجه تعليله ، اعتماداً على انه جاء على وجهين وهما (حِبِك) و (حُبُك) . وشرح هذا المثال عندنا ، ان أصله (حِبُك) ولما قضت العربيـة باستثقال هذا البناء واماتته ، نقلوا كلماته بأحد وجهين ، إما باتباع الفـاء للعين ، وإما باتباع العين للفاء . ولما كان الاتباع في الضم قليلاً . نظن بأن العربية قصدت ان تستقر عليها بالكسر .

وهذا الحرف بصوره التي نقلت الينا ، يرينا مثلاً طريفاً جداً ونادراً من طرق تطوير اللغة ، والانتقال بالكلمات التى هي على أوزان مماتة . وبالجملة فهو يقضي ككل أمثـلة اللغة المحفوظة ، بأن الاتباع ترك أكبر الآثار . وكان قانون تطور العربيـة وارتقائها في الجملة . ولله در السكاكي فلقد انقدح في ذهنه الوقاد المنتج وجه سري مما تقرر فقال[1] (لكن الجمع بين الكسر والضم لازماً حيث كان ينبو الطبع عنـه فأهمل) لاحظ تعبيره باهمل ، الذي يقضي بأنه قد كان . فما كان رحمه الله يراه فرضاً بل حقيقة لغوية واقعة .

والخلاصة ان عمل الارتقاء يبدو في هذه الامثوله تام الحلقات ، بحيث يجعلنـا ندرك كيف كانت اللغة تتطور آخذة مأخذاً موزوناً . والأمور التى يمكننا أن نستفيدها من هذه الامثولة على وجهين :

(١) نسبة ارتقاء القبائل .

(٢) الوقوف على تأريخ القوانين التى خضعت لها اللغة .

أما الاول : فان القبيلة التى تنطق (نِيذُلان) متخلفة عن التى تنطق بهـا (نِئذُلان) والكلمة من حيث هي متخلفة . وكذلك القبيلة التى تقول (زِئبُر) متخلفة

---

(١) راجع المفتاح ص (١٧)

عن القبيلة التي تنطق بها (زِئْبِر) والكلمة من حيث هي وافية الارتقـاء ، كاملة التطور .

بيد انه يبقى تقصير وقع فيه الرواة القدامى ، وهو عدم تعيين القبائل التي تنطق بها هكذا على وجوه مختلفـة ، الأمر الذي كنا بالاستناد إلى هذا النظر نجعل منه ميزاناً للتقدم القَبَلي ومقدار التخلف .

وفوائد هذا عدا التاريخ اللغوي ، الوقوف على ان الاختلاف مرجعه إلى عمل التطور ، وليس إلى الانفراد اللغوي مما كان يتوهم معه وجود لغات في الجزيرة ، تنفعل كل لغة منها على حدة ، بينما الآن يتجه النظر إلى أن اللغـة خضعت لظروف واحدة ، وتطورات متساوقة ، واتجاهات تتقارب كثيراً وتتخلف أحياناً .

وأما الثاني : فالذي يستنتج أمور .

(١) ان قانون منع الانتقال من الكسر إلى الضم أقدم من تمام تحلل اللغـة من الصوتية .

(٢) ان ابدال حرف اللين بالهمزة تخلصاً من الصوتية . وليد الضرورة وهو متأخر عن قانون منع الانتقال المذكور

(٣) ان قانون الاتباع بالحركة متأخر جداً .

وأرى بأنك ستقدر هذا الأخذ قدره ، وترى فيه ما هو خليق بالعناية البالغـة ، وخصوصاً حينما نفيض كذلك على أكثر الاختلافات في اللغة .

أمثولة تطور الاعلال :

قال العرب (عَوْيَة) و (كَيّ) و (سيق) بالاشمام الى الضم و (سِيق) بالكسرة و (صَوْمَة) و (صَامَة) .

اقدم هذه الامثلة (عوية) فهي متخلفة تخلفاً عقب بانفصـالات طويلة ، مما يدعو بقاؤها إلى التساؤل الشديد · وتقدير الظروف التي حفظتها في وجودها الأقدم عسير . على ان للباحث أن يذهب مع الاحتمال مذاهب متباينـة ، ولكن ليس من شأننا الآن بيان أسباب بقائها . ويأتي بعدها في التخلف (سيق) بالاشمام إلى الضم،

وذلك لأنه يحتفظ بعمل ارتقائي أولي ، تقوم فيه مغالبة شـديدة تنتهي في المنطق العربي إلى الكسر المحض . وعليه فالاشمام في مثله ليس كما توهم (عبدالقاهر الجرجاني) في باب مخارج الحروف من شرح كتاب الايضاح ، من انه حركة كانت في اللسان العربي ، وانما الاشمام انتقال وتطور لم يتم أو يتكامل . ومعناه ان (سيق) أصلها (سُوِق) فاتبعت الواو للحركة التى هي الكسرة فقلبت ياء ، وفي نطق الضمة قبل الياء مع خفة التكلم اشمام بلا ريب .

ومن ثم يظهر لك أن الاشمام ، اعلال بين ايدي التطور تم في اتباع حركة القاف للياء فلم يتم الاعلال كما يتوهم دفعة واحـدة ، بل عاش في أطوار من الترقي بحسب الدوافع الفاعلة ، فاذا كان المعل خاضعاً لاكثر من عمل ، فمعني هـذا انه عاش في اكثر من دور ، فمثلا (سِيْق) مرت في ثلاثة ادوار حتى بلغت ما هي عليـه ، فاول ما نطق بها (سُوِق) ثم اعلت باتباع الواو للحركة فقيل (سُيْق) ثم اعلت باتباع حركة الفاء لحركة العين فقيل (سِيْق) . وعليه استقرت اذ لا مطلب وراء ما وقفت عنده. ولا يستبعد شيء ممـا نجيء به ، بل لا مجال للاستبعاد فان حفظ العربية لعهدها حرفين [١] من المعتل بالواو في صيغة (مفعول) ثبتت لها هـذه الظاهرة ، وهما (مدووف . مصوون) وكثيراً من المعتل بالياء في لغـة تميم نحو (مكيول ومبيوع ومخيوط ومصيود) وايضـاً [٢] مقودة في مقادة ومثوبة في مثابة ومنومة ومطيبة ومهيج . دليل واضح على ما نفترضه افتراضاً يصور الواقع في غير تنكب .

ويجيء بعدها (صامة في صومة) وهـذه غاية جاءت دونها العربية المحررة ، وارتقاء قعدت اللغة عنه ، وذلك لان مثـل (صومة) يعتبر في العربية الشائعة كامل الاعلال تام التهذيب ، فمجيء (صامة) فيها . ارتقاء جديد بدأ ووقف دون أن يؤثر اثراً الا قليلاً . والذي يستنتج من هذا امور .

(١) ان المعل كان على التصحيح في اقدم عهود اللغـة . لا كما ظن النحاة من ان ما قبل الاعلال افتراض تعليمي

---

(١) راجع خاتمة المصباح ص ١٠٩٠

(٢) راجع الفرائد ص ١٣ والخصائص لابن جني ومقدمة المبهج له .

(٢) ان قانون الاتباع هو قانون الاعلال الصحيح .

(٣) ان الاشمام الى الضم اعلال اولي وليس بحركة زائدة اميتت .

(٤) ان الاتباع يعمل في الاعلال على التناسب ولو لادني ملابسة .

امثولة تطور الافعال :

قال العرب (دَرَاكِ) و (هَيْهَاتَ) و (يَرَاعِ) و (يَنْبُوعِ) و (ولهِ يوْهَلِ) و (وَثِقَ يثِقَ) . .

نظن بان اقدم هذه الكلمات التي تأتلف منها الامثولة ، في سلم الارتقاء (دراك) وهي في نظرنا تعبر عن فعل الامر في أقصى ما كانت العربية طفولية ، ولا ينافيه ما صرحت به الجماعة من انها اسم فعل أمر أو خالفة،لان ملحظهم منصب على اعتبارها الآن في اللغة الشاهدة ولا ريب في أنها بهذا النظر كذلك ، أعني ليست جارية على مذهب فعل الأمر وصورته ،وان كان لها دلالته ومعناه،ولما كانت كذلك ظن الجماعة ظناً قريباً بانها اسماء الأفعال ، خصوصاً وهم لا يفرضون للعربية تطوراً ينتظم في هذا التفاوت ، ولو سئلوا عن سر وجودها لاصمتوا عن الجواب الجازم ، اذ كانت مهمتهم قائمة على جمع اكثر ما يمكن جمعه وفهمه أي أخذ صفة عامة له دون ما تعليل ولا تحليل. وأما اذا اعتمدنا هذا النظر الذي نأخذ به ، رأيت الجواب سهلاً مواتياً في غير تكلفة لا غبة بل جارياً مجري طبيعة كل شيء ، حين لا يكون شيئاً سوى أن هذه الكلمة وامثالها ، بقايا تمثل الفعل الأمري قبل أن يتهذب تمام التهذيب على الشكل الذي انتهت به العربية . وكذلك (هيهات) و (وَيْ) و بقيت اسماء الأفعال . ويجيء بعدها (يراع) و (ينبوع) الحرفان اللذان يعبران عن صورة الأفعال في العهد الصوتي ، (فيراع) فعل ماضي متخلف و (ينبوع) فعل مضارع متخلف أيضاً ، ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان ، مما يدل على أن ترتيب الافعال على وضع مهذب ، سبق تمام التحلل من الصوتية .

ولكن بقيت الأختلافات بين أبواب الماضي والمضارع ، ونحن ظننا وابدينا هذا الظن ، بأن هذه الأبواب أيضاً اثرية ، والواقع أن اختلافها كان له مفهوم في طبع

العرب الاقدمين ، لأن شكلية الحروف كان لها تأثير في تمام المعنى ، ومن ثم نشأت هذه الأبواب، فاذن لم تكن مقصودة في الواقع . وبهذا لما ادرك العربية عهد الاصلاح والتهذيب ، حاولت التخلص من الأختلاف المذكور ، الذي لم يعد له معنى في الوضع الأخير ، وقد نجحت كثيراً في أبواب ، وعلى صورة محدودة في أبواب اخري، وكان اكبر نجاحها في باب (فَعُل يَفعِل) وباب (فَعِل يفعُل) وباب (فَعِل يفعِل) أما الأولان فقد نجحت فيهما نجاحاً مطلقاً ، لأن محاولة التخلص كانت اقدم ، وعوامل اماتتهما على اعتبار اقوى . وبصورة تكاد تكون مطلقة في الثالث ، وبقي باب رابع لم يتأثر كثيراً بالتهذيب ولكن لا ينكر انه أثر فيه وهو باب (فعَل يفعُل) .

وعليه فقد كان للفعل بعد هذا ، ارتقاء آخر آخذ سبيل التحرر من قيود الاختلاف ، الذي سببته ظروف مضى أو انها . واذن (فوهل يوهل) تلي ما قدمنا ، ويظهر فيها عمل التطور بنقلها الى باب (فَعِل يفْعَل) واعتبارها أصلية فيه ، وعلى قلة وشاذة في باب (فعِل يفعِل) وهذا المثال متخلف من وجهين . .

(١) التصحيح مع موجب الاعلال .

(٢) دورانها بين بابي طرب وحسب .

ويظهر من هذا أن العربي فكر بتوحيد الأبواب قبل تمام عمل الاعلال ، ولذا نضع (وثِق يثِق) في الدرجة بعدها ارتقاء ، وذلك لانها جاءت من باب ممات مع الاعلال الذي هو تمام العمل الأرتقائي . وهذا تشهد له عبارة أثرية احتفظ بها الفيومي في المصباح قال [1] .

(ان كان أي الماضي على فعل بالكسر فالمضارع بالفتح نحو يعلم ويشرب وشذ من ذلك أفعال فجاءت بالفتح على القياس وبالكسر شذوذاً وهي يحسب وييبس وييئس وينعم وشذ أيضاً افعال معتلة سلمت من الحذف فجاءت بالوجهين الفتح على القياس والكسر في لغة عقيل وهي بوغر صدره إذا امتلأ غيظاً ووله يوله ويوله وولغ يولغ ويولغ ووجل يوجل ويوجل ووهل يوهل ويوهل وشذ من المعتل ايضاً افعال حذفت فا آنها فجاءت بالكسر وهي ومق يمق ووفق امره يفق ووهن يهن أي ضعف

---

(١) راجع المصباح ج ٢ ص ١٠٥٦

في لغة ووثق يثق وورع يرع وودم يرم وورث يرث ووري الزند يري في لغـة وولي بلي ووعم يعم بمعنى نعم وورى المخ يري اذا اكتنز) ويزيدنا في موضع [١] آخر (بان كسر المضارع في (فعِل) لغة عليا مضر والفتح لغة سفلاها) .

هاتان العبارتان نسقط فيهما على تصديق لـكل مارأيناه وجئنا به ، وبيانه أن قوله كل ماهو من باب (فَعِل) فمضارعه من (يفعِل) عند عليا مضر ، ومن (يفْعَل) عند سفلاها، ووغر واخواتها فيمنطق جمهور العرب بفتح المضارع وفى لغة عقيل بالكسر وشذ اى قل في منطق العرب (ومق) وأخواتها ثم قوله (على القياس) ، ينشر تحت نظرنا تسلسلا صحيحاً للارتقاء المفروض .

والذي يستنتج من هذا أمور .

(١) أن الصور التي عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور إميتت وآخرها ارتقاء الأمر ، ثم استقر في أنه يتبع المضارع .

(٢) أن تهذيب الأفعال سبق التحلل من الصوتية.

(٣) أن توحيد أبواب الأفعال متأخر عن التحلل من الصوتية .

(٤) أن الاعلال متأخر في الطبع العربي عن توحيـد أبواب الأفعال ، ويكون أيضاً آخر أعمال التطور فيما وقع فيه .

امثولة تطور اسم الفاعل

إذا أخذت اسم الفاعل وصيغه ، ترى الجماعة على اختلاف وتوزع في أي صيغه قياسية ، فما استقر عندهم الرأي على شيء ، وإنـما بقي الخلاف كما بدأ بالغاً مبالغه فابن مالك وابن الحاجب يذهبان إلى مجيئه من الفعل مطلقاً، وخالف ابن عصفور فيما كان على (فعُل وفعِل) الخ[٢].

وربما استطعت أن تدرس فى هذا الاختلاف كيف كانت دراسة العربية عنـد الجهرة وكيف بلغت عند البعض على وجه الدقة وإن كان لم يظهر على وجـه التعليل

---

(١) راجع المصباح ص ١٠٥٩

(٢) راجعه مبسوطاً في خاتمة المصباح ج ٢ ص ١٠٦٦

الصحيح . وأما رأينا فيـه فقد أبديناه بصورة جلية في بحث اللهجة الذي خرجنا منـه باستواء فاعل وفعيل وفعِل وفعَل في أصل الدلالة ، وإنها ارتقاآت عن (فاعيل) الممات، قصد ببعضها التنويع وبالبعض الآخر الأماتة . ومن هذا ترى أن لامعنى لاختلاف الأولين لأنك بهذا الاعتبار تعلم أنها تطورات تفيد إفادة واحدة ، وقد قصد العربي أن يعرض بها على كل المواد فى اللغة ولكن حال دون ذلك،مابينا من أسباب مبارحة الجزيرة، وانتقال اللغة انتقالا حرجاً على أيدي النحويين،وهذا الأمر أعني أمر الاكتفاء والاستغناء في اللغات ، لاسبيل إلى الطعن فيه فقد قدره اللغويون الاولون أيضاً فيما اتضح لهم،قالوا فى المصدر من فعل المضعف أن العرب استغنوا في بعضه بأسماء وقعت موقع المصادر كما فى وصاة مكان توصية وزكاة مكان تزكية ، وصلاة مكان تصلية .

وإذا اتضح لك هذا الأمر ، علمت أن لافائدة أبداً لما أطالوا به فى بحث اسم الفاعل من الثلاثي المجرد . لأن الخلاف قائم على اعتبار خاطئ، والذي ينبغي اعتماده في هذا المقام هو أن هذه الأوزان تتوافق فى العربية الأثرية على معان واحدة، وان ما يبدو لنا فيها من وجه للخلاف فقد جاء من عدم تحقق وجـه الوضع عليها ، وأما ورودها من مواد خاصة فقد كان بفعل التناقص المستمر . وجملة الموضوع أن العربي قصد أن يطرد زنة (فاعل) في كل ثلاثي ، مجرد من غير نظر إلى الأبواب .

امثولة تطور الصوتية :

يستوعب فراغاً عظيما من العربية ، الاختلاف القائم على الورود بأحرف المد أو بحركات من جنسها، ولقد تقدمنا ببيان أنها انفصالات وتطورات في الحقيقة ، وليس كما وهم الجماعـة في شأنها ، وإنها ناشئة عن اتباع الحركة أو أنها لغات ، لأن نظرهم يعتمد الحركة أصلا ، والأمثلة على هذا كثيرة جداً نظراً لكثرة المتخلفات في العربية ولنأخذ كلمة (نِصَال) مثلا ، فمن يقف بالروم ينطق بها بأثر حركة على الشفتين، ووردت (نِيْصَال) على ماذكره ابن الأنباري في (أصول اللغة) وأنشد .

(لا عهـد لي بنيصالي　　　أصبحت كالشن بالي)

ووردت (نصال) كما هو السائد في اللغة . والمعنى في هذا المثل أن أقدمها تخلفاً

التي تنطقها (نيصال) بالروم لأن الوقف بالروم كما حققنا بقية من الوقف بالواو ، فتخافت فى المنطق العربي إلى حد الامحاء إلا في لهجة متخلفة بقي أثره الاشاري فقط عندها ، ويليها تخلفاً القبائل التي تنطقها (نيصال) واستقرت في المنطق العربي على (نصال) والمفهوم من هذا أمور .

(١) ان الروم بقية من صفة الوقف العمومية .

(٢) أن أحرف المد كانت هي الحركات .

(٣) أن الاعراب سبق تمام التحلل من الصوتية.

هذه جملة من أمثولات اجتهدت بعرضها على وجه فذ ونحو طريف. وهى دراسة في جملتها ، كما تكون الباكورة أول ماتكون ، تجمع إلى الندرة الطرافة والجمال.

وإن تكن أتت في بعضها دون ما يجب من الافاضة والتوسع ، فانها على أي الاعتبارات تضع لدرس العربية قاعدة علمية ، لا تتنافى أبداً مع عفو الطبيعة . وفي منهج يبعد كثيراً عن الاسلوب الغيبي ، والطريقة الميتافيزيكية . وهذا النحو من العرض والشرح يبدو أجمل ما يكون حين يتوسع به ، ويدرس على نسقه كل ما سماه العلماء بالضرائر والنوادر وما إلى ذلك .

وهذا التطور الذي أثبتنا أثره على المفردات فقط ، لأننا بحكم الموضوع لا يصح بنا أن نتجاوزها ، ثابت العمل في الاسلوب والمنهج البياني على شتى أوضاعه ومختلف صوره . حتى الشعر لم يفلت في أوزانه من الانصقال به والتكامل على مده . ولقد يتسنى للباحث أن يربط بين بحور الشعر العربي القديم ، بحيث يتسق في نشوء تصاعدي صحيح ، وان بقيت بين بعض الحلقات فراغات ، فهي تنظر إلى أبحر أميتت ، كما اميت في نظرنا (فاعيل) وبقي ما ينظر اليه .

وكان من نتائج هذا الدرس على الشعر أن انتهيت إلى نتيجة خطيرة ، وهي ان البيان العربي ابتدأ نظماً ، وتطور كذلك آخذاً نحو التحلل ، وكان من آخر البحور المرتقية ، الخفيف وما اليه والرجز المرصع الذي منه تحللت الاسجاع ويدل لهذا التحام الترصيع الشعري والسجع عند الكهنة الشعراء .

وقبل أن يستوي البيان العربي في النثر القراني ، قام زمناً في الفقرات المثلية

والأسجاع القصيرة ، وعليه فيكون السجع حلقة مَا بين الشعر والنثر . وان في القرآن صورة واضحة عن شتى تطورات النثر ، حتى يكاد يحتبك مع النظم في بعض السور كمثل (إنا أعطيناك الكوثر) . ولكن يعود القرآن فيأخذ في مذهب انفرادي ، ينتقل بالبيان العربي على مثل الطفرة ، ويبدو هذا المذهب الجديد واضحاً في سورة المؤمن وفصلت ومحمد والطوال . ومعنى هذا ان القرآن يجمع مختلف صور البيان العربي قبله . ويأتي بها على نحو معجز جداً ، ثم يسوق اسلوباً جديداً لا ينتسب إلى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه الصور الشتى من الأساليب في القرآن ، على مسحة متسامية معجزة ، سر اعجاز القرآن الصحيح .

وليتنبه إلى الفرق بين الروح القرآنية ، والاسلوب القرآني . ودعوانا أن في القرآن[1] صوراً من أساليب شتى ، لا يعني أن روح البيان فيه مختلفة . وهناك فرق شاسع بين أسلوب البيان أي طريقة نظم البيان ، وبين صبغة أو طابع البيان التي تنتسب إلى المعنوية والروح فقط .

فان مقال الشاعر على بحور مختلفة لا تنفيه عنه ، هذا واضح جداً ولذلك لا أطنب فيه . وأحرى بنا أن ندرس بيان القرآن على هذا النحو ، لأنه الوثيقة السامية في البيان العربي ، حتى انطبع به على الدوام ، فأشد الكتاب تطرفاً عنه أشدهم تعلقاً به على الحقيقة ، لأن البيان غذي القرآن .

والخلاصة أن دعوى التطور ، لا نَتَجنّاها نحن فقط بل عرفها الأولون ، واليك ما يقول ابن اسحق فيما نقل[2] عنه ابن النديم صاحب الفهرست (وان الزيادة في اللغة امتنع العرب منها بعد بعث النبي (ص) لأجل القرآن) ومعنى هذه العبارة كما هو صريح منها ، ان العربية كانت خاضعة للتغايرات المستمرة على الدوام ، فهي بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة . وهذا هو الغرض المقصود من التطور الذي نجتهد باثباته . ومعنى عزو الامتناع من الزيادة إلى القرآن ، أن القرآن نظم من

---

(١) بسطنا هذا البحث بتفصيل وايضاح في فصل (نثر القرآن) من مقدمة التفسير وسننشرها بعد عما قريب .

(٢) راجع الفهرست لابن النديم ص (٧)

حواشي العربية وأخضعها لقانون بياني ثابت ، وأمات ما هو متراوح الفوضى فيها ، وانتاشها بحيوية أخرى جديدة .

على ان ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الجذر ، وقد صرحت به في غير مرة من المقدمة وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية ، للعربية على وجه حرج جداً . فالقرآن [1] أمات الفوضى ، واللغويون عادوا فأحيوها .

ومن شاء أن يدرس أثر التطور في البيان ، فما عليه إلا أن يمن النظر في كتاب (المجاز) للحارثة بن المثنى المعروف بأبي عبيدة ، ففيه تقع على تطورات مختلفة جداً في هذه الناحية سماها مجازات أي أساليب ، والحق انها أبعد ما تكون عن معنى التسمية ، وما هي عند البحث إلا تطورات وبقايا من مجازات انقرضت .

تعليق واستنتاج

هذا فصل يدخل فيما مضى الكلام عنه دخول اللازم ، ويترتب عليه ترتب النتيجة ، ولكن هو وان كان كما نصف ، فلا مندوحة من أن نقف عنده وقفة تزيل من خفائه ، وتحيط من غموضه ، فان فيه ما يعين على البحث في أمر القواعد التي سننتهجها في وضع ما نضع ، وفي تقدير الوضع على صورته الموزونة .

وسنأخذ بالكلام فيه على المصادر والأفعال والجموع وتخصيص الموازين ، وسنرى من بعدُ ان اللغة وقفت دون ما قصد العربي منها ، ولكن وان تكن كذلك قد قضت الظروف التي صادفتها العربية في تلك المرحلة من السير التطوري ، فقد كان في عمل اللغويين لو تريثوا ، ما يصل المنقطع ويبلغ باللغة الهدف الوضعي المعين لها . ولذا أصبح لازماً على اللغويين اليوم ، أن لا ينوا في هذا الأخذ ، وان كان لأول أمره مفاجأة محضة ، قد تدعو إلى الدهشة المزوجة بالانكار . ولكن

---

(١) وذلك لان القرآن باعتماده لغة قريش ، أمات ماعداها ولكن اللغويين عادوا فأحيوها وتعلقوا بها على وجه غير قليل . بل زادوا تعلقا باحياء اللغات الجنوبية وانتابهم بعض الخطأ في جمع العربية فسكتوا عن التنبيه على لغات القبائل وانفرادات الجهات

ما علينا أن يكون الأمر مدهشاً وغريباً اذا كان حقاً وصحيحاً، وفيه وحده دواء العربية فيما تتخلف عنه أو يظهر وكأنها ضعيفة فيه .

وأرى كل ما يتوسل به إلى الأخذ بعثار العربية ، لايعدو أن يكون كوسائل التخدير التي تنشر راحة وقتية جداً، ليعقبها الألم والشكوى على أشدهما شدة وأحزهما عقدة. فما يفعل اللغويون اليوم إلا كما يفعل اليائس المتعلل ، يقنع نفسه بأنه أشفى على الغاية وأنهى كل شيء ، وهو لم ينه شيئاً إلا في ظن نفسه . وله عندي شتى المعاذير ، ما دام قد أفرغ كل الوسع لاعطاء النتيجة المنتظرة منه على أتمها . وما حيلة اللغوي أن يفعل ، واللغة لا تسمح بأكثر مما سمحت لأنها مقيدة بضروب من القيود ما عرفتها العربية ، وانما ألزموها بها رغم انها قد تهدم اللغة وتتركها أنقاضاً .

وسبيلها الحق هو ما نقرره ، ونلح في تقريره ، ومن ثم ندرك ان سعة اللغة انما ترجع إلى قوانينها الثرة لا غير . ومن بعد لا يبقى مفهوم لقولهم (ليس في كلام العرب) أو لدعوى (السماع) وغير ذلك من أشكال تحكمية لم يفقهوا وجه السر فيها (أي كذا خلقت) . ونحن عند ظننا في أمر تكامل اللغة ، ولنستعرض الوجوه التي يبدو فيها التخلف لتكون فيه البينة . ونبدأ بالأفعال لأن حديثها أكثر مفاجئة وأكثر فائدة .

بنظرة شاملة في (الافعال على الثلاثي) نشهد تفاوتاً عظيماً وعلى مقدار ، وهذا التفاوت بلا ريب يقضي بأمر قد نكون على صدق من شأنه ، وقد نكون متمحلين لا أكثر في التماسات نظرية محضة ، وسواء كان هذا أو ذاك فنحن مطمئنون الى تقدير أن هذا التفاوت نتيجة لعدم الاستقرار . فان الثلاثي وليد الأزمان المتباعدة في القدم ، ووليد أدوار الفطرة ، الأمر الذي يجعل كيانه ساذجاً .

ولكن العربي في عهد رقيه ، جنح إلى التنقيح فيها حتى تأخذ سبيل الاستقرار ، كما هو الحال في المزيدات ، غير انه لم ينته بها على الوجه الأكمل ، فبقيت الأفعال بين متجاذب من دور التنقيح والقديم ، أدى إلى مثار من الاضطراب الواضح .

ونظن بأن العربي قصد أن يطرد الأفعال المضارعة على الكسر دون تخلف ودليلنا على هذا شيوع الكسر لحركة أصلية ، فهي في التقاء الساكنين وفي الابتداء

بالساكن تكون على لزوم أو أرجحية . ولقد أدرك الصرفيون هذا ، واختلفوا في أيهما الأصل الباب الأول أو الثاني ، وعلى هـذه الملاحظة بنى الاملائيون القدامى قاعدة (الكسر يغلب غيره) ، ورد المحققون الرفع على المجاورة ، حتى اتهم [١] ابن الشجري في أماليه من اعتمده بعدم المعرفة ، بينما الجر على المجاورة شائع مشهور في الضرورات بلا خلاف فيه ، كما ان الاتباع بالكسر كثير في الموازين ، ونادر [٢] بغيره كما في تُنْضُب - ضرب من الشجر تألفه الحرباء - ولذا نعتمد الكسر اعتماداً لا تردد فيه ، بدليل غلبته في المزيد الذي هو بلا ريب من عمل الادوار الارق . ولنمط صورة من الاستقرار المفروض في الافعال للإيضاح .

(الماضي) يكون على وزان (فَعَل) مطلقاً إلا لحاجة معنوية ، فينقل قياساً إلى بابي طرب وكرم .

و (المضارع) يكون على وزان (يفعِل) مطلقاً إلا للحاجة المذكورة .

وهذا في غير الحلقي فيكون من باب فتح مطلقاً ، والأمر يتبع المضارع وعليه فكل ماض بالفتح مطلقاً .

وكل مضارع بالكسر مطلقاً .

وكل حلقي بفتحهما مطلقاً .

وما بقي على غير ذلك فأثريات ، وليس معنى هذا انا ندعو إلى خرق حرمة النص فان ما مضت به المعاجم يتقيد به إذا كان محل وفاق ، فان اختلف فيه فالراجح الكسر .

وكذلك كل اشتقاق مستقبل يلزم هذا السبيل ويتطرد عليه .

والمصادر من الثلاثي بقيت كذلك قلقة في اللغة ، ويدل على هذه الملاحظة أن القلق لا يعدو الثلاثي أيضاً بينما نجد المزيدات على اطراد وغير تخلف إن في المصادر أو في الأفعال ، ولا ريب في أن هذا القلق الذي لا يتجاوز كونه في الثلاثي فقط

---

(١) راجع الضرائر للألوسي ص ٢٦ .
(٢) راجع سفر السعادة للسخاوي .

مصـادر وأفعالاً ، كان للاسباب التي قدمناها وهي معقولة جداً فان الثـلاثي كان في اللغة بمنزلة التراث القديم . وربما أتينا في بعض بحوث المقدمة بكلام على المصـادر مصنفة إلى مصادر متعينة في المصدرية ، والى مصادر معنوية (أي تابعـة للمعنى) حتى تعرى القواعد من الاضطراب الواقع . ونزيد بظن ان المصدر الميمي كان أشبه بمحاولة من العربي لطرده في الثلاثي على وجه مطلق كما هو الحال في المزيدات .

وكذلك الجموع لم تستقر إلا في قلة من الكلمات ، غير أن العربي أخذ بصورة جدية لاقرارها . ولنعرض مثلا فيه قدامة وفيه تطور . وهو (دِيوَان) ووزانه (فِعَّال) أخذ بالاعلال . ويؤيد هذا جواب[1] أبي عمرو بن العلاء حينما سئل عن ديوان هل ينطق بفتح الدال ، فقال لو جاز هذا لقيل في جمعه (دَيَاوين) فقال خلف الاحمر وكان في مجلسه ، انه سمع شاعراً حميريا ينشد :

عدبني أن أزورك أم عمرو ديـاوين تشقق بالمـداد

فما حاوله ابو عمرو استنكاراً ، وانما قال ، ان حمير لم يفدها هواء نجـد . وهذا يحتمل أن يكون جمعاً قديماً أميت في دور التنقيح بدواوين ، أو جمع قبلي متخلف ، أو هو فعلة من خلف ، وكل هذا غير بعيد وان كنا نميل إلى أنه جمع قبلي ويؤكده رد أبي عمرو .

واليك أمثلة أخرى[2] نحن على يقين من انها قديمة ، لانها جموع لأسماء الأيام والأشهر ، وهي أدخل في التقدير من غيرها في أن تكون كذلك . فقـالوا في جمع (سبت) اسم اليوم أَسْبُت، سُبُوت ، أَسْبات ، أَسَابِت، أَسَابِيت .

وقالوا في جمع (رمضان) اسم الشهر .

رَمَضَانَات ، أَرْمِضَة ، أَرَامِضَـة ، أَرَامِيض، رَمَاضَى، رَمَاضِـين ، أَرْمُض ، رَمَضَانُون . الخ

وقد يكون دليلاً على القدامة كثرة صيغ الجموع ، لأن معنـاه انه لم يتنخل بمحاولة التنقيح .

---

(١) راجع أدب الكتاب للصولي ص ١٨٧

(٢) راجع أدب الكتاب ص ١٨٥

وبقيت فوضى في ناحية ثانية من اللغة ، وهي الناحية المعنوية فلم تتحدد للصيغة دلالة على اطراد ، فتحمل الكلمة معنيين أو معنى مؤلفاً مما تفيده الصيغة والمادة التي منها الاشتقاق .

وليست معالجة هذه الناحية على طرف من السهولة ،بل على العكس صعب جداً ومفيد جداً ، وضروري أن لا تخلو عنها لغة توسم بسمة الرقي الوضعي ، إذ هي أجلى ظاهرات الرقي العديدة . وهذا التحديد الميزاني يجعل الوضع الاصطلاحي خاضعاً لعمل آلي ، يوفر عناء الواضع وعناء المستعمل على السواء ، واللغة التى تكون على فوضى منه ، تبق ضعيفة عن تناول الاشياء ، واذا تناولتها فلا تكون لها الصبغة اللغوية المحكمة .

على ان العربية مع كل ما نرى فيها من فوضى هذه الناحية ، لا ينكر انها أخذت في سيطرة الاشتقاق وغلبته بهذا النحو ، فاستقرت في موازين لم تعد تستعمل إلا على وجه لا تتخلف عنه دلالة الهيئة ، كما في مفعل ومفعال ومفعلة للآلة وكما في فاعل ومفعول إلى كثير من مثلها . ولربما كان هذا الأمر لا يعني العرب القدماء ، لأنه لم تكن بهم حاجة اليه من جهة عدم شعورهم بحركة علمية ، بيد أنه يعنينا كثيراً وكثيراً ، فان بقاء الموازيين على فوضاها لا يتناسب مع المفاهيم العلمية الدقيقة ، التي تضطرنا لأن نجعل دلالة لازمة أبداً للهيئة الميزانية . ومن ثم لا يكون عناء الواضع كبيراً كما نرتسم للميزان أيضاً صورة عند السامع تكون على مقدار من المعنى .

فعلى الواضع [1] الجديد ، أن يتوفر على تخصيص الموازين بما يقارب أن يكون جامعاً لشتى المشتقات عليها ، والا ما لم يكن الوضع على هذا اللون فلن يكون فيه غناء ، عدا عن التفاوت الذي يستغرق المقاييس وتبدو معه اللغة على تباينات وعدم تساوق .

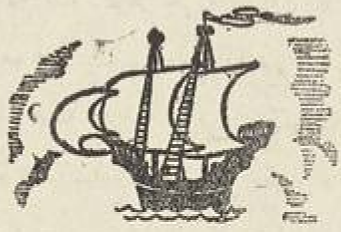
ومن جملة هذا الشرح ، نخرج بأن العربية لم تزل على فوضى من الأفعال والمصادر والجموع والموازيين ، ولكن عمل العربي القديم على اقرارها .

---

(١) وضعنا لاول مرة في كتب الدراسات العربية خصوصيات ثابتة للموازين فراجعها في المقدمة ص ٥٣ الى ٩٦

وكشي. صحيح التقدير ان العربية وقفت فجأة دون ما تمام العمل اللغوي ، ولقد أحس الأولون بهذا وعزوه إلى القرآن واحترامه ، وهذا سبب لا أجد له وجهاً صحيحاً، بل على العكس كان القرآن وسيلة فعالة للتقدم في اللغة والبيان . والحق ان السبب كل السبب هو توزع العرب في الانحاء ، وتناول اللغةِ تلامذةُ المدرسة اللغوية ، التى كان طابعها الجمع فقط ، والوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي إلى تحرير اللغة ، فكان تلامذتها من هذه الناحية محافظين جداً وعرباً أكثر من العرب .

فأي أخذ من هذا الذي ندعو اليـه ، هو عود بالعربيـة إلى سابق نهجها ، وانتشالها من بين القيود التى غلت بها ، وانتهاء بالعربية إلى مستقرها الكامل .



القسم الثالث

السماع او ليس فى كلام العرب

روي أن سائلاً سأل أبا عمرو بن العلاء ، عن ما لو سمع من العرب شيء مخالف لعلمه فقال له (اسمي ما وافقني قياساً وما خالفني لغات) .

هذه عبارة على اقتضابها حتى تجيء في كلمات ، وعلى اختصـارها حتي تقع في حروف ، تشرح غامض الموضوع ، ككتاب واسع المادة . وأظنها ظاهرة بنفسها حتى لا تحتاج الى تعليق . ولكن ما نحن في حاجة إلى فهمه ، هو السبب الذي حدى بأبي عمرو ومدرسته ، إلى أخذ العربية بهذا النوع من التقييد ، والضرب من التحكم . ولعل السبب قد أتى مشروحاً بالكلمة نفسها أو هي تشرحه بالفعل ، وتدل عليه بصراحة كبرى لا خفاء فيهـا ولا غموض ، وهو لا شيء اكثر من أن السماع أقرب سبيل الى ضبط العربية ، حين يخفى ما يمكن أن يكون علة جامعة .

وهذا الأخذ طبيعي في أول الأمر بالدرس ، ثم يتشكل على وجه آخر . ولكن المدرسة اللغوية انتهت بما ابتدأت به ، من اصول لم تجاوز رسومها إلا على وجه الندرة . وقامت أسباب عزت بعض هذه الأصول ، حتى عادت من العربية كما تكون العربية من نفسها ، ومن هذا القبيل السماع فقد اعتبر من أجل سبب ساذج بسيط ، لا يعدو كونه أخصر طريق الى الحصر ، ثم اشتط اللغويون في اعتباره إلى حد كبير ، أخذ عليهم الطريق الحقيقي لدرس العربية على وجه صحيح .

فكان ما اتخذه الأول وسيلة إلى الضبط في فاتحـة الدرس ، علة الفوضى في خاتمته . والأسباب التي توفرت عند متأخرة اللغويين للتمسك بالسماع تجيء في أمور .

(١) انه أقرب طريق للحصر والشرح .

(٢) تشبعهم بنظرية التوقيف في اللغات .

(٣) الخوف على سلامة اللغة أي إحاطتها دون أن تعبث بها الاهواء وتنال بالفوضى حتى تبعد بها عن صبغتها الاولى .

(٤) خدمة البيان القرآني في اعتقادهم . فانهم ذهبوا مع الظن بأن اطلاق القياس في العربية يبعد بها عن لغة القرآن .

(٥) الانانية العلمية أو الارستقراطية العلمية فان أهل الاختصاص من اللغويين اذا تسامحوا بالقياس لم يعد لهم المقام السامي الذي يتمتعون به مما جعلهم يتشددون بالسماع إذ كان السبب الوحيد الذي يحفظ لهم هذه الرعاية المهددة إذا أباحوا للناس القياس .

هذه في نظري الأسباب الهامة التي جعلت اللغويين يلحون في الاعتداد بالسماع إلى حد منكر ومنتهى ممجوج . وما أخذوا فيه بالاعتدال كما أخذ الأولون منهم ، بل أفرطوا في تحكيمه حتى انتهى بتقييد العربية على الوجه الذي نشكو منه ونألم له . وأدى بالعربية إلى الجمود والتحجر والالتواء المطلق .

والعجب أن يكون السماع الذي اتخذ سياجاً للعربية من أن يعبث بها مَهَد الى العبث بالكذب والاختلاق ، فان أكبر ما حمل اللغوي على الاختلاق هو السماع ، ضرورة ما كان من عدم الاطمئنان إلا إلى الشاهد والنص والرواية . فكان إذا وضح له شيء من أسرار العربية يجد نفسه مضطراً ليثق الناس بما انتهى اليه ، وليسمع عنه ما يقول ، ان يدّرع بشاهد أو بشواهد وربما بقصيدة أو بقصائد .

هذا شيء نعرف من نوادره كثيراً حتى أكون في غنية عن ايراد أمثلة مما حفظت كتب الأدب والتراجم . والذي يلفت حقيقة من أمر هذه الشواهد انها لا تحفظ في الغالب الكثير إلا شطراً أو شطرين ، ولو طلبت للشطر آخر وللبيت مِثلاً لأعياك الطلب كأن الشطر لُقطة الطريق والبيت بيضة العقْر .

ولكن ما لا شك فيه أن إباحة القياس للعفو ، قد يحمل على الاختلاف الكبير في الوضع والاصطلاح ومذهب البيان وما إلى ذلك . مما نضطر معه إلى ابقاء عمل السماع في المحيط اللغوي ولكن على معنى آخر غير معناه . فلسنا نعني به الورود عن العرب ، وانما نعني به الإباحة للواضع فقط (كالعرف الشامل أو المجامع) فمثلا قلب

الماء زايًا كما في زمك وهمك ، لا يجوز أن يترك للمستعمل يجري فيه على هواه دون تواضع أو اصطلاح ، وكذلك فيما بقي من القوانين النادرة .

وهنا نأتي على معنى القياس عندنا أيضًا . ونعني به وقوف المستعمل عند وضع الواضع والتصرف بالمادة على حسب القانون المخول في الاشتقاق والتصريف.والواضع هو (العرف الشامل والمجامع والعالم) بعد تصحيح الوضع على مقتضى الاستعداد الحرفي وقواعد الاشتقاق . وعليه فمفهومهما في أخصر عبارة .

السماع : الاباحة للواضع ، على قانون العربية في أشيائها النادرة .

القياس : الاباحة للمستعمل ، على قانون التصريف والاشتقاق .

وما وراء ذلك من القياس والسماع عبث مطلق وتلاعب حقيقى ، ولما لم يكن للسماع مفهوم صحيح له اعتباره . اختلف العلماء على الدوام في تطبيقه ، فما يراه بعضهم سماعًا محجورًا ، يراه البعض الآخر قياسًا سائغًا . وهذا شيء عام في المفردات والضوابط ، وأقرب مثل أسوقه كلمة (اقتطف) التى ردها كثير من اللغويين بدعوى عدم السماع والحفظ ، بينما قبلها آخرون واستشهد بأنها وقعت عند الأعشى وجرير . فان السماع مبني على الحفظ وما لم يحفظ أكثر مما حفظ كما قال ابو عمرو بن العلاء . مما يكون سائغًا معه أن تقبل ما يؤيده القياس وكفى . على ان اعتماد السماع المشدد جعل اللغويين يتمحلون لكلم يصححونها كما فعل الشهاب في شرح درة الغواص ، مما كان تلاعبًا محضًا وعبثًا منكرًا سبب اليه سماع دعوى السماع .

الثلاثى

سبق منا القول بأن الثلاثي وحدة كلم العربية ، وعليه استقرت فى الثروة البالغة عظمًا واتساعًا.

وعلى ملاحظة الثلاثي بنى اللغويون أبحاثهم في المعاجم والقواميس رغم اختلاف الاصطلاح، وما كانوا يترددون فى هذا النظر، ومن ثم قال (١) الميداني (والاسم المتمكن لايكون على أقل من ثلاثة أحرف ، حرف يبتدأ به ، وحرف يوقف عليه ، وحرف

(١) راجع نزهة الطرف ص (٧)

يفرق به بين الابتداء والوقف) ولتشبعهم بهذا الرأي ردوا كل مزيد إلى ثلاثيين ، وتكلفوا في ذلك عرق القربة كما يقولون ، و بالغوا في هذا التكلف حتى ألفوا شأنه، وظنوه مقياساً لغوياً لا اختلاف عليه أو ليس مما قد يختلف فيه ، وعليه وحـده بنى ابن فارس الكلام في كتابه (مقاييس اللغة) وأكده أيضاً فى كتابه (الصاحبي) ونوه بهـذا الصنيع فقال[1] (قول العرب للرجل الشديد (ضبطر) من (ضبط وضبر) و(صهصلق) من (صهل وصلق) وفي (صلدم) من (صلد وصدم) الخ.

وكيفما كانت النتائج المركبة التي انبنت على اعتبار الثلاثي ، فلا شك في أنهم على حق من هذا الاعتبار المذكور. فنحن إذن على وفاق معهم في أمر الثلاثي، بل نشفع رأيهم بتأكيد لاتردد فيه ، على مافي هـذا من وضاحة لاتستدعي خلافاً أو منازعة .

ولربما انحصر خلافنا معهم في وجهين :

(١) كيف نشأ الثلاثي

(٢) ليست كل مادة من الثلاثي وحدة على حدة ، بل هي طرف من وحدة تستوي في دائرة الثلاثي .

عند هذين الوجهين يكون اختلافنا واللغويين القدماء ، وليس هذا بالأمر الذي لا يؤبه له من حيث ترتب النتائج ، بل له شأنه وسيظهر لك كيف هو جدير بالبحث المشبع وحري بالدرس المستفيض .

و ينبغي أن نتكلم هنا في بحث القواعد بتحر وأناة بالغين ، وأن لا نرسل الكلام إرسالاً يأتي معه ضعيفاً ، شأن كل مرسل على عواهنه .

أما الأول : وهو وجه كيف نشأ الثلاثي ، فحديثنا عنه الآن ليس على معنى ان الجماعة الاولى في شعبة الدرس اللغوي ، وقفت عند الثلاثي على تقدير انفصاله عن عهد ثنائي لون العربية بلون يشبه أن يكون طابعاً عاماً ، كلا فقـد قدمنا بأن الجماعة اللغوية لم تكن ملاحظتها نشوئية ، وانما اتخذت اعتماد الثنائى وملاحظته لخدمة الضبط والحصر ، ولتحقيق الاشتقاق فقط .

---

(١) راجع الصاحبي ص (٢٢٧)

وكيفما كان الأمر ، فحديثنا الآن عن تأكيد ان الثلاثي نشأ عن الثنائي ، وان كثرة من الثلاثيات احتفظت بها العربية بعد تصحيح الصوت حرفاً،وهذه الثنائيات التي نظنها هي المعلات . وهذه المعلات المحفوظة في شتى المعاجم ، يجب أن نتخذها عمدتنا في الدرس لفهم الثلاثي على وجهه ، لأنها الأصل الذي انفصل عنه ، ولم يكن عمل التصحيح إلا ضرباً من إقرار اللغة على صورة واحدة من الثلاثية ، فالواوي منها ينظر إلى الضمة الممدودة ، واليائي إلى الكسرة كذلك . ومن ثم يتأيد ما ذهبنا اليه ، من ان هذه الحركات تراد[1] لمعان بعينها في العهد الصوتي ، ثم تصححت كل حركة بحرف من جنسها بعد أن اتخذت العربية وحدتها في الثلاثي .

وعليه فهذه المعلات ثنائيات مصححة ، وهنا يلزمنا أن نتكلم عن ضروب التصحيح التي لجأ اليها العربي وهي عند نظرنا تقع في امور .

(١) جعل الصوت حرفاً . وهذا السبب هو الذي ادى الى الاحتفاظ بالمعلات رغم أنها ثنائية .

(٢) التضعيف . والمثل عليه (بصا) نقل الى (بصّ) بخطف الحركة وتضعيف الحرف والأخذ بهذا النحو يرجع الى عهد ارقى من الأول في اللفظية،فان الأول تصحيح بالتحويل وهذا تصحيح بالحذف .

(٣) ابدال الهمز به . كما في (يشّ) نقل الى (أشّ) .

---

(١) ولا يكون غامضا بعد هذا وجه اختلاف المعنى مع عدم اختلاف المادة الا بالواوية واليائية فقط كما في (دحوة ودحية) لان اختلاف حرف الصوت يغاير في المعنى ومن ثم نجد الافعال تختلف معانيها باختلاف الابواب لانه ينظر إلى هذا الملحظ فكان العربي إذا أراد تأليف الكلمة عمد إلى حرف ما على صوت بعينه ليدل على معناه فاذا غير الصوت تغير المعنى على مقدار من خصوصية الصوت . وبالاخص إذا علمت أن الثلاثي فى العربية جملة مؤلفة من ثلاث كلمات في طبع العربي القديم وبارتقاء اللغة تناسوا اختلاف الدلالة باختلاف الصوت واستقرت هذه الالفاظ في معانيها على أشكالها من الاختلاف الأثري . وهذا هو السر فى تعدد أبواب الثلاثي ولقد اعترضنى باحث لغوي بالافعال التى حفظ ضبطها في المعاجم من بابين كنبع وفسد في غير اختلاف معنوي وكان أن أجبته بأن عدم حفظ الخصوصية لا ينفيها ولقد يمكن تعليل عدم الخصوصية بتناسي العرب لها أو بخفائها على الرواة ولقد ثبت ان الرواة اعتمدوا في تعيين المعانى على المفهوم من الشعر أو النثر ومن ثم جاءت كلمات كثيرة على غير تحرير

هذه هي الوسائل التي نظن أن العربي تذرع بها لتصحيح الصوتي ، وهي تختلف في مقدار أثرها على اللغة ، ولكن وان اختلفت شيوعاً واختصاصاً فقد كان لجميعها تأثير واضح . ونستطيع أن نقول من بعد هذا ، ان مطلق الثلاثي نشأ عن الثنائي على هذه الصورة التي عليها المعلات بزيادة حرف من الهجاء قد سبق لنا بيان أن محله[1] الوسط ، ولكن لم نخض هناك في مقابلات على الظن المذكور ، نظراً الى أن مهمتنا اذ ذاك التاريخ حسب . ولنأخذ في سرد امثلة ومقابلتها ، حتى نخرج منهـا بترجيح

---

(١) لا انكر ان الاخذ الاحتمالي في ان يكون المزيد على الثنائي . الفاء او العين او اللام الذي قرره دارسو اللغة من قبل . قد يبدو على بعض الكلمات ضروريا أحيانا لا يظهر تمام المعني الجامع في الحشو ولكن مع ذلك لا ارى في هذا ما يهدم اعتبار النظرية كشيء يشمل اللغة في اكبر عدد من المواد المحفوظة وهذا وحده كاف في التعويل على نظرية زيادة الحشو فان النظريات المعروفة في صدر التاريخ وما اليه ترتكز على المشاهدات الاكثر انتشاراً . هذا من وجه ومن وجه آخر يبدو ما انتهى اليه الجماعة لا يجاوز ان يكون احتماليا لا يصح ان يكون نتيجة درس تعتمد . على ان مما يجب التنبه اليه هو ان المداليل المعجمية المحفوظة ليست هي المعاني الحقيقية احيانا بل تأصلت بعد نقل او تجوز وليست هي كل المعاني فما ضاع اكثر مما حفظ ومن وراء كل هذا يباح في نزعة العلم ان نعتمد نظريه الزيادة حشوا بدون تردد في دراستنا اللغويه التاريخيه . وطريقة تطبيق النظرية ان نتناول المادة بعد تجريد حرف الوسط ونتناول معها المعلات التي وقع فيها هذان الحرفان على ترتيبهما فاذا اردنا ان ندرس (شح) وجب لنحقق معناها تماما ان ناخذ معها (شحى شيح شوح وشح) لأن هذه العلات جميعها ثنائية صوتية صححت بجعل الحركة حرفا والحركة تراوحت بين ان تكون عند الاول والوسط والآخر فنشأ بعد التصحيح المثال والأجوف والناقص وكما سبق ونبهنا ان لهذه الحركات معانيا في العربية الساذجة فلا عجب اذا وجدنا هذا التباعد المعنوي بين المثال والاجوف والناقص مع كونها من ثنائي حرفي واحد ويترتب على هذا انها اذا أخذت بالتضعيف فينشأ عنها جميعها ثنائي واحد وهو (شح) ومن ثم تنتظم له جريدة من المعاني المتخالفة وهذا الرد الى المعل هو الذي يضمن لنا توزيع المعاني الى الجذور الاولى على وجه حقيقي وقد بقي شيء آخر يجدر التنبيه عليه وهو أن تعيين المعنى الاصل أو الجامع المعنوي فيه عسر غير قليل ولكن بين ايدينا ظاهرة قد تعين بعض الشيء وهي ثبوت المعنى الواحد في التطورات للجذر الثنائي الواحد وهي المعل مثل (وشح شوح شيح شحى) والمهموز مثل (أشح شأح شحأ) والمضعف الثنائي مثل (شح) والثنائي المكرر مثل (شحشح) فانها قمينة بان تكشف عن المعنى الاصل . هذا ما بدا لي حقيقياً واظنه كذلك لا شك فيه ولكنه يحتاج الى الاناة بالدرس والى عدم التطلع بالانكار والتفنيد والتروي بالمقابلة . فان المسألة لغوية تستند على ما بين أيدينا من (تقليدات لغوية) تشبه كثيراً التقليد للمؤرخ والحفري وتبعد اشد البعد عن المحاكمة العقلية المحضة . فهي تعتمد المقارنة بين المواد ومعانيها وادراك وجه التماشق فيها .

لاحد وجهي التقدير، وان كنا نقرر أن تقديرهم قد يتبادر لأول وهلة وهو علامة الحقيقة، ولكن لا يستقيم الى النهاية بل يتخاف كثيراً. والسر في هذه الظاهرة هو ما قدمنا من أنه راجع الى دلالة الحروف المجتمعة، فان لها دلالة مقاربة ومتفاهمة. ومن ثم اشتبه الاولون ولكن العلامة الفارقة دائماً في تحرير التقديرات ترجع الى ما يتم عليها المعنى. وسيظهر هذا في عرض الامثلة ومقارنتها.

(عَبَل) قال اصحاب المعاجم في معناها (الضخم من كل شيء) وكأنه وحدة المعاني في المادة فعلى منهج الأولين ترد الى (عب) زيدت عليه اللام، وعلى منهجنا ترد الى (عل) زيدت عليه الباء، والوجه في ترجيح ما نذهب اليه، أن (عل) من مشتقاتها ما يدل هذه الدلالة، قالوا (العل) ذكر المعزى الضخم العظيم وأيضاً القراد الضخم. وفيه نجد تمام معنى (عبل) بينما أخص ما استعملت فيه (عب) يدل على تدافع السائل فقيل بحر عباب وهكذا.

وأنت تجد أن وجه الملاحظة بقطع النظر عن الاستعمال في السائل، التدافع لا التضخم كما هو ظاهر.

وخذه في الزيادات. فعند الاولين (عبث وعبد الخ) مما لا يظهر فيها جامع إلا على تمحل بينما تجد فيما ترجع اليه (عبث) على رأينا. وحدة معناها بدون فند وهو (عث) ومن مشتقاتها (العثاث) الترنم في الغناء و (العثة) المرأة البذيئة.

والزيادات عندنا (عتل وعثل الخ) وانظر كيف تجد بينها جامعاً معنوياً ظاهراً قالوا (العتلة) الهراوة الغليظة والعصا الضخمة من حديد وقالوا (العثل) الغليظ للضخم إلى غير ذلك مما يظهر بالتتبع ويتضح بالاستقراء آخذاً هذه الطريقة بالشكلية.

فنحن نخالفهم في هذا ونلحف في المخالفة، وأرانا على حق في هذا الخلاف أو هو كل الحق والصدق، وكيفما كان فانه لا يعنينا في العمل اللغوي أبداً، لأن العربية لم تعد على شيء سوى الثلاثي، وانما هو يمت إلى التاريخ اللغوي في التأصيل والتفريع على المواد المحفوظة.

وأما الثاني من وجه خلافنا مع الأقدمين. فهو في أن وحدة الثلاثي المقاليب الستة، وليست وحدته المادة الواحدة. وهذا ما نسميه (بالقلب) ويسمونه

بالاشتقاق الكبير وأما القلب عندهم ، فيعنون منه غير هذا . يعنون به (الترادف في صورة القلب) كجذب وجبذ ويأس وأيس فكلها بمعنى واحد . وهم يرجعون سببه إلى تزاحم حروف الكلمة على اللسان وتسابقها . وعلله ابو عبيد البكري بسبب ذهني، ومن هنا فرقوا بينه وبين ما مرجع الترادف فيه الى اختلاف اللغات كما نبه عليه ابن سيده في مقدمة المخصص وناقشهم في جذب وجبذ بأنهما من القلب لأنهما عنده لغتان .

ومن ثم لا يكون للقلب عندهم عمل في تكثير اللغة إلا في كلمات الترادف فقط على انه كشيء غير مقصود أيضاً . ومن هذا نعرف أن صاحب الفلسفة اللغوية لم يتحرر عنده معنى القلب في اصطلاح الاقدمين إذ لم يفرق بين القلب واللغة قال [1] (القلب عبارة عن تقديم وتأخير أحد الحروف من اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغيير طفيف وهو أقل وروداً من الابدال) فعبارته تشعر بقصده وانه يكون على تغيير في المعنى وليس بصحيح ، ولا بأس من تحرير مفهوم هذا الاصطلاح والاختلاف في وقوعه .

ذهب الكوفيون إلى وقوعه في الأفعال وسواها كبكل ولبك وطامس وطامسم ، ورده البصريون في الافعال والمصادر ورأوه لغة ، وأثبتوه في مشتقات المعاني كما في جرف هار وهائر . ومن هذين المذهبين نشأ مذهب آخر إستدلالي وهو ما حكاه السخاوي في شرح المفصل بقوله (إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدراً لئلا يلتبس بالاصل ويقتصر على مصدر الأصل ليكون شاهداً للاصالة نحو يئس يأساً وأيس مقلوب منه ولا مصدر له فاذا وجد المصدران حكم النحاة بأن كل واحد من الفعلين أصل وليس بمقلوب نحو جبذ وجذب وأهل اللغة يقولون ان ذلك كله مقلوب [2])

وعبارة السخاوي تفيد أن الخلاف بين الكوفيين والبصريين اشتهر بمذهب أهل اللغة وبأن المذهب الثالث اشتهر بمذهب النحاة وهو ارتآء متأخر .

والقلب على هذا المعنى نسميه (بالقلب اللفظي) وهو غير واقع عندنا في اللهجة

---

(١) راجع الفلسفة اللغويه ص (٢٠) .

(٢) راجع المزهر ج ١ ص ٢٨٥ .

الواحدة إلا على قلة لا يمكن تحديدها وا كثر منه بين اللهجات . وأما هو فليس له عمل أبداً في النمو اللغوي والتزيد الكلمي ، وهذه الكثرة التي يسوقونها ترجع في رأينا إلى ما قبل عهد الاستقرار ، وتنظر إلى عهود كانت فيها كامله الحياة ، ثم تناقصها المد الزمني حتى لم تبق منها إلا بقايا داخل الرواة في بعض منهـا لعدم التمييز ، وداخل العرب في البعض الآخر اكتفاء بدلالة المادة العتيدة . فمثلاً وجود (يأس وأيس) يدل على أن أيس أثرية اميتت مشتقاتها لأنه لم يدخلها عمل الاعلال .

و بالجملة فنحن نوافق ابن السكيت في دعوى ابطال القلب بهذا المعنى إلا في قلة ترجع إلى لهجات القبائل واختلافها ويمكن تحديدها . وهذا القلب اللفظى بديهي انه غير القلب الذي نعنيه لأن ما نقصده هو ما يلاقي الاشتقاق الكبير في عبارات الاولين ولنأت بين يدي الموضوع بخذلكة تأريخية عن انقداح هذه الفكرة عند علماء الاشتقاق القدامى .

تاريخ فكرة الاشتقاق الكبير

يمكننا أن نؤرخ فكرة الاشتقاق التحقيقي (بالخليل بن احمد) وهو بهذا رأس طبقة كان يتوسع عملها بين حين وآخر منفعلاً بالعقلية التى تخدمه ولون الثقافة السائدة. ولا شك في أن للثقافة العامة أثرها من حيث توجيه شتى البحوث ، ولقد ظهر هذا في بحث اللغة فنسقه عند الطبقة التى يجيء على رأسها (ابو على الفارسي) وتلميذه له طابع فلسفي من الطابع السائد لذلك العصر . ومهما يكن من أثار من تعاقبوا في طبقة الخليل لم يجاوزوا خطته واعلامه ، بل نقول انهم لم يتحققوها كما يجب وأيضاً نقول في غير مبالغة، لم يكن عمل الطبقة الثانية إلا شرحاً لما بدأه الخليل، فهو أول من تبين الوحدة بين المقاليب وتناولها بالدرس ، وزاد بأن أراد حصر ما في العربية من الثلاثي على ضوئها بعد تحقق أن للكلمة الثلاثية ستة مقاليب فيها المهمل والمستعمل . ومن ثم كان عمله خطيراً جداً ولا يفهم من هذا أنه قصد الاستفادة من المهملات بعد عمل نظامي

عليها ، وانما كان جهده فيها عملاً تحقيقياً فقط . ولقد توسع على فكرته (مَخبَرة النديم) في كتابه[1] جامع النطق الذي شرحه الزجاج .

ولا نتوسع في ذكر عمل هذه الطبقة ، لما ان بحثهم وان اتجه هذا الاتجاه غير انه بقي محافظاً جداً ومنطبعاً بالرواية ، ولكن لا ينكر أن انتاج هذه الطبقة في الاشتقاق الصغير كان بالغاً جداً وقوياً أيضاً ، وهو يعادل انتاج الطبقة الثانية في الاشتقاق الكبير التي يجيء على رأسها الفارسي وتلميذه ابن جني وان كان تلميذه هو وحده صاحب الثروة الطائلة والمنتوج الواسع الذي ننسبه إلى طبقته . ومع ان ابن جني اعتمد هذا الاشتقاق و بالغ في اعتماده لم يكن على اقتناع من ان عمل العربي كان آخذاً هذه الصورة قال[2] السيوطي (وهذا مما ابتدعه الامام ابو الفتح وكان شيخه الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب)

والطبقة الثالثة تبتدأ بالعلامة الحاتمي وتلميذه السكاكي ولا نغفل فيها ذكر ابن الاثير صاحب المثل السائر ، فهؤلاء حققوا النظرية بصورة أكثر عملية . على اننا لا نعرف للحاتمي أثراً باشره بالتأليف في هذا الموضوع سوى ما نقله عنه تلميذه السكاكي في المفتاح . وحتم علينا أن نذكر عبارة السكاكي وابن الاثير ليتضح لنا مقدار تطور التعليم عند رجال الطبقة الثالثة . قال[3] السكاكي في المفتاح (وان تجاوزت إلى ما احتملته من معنى أعم من ذلك كيفما انتظمت ، مثل الصور الست للحروف الثلاثية المختلفة من حيث النظم . والاربع والعشرين للأربعة . والمائة والعشرين للخمسة سمي الاشتقاق الكبير) وتأمل جيداً قوله والاربع والعشرين للاربعة تقف على ان تعليمه لم يكن أكثر من تصور عقلي يعوزه التطبيق والاستقراء ، ومع اني أذهب في احترام الحاتمي مذهباً بعيداً يجعله الثالث بعد الخليل وابن جني ، أعتبر هذه النظرية مجازفة منه ومن تلميذه ذي المجازفات الجمة في بحث الفنون الأدبية ، حتى قصد في

---

(١) راجع معجم ياقوت ج ١ ص ١٤٩

(٢) راجع المزهر ج ١ ص ٢٠١

(٣) راجع المفتاح ص (٧)

حين أن يصطنع المنطق بمصطلحاته في محيط الأدب مما أدى الى مسخ حقيقي فيه ، ومع ذلك كان صاحب عبقرية نادرة .

ثم يزيدنا هذا التلميذ المخلص ، أن شيخه الحاتمي أحكم قانوناً في الدرس اللغوي سماه بالاشتقاق الأكبر وسيظهر لك من عبارة السكاكي أنه إغراق في الاستنباط والتمحل. قال [١] (وها هنا نوع ثالث من الاشتقاق كان يسميه شيخنا الحاتمي رحمه الله الاشتقاق الأكبر وهو أن يتجاوز إلى ما احتملته إخوات تلك الطائفة من الحروف نوعاً أو مخرجاً ، وقد عرفت الأنواع والمخارج على ما نبهناك وأنه نوع لم أر أحداً من سحرة هذا الفن وقليل ماهم حام حوله على وجه إلا هو) ومثاله بأن تنتقل بالحروف إلى مايجانسها في (قط) مثلا التي تتنوع إلى (قطب وقطف وقطع وقطل) وكلها تتضمن معنى القطع .

ويجانس (قط - قص) ومنها (قصم وقصل وقصف وقصر وقصا) وهي تفيد معنى القطع في جميعها.

ويجانس (قص - قض) ومنها (قض وقاض وقضم وقضب وقضع)
ويجانس (قص - كس) ومنها (كس وكسر وكسع وكسم)
ويجانس (قص - جذ) ومنها (جذ وجذب وجذف وجذم)
ويجانس (جذ - جز) ومنها (جز وجزأ وجزر وجزع وجزح وجزم)وجميعها تتفاهم فى القطع .

وهذا كما ترى شيء يعتمد الحـدس فقط ونظن بأن قانون الاشتقاق الا كبر سرى عند الحاتمي من المشجرات اللغوية التي أفردها اللغويون بالتأليف ، ومن قارن بينها ظهر له مقدار التقارب غاية ما في الأمر ان تلك مشجرات كلمية وهذه مشجرات حرفية . ومع ان قاعدة الاشتقاق الكبير بلغت عند الحاتمي كما ترى بقيت قاصرة جداً، ولم تخدم إلا خدمة بيانية فقط وكأن الحاتمي قصد الى هذه الغاية البلاغية خاصة .

وفي هذه الطبقـة ينفرد ابن الأثير بملحظ دقيق ولكن لا أدري أوقع له عفواً وهو ما يظهر أم قصد اليه قصداً بناء على تصوره ان العربي جنح الى الوضع على هذا

---

(١) راجع المفتاح ص (٧)

الترتيب مراعياً المشابهة بفاء الكلمة . قال[1] (وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحداً يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وان تباعد شيء من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتأويل اليها ، ولنضرب لذلك مثالاً فنقول (ان لفظة (قمر) من الثلاثي لها ستة تراكيب وهي : (قمر - قرم - رمق - رقم - مقر - مرق) فهذه التراكيب الستة يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة) والملحظ الذي أقول بأن ابن الاثير انفرد به على جميع باحثي الاشتقاق الكبير ، هو هذا الترتيب باعتبار الفاء . مما كأنه يرمي الى غاية نشوئية حاصلها انا لو فرضنا مادة كذا أصلاً ، فالمادة التي يكون لها فاؤها عقبت بها اشتقاقاً كما ترى في صنيعه (قمر قرم) وان كنا نستبعده لأنه لم يشر اليه أصلا .

وبعد ابن الأثير لا أظن أحداً عرض للقلب بعمل مثمر ، وانما كان كل عمل الأدباء بعد ذلك نحوياً ومعجمياً فقط .

وبالجملة لم تكن هذه النظرية أكثر من وسيلة يستروحون اليها ويتعللون بها ، كما قال (محمد صديق حسن خان) في رسالته (العلم الخفاق) ولهذا السبب ظلت أبحاثهم فيها مضطربة فلم تقم على أساس فقهي ، وقولنا بأنها غير فقهية لا يطعن على علمهم أو يقلل من قيمته ، وانما هي السنة الفكرية الدائمة في كشف الغوامض تبدأ غامضة ولكن مع ذلك فيها عناصر الحل الاخير . وأهم النتائج التي أجتهد في أن أتوصل اليها من وراء قاعدة المقاليب .

(ا) تصحيح المعاجم بتحقيق الوحدات بين مختلف المواد .

(ب) الوقوف على الممات كمحر وعلى الدخيل من الأصيل كما في (جِبْت)[2]

(ح) اعتماد الجامعة المعنوية بين مواد الثلاثي كاعتمادها بين مفردات كل مادة .

---

(١) راجع المثل السائر ص (٢٩٤)

(٢) اظن أن كلمة (جبت) في العربية بمعنى (الصنم) غريبة عن العربية واقدر تقديراً قد يطمأن اليه وهو انها محرفة عن (ايجبت) اسم مصر عند اليونان ويظهر أن آلهة مصرية حملت الى بلاد العرب في زمن البطالسة وعبدت فيها ولا يبعد أن يكون وصولها الى الجزيرة وعبادتها حدث بعد حملة البطالسة على الجزيرة التي وصلوا فيها الى اقصى تهامة .

(ى) وهي نتيجة النتائج . أن نأخذ بالوضع الجديد على مقتضاها لنسد نقص اللغة ونكفي حاجتها .

القلب أو قاعدة الدوائر

هنا نريد أن نتكلم على القلب وقواعده في نتائج بحثنا ، غير متأثرين أحداً ولا ملزمين به ، وانما كشيء نراه الكفيل فحسب بنجاة العربية في مستقبلها البعيد . وقد نكون على خطأ في تقدير انه خطة العربي القديم في الوضع ، وقد نكون على صواب والاصابة غير بعيدة عنه . وسيان لدينا أكان هذا القانون في طبع العربي أم لا ، ما دام يسد عوزنا وفيه البلاغ ، وينزل من طبعنا منزلة ما لم يكن العربي ينبو عنه أو ينكر أمره .

نبهنا فيما سبق على أن القلب في عرفنا يستوي مع الاشتقاق الكبير في عرف أئمة اللغة . وقدمنا أيضاً أن الزيادة في الثلاثي تكون في محل (العين) ولم نتفرد من هذا الرأي إلا بطرده في كل ثلاثي . ونقدم بين يدي الموضوع التنبيه على ان عمل القلب خاص في محيط الثلاثي لا يتجاوزه الى غيره مما ظنه العلامة الحاتمي وقدره تقديراً مرسلاً لا يعتمد شيئاً من المنطق ، وهو في جملته لا يجاوز كونه معادلة حسابية فقط تقوم على الارقام والاعداد .

تقدمنا[1] بشرح قاعدة القلب ، ونكتفي هنا بايراد مثال يتضح عليه سير القلب النظامي كما نحب أن نقرره وهو (ز ف ن) فان أقدم مواد هذا الثلاثي (زفن) لأنها الأوفق للترتيب الهجائي ويتفرع عنها بمقتضى القاعدة (فنز) وهذه يتفرع عنها (نزف) وهذه لا تفرخ إلا مادة الأصل (زفن) على نظام التفريخ السابق . وعليه فلا بد من التغاير حتى يستقيم الثلاثي في تفريخه . وبمقتضى التغاير المعتبر يتفرع من

---

(١) راجع ص ١٤٩ من المقدمة

مادة الأصل (زنف) التى هي الاصل الثانى وينشأ عنها على نظام التفريخ السابق (نفز) وهذه يتفرع عنها (فزن) ومن ثم يقف الثلاثى عن الانتاج أبداً .

على هذا النسق [1] قد كان القلب عند العرب الأولين ، وقد يستبعد بادئ بدأ ولكني على غير ريب في أن تطبيق القلب بنظامه على اللغة ، سيكون كفيلاً للاعتداد به واعتباره عند أي باحث كان. وعلى هذا نتمكن من بحث أية مادة وتعيين المعنى الوضعي لها حقيقة ان كانت من ذوات الخصوصية في الاطلاق أو التقييد كما انه يأخذ بيد الوضع الجديد الذي سيضطر الى الأخذ في السبيل العربي الصحيح ، دون الترقيع البالي الذي لا يكون في رقعه بأكثر مما أعوز اليه .

---

(١) قدمنا أن هذه المواد الست تجمعها وحدة معنوية هى الملحظ الوضعي الثابت وانما تختلف بالخصوصية فقط وسبيل تعيينها بشيئين (١) موقع المادة من الدائرة (٢) الاجتماع الحرفي في المادة أما الاول فنعنى به أن المادة يختلف معناها على اختلاف الموقع من الدائرة . واعلم أن كل دائرة تجتمع في وحدة اخص تكون اكثر ظهوراً في المواد الثلاثة من الوحدة العامة للثلاثي في مواده الست . فوحدة الدائرة الاولى تكون بملاحظة المعني فيما يقوم فيه . ووحدة الدائرة الثانية تكون بملاحظة المتلبس بالمعنى والوحدة العامة هى المعنى نفسه بعيداً عن العلائق الحسية والمعنوية . وعليه فالمادة الاولى من الدائرة الاولى تدل على الوحده في اوضح صورها الحسية . والمادة الثانية تدل عليها في ملابسات حسية والمادة الثالثة تدل عليها في ملابسات معنوية والمادة الاولى من الدائرة الثانية تدل على وحدتها في جلاء ووضوح والمادة الثانية تدل عليها مع انفعال ظاهر والمادة الثالثة تدل عليها مع انفعال مستخف . وأما الثانى . وهو الاجتماع الحرفي في المادة فنعني به رد الثلاثي الى الثنائي على الطريقة السابقة لمعرفة المعنى الاصل ثم تحرير معنى الحرف لتحديد المعنى المجموع ومن هذا اصبح ضرورياً ان نتكلم على تحديد معاني حروف الجدول بما تسمح به النصوص المحفوظة

(الهمزة) يدل على الجوفية ، وعلى ما هو وعاء للمعني ، ويدل على الصفة تصير طبعاً . (الباء) يدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاما ، ويدل على القوام الصلب بالتفعل . (التاء) يدل على الاضطراب في الطبيعة أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديداً . (الثاء) يدل على التعلق بالشيء تعلقاً له علامته الظاهرة سواء في الحس أو المعنى . (الجيم) يدل على العظم مطلقاً . (الحاء) يدل على التماسك البالغ وبالاخص في الخفيات ويدل على المائية . (الخاء) يدل على المطاوعة والانتشار ، وعلى التلاشي مطلقا . (الدال) يدل على التصلب وعلى التغير المتوزع . (الذال) يدل على التفرد . (الراء) يدل على الملكة ويدل على شيوع الوصف . (الزاي) يدل على التقلع القوي . (السين) يدل على السعة والبسطة من غير تخصيص (الشين) يدل على التفشي بغير نظام

مناقشات

وجه المناقشة في القاعدة على انحاء.

(١) اعتمادها الجدول الهجائي أساساً.

(٢) دعوى أن أقدم المقاليب ما وافق ترتيب الجدول.

(٣) دعوى ان التفريخ المادي يكون باعتبار العين واللام.

(٤) دعوى ان التغاير لتحصيل رأس الدائرة الثانية يكون بتقديم اللام إلى موضع العين.

(الصاد) يدل على المعالجة الشديدة (الضاد) يدل على الغلبة تحت الثقل (الطاء) يدل على الملكة في الصفة وعلى الالتواء والانكسار (الظاء) يدل على التمكن في الغؤور (العين) يدل على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقا (الغين) يدل على كمال المعنى في الشيء (الفاء) يدل على لازم المعني أى على الوضع في المعنى الكنائي (القاف) يدل على المفاجئة التي تحدث صوتاً (الكاف) يدل على الشيء ينتج عن الشيء في احتكام (اللام) يدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه (الميم) يدل على الانجماع (النون) يدل على البطون في الشيء أو على تمكن المعني تمكنا تظهر اعراضه (الهاء) يدل على التلاشي (الواو) يدل على الانفعال المؤثر في الظواهر (الياء) يدل على الانفعال المؤثر في البواطن. وبتقرير هذه القواعد للاشتقاق اصبح سبيل الوضع معبداً جداً فهو من موقع المادة في التفريع ومن هيئة اجتماع الحروف يعين الخصوصية في غير تكلف جهيد ولا عناء ملحف . ومثاله (زفن) فان من هذا الثلاثي ما هو غير محفوظ كمادتي (فنز) و (فزن) فلو اردنا تعيين المعنى لكل منهما فما علينا الا أن نبحث عن موقعهما الدائري من وجه ومن اجتماع الحروف من وجه آخر وبعد هذا النظر والملاحظة نخرج بتحديد صحيح (فنز) يظهر معناها في (فز) وهى الخفة و(النون) تدل على البطون والمعى المؤلف (الخفة المتمكنة الباطنة) وبما ان موقعها الثانية من الدائرة الاولى فتدل على الوحدة في ملابسات حسية وقد بقى مزيد يدل على الرقص وهو (الفنزج) و(فزن) يظهر معناها فى (فز) وهى الحركة فى ميد و(الزاى) يدل على التقلع القوى وعليه فالمعني المؤلف (الحركة المتقلعة فى ميد) وبما ان موقعها الثالثة من الدائرة الثانية فتدل على الوحدة مع انفعال مستخف وعليه فدلالتها الشاملة (الاضطراب المتأثر بتأثير باطني) كاضطراب ذوى الامراض العصبية ورجفان الهرم وتوقد الموتورات وهكذا . واذا اخذنا في زيادة اخرى كالهمزة مثلا نخرج من المادة بمعني (الاضطراب الطبيعي المتأثر بتأثير باطني) فى (فزنأ) كالمولود المرتجف لعلل فيزيولوجية خلقة . وبمعني (الخفة الطبيعية التي تظهر اعراضها بتأثير باطنى) في (فنزأ) وهكذا .

هذه وجوه دقيقة ، والجواب عليها ليس هيناً على سبيل البسط والتحرير ولكن يمكن أن نجيب عنها بجواب اجمالي و يعتبر كافياً في الرد مع ذلك . وحاصله أن الافتراض العلمي أي المصوغ على أساليب صحيحة يعتبر مبدأ علمياً ما دام يصلح أن يكون علة للسوآل عن الشيء ولا ريب في أن هذه القاعدة صالحة لأن تكون جواباً عن كل ما يسأل عنه في اللغة .

ولأن الموضوع على شيء من الدقة كان ضرورياً أن نتعرض لشرح انحاء المناقشة و بالاخص فيما يتعلق بالجدول . حينما حاولت درس هذا الخاطر وتطبيقه على كلم اللغة الشتى ، وقعت على نص أشبه ما يكون (بالتقليد) فهو اذن أثري ، وفيه ما يدعو إلى التساؤل لأنه يخالف كل ما عرف واشتهر ومضى الناس على تقريره واعتماده وهو ما أورده ابن النديم في الفهرست قال[1] (وان نفراً من أهل الانبار من أياد القديمة وضعوا حروف الف ب ت ث وعنه أخذت العرب) وهو يعزو هذا الزعم الى ابن اسحاق وأنا على اعترافي بما عند القدماء من اسطورية في التحديث عن الماضي البعيد ، لا أنكر انه أنبه من خاطري المطمئن إلى الابجدية ، بحيث جعلني آخذ بامتحان القاعدة على وجه آخر ولهذا الشك وجوهه .

(١) هذه المسحة في الابجدية التي هي أقرب الى الاصطلاح والضبط .

(٢) اتخاذ الابجدية في حين عوضاً عن الارقام الذي ينظر اليه (حساب الجمل)

(٣) الظن القوي في دائرة المباحث المشرقية بأن للعرب أحرف هجاء خاصة كتبوا بها لا تقل[2] قدماً عن الخط الهيروغليفي والاشوري .

فنحن اذن منه على ما يدفع بنا الى الشك ، فلم ندخر وسعاً في تتبع المواد وتقدير المعاني ، الأمر الذي أفضى بنا الى اعتماد الجدول في كثير من الاطمئنان وان كنا لم نزل على ريبة من انه كذلك كان بكل حروفه ولكن لا يسعنا إلا اعتماده على ما هو بدون تمييز لتصحيح الوضع في المستقبل . ولنأخذ بعرض مادة غامضة لنرى

---

(١) راجع الفهرست ص (٧)

(٢) كما حققه الاستاذ سايس والدكتور كليز . راجع مجلة المعرض البغدادية السنة الاولى ج ١ ص ١٢١

مقدار ما فيه من صدق . (عقر) بمعني جرح ومنه العقيرة بمعنى الصوت في قولهم (رفع فلان عقيرته) حمل اللغويين على التساؤل في حيرة ، عن السبب في تولد العقيرة بمعنى الصوت من عقر بمعنى جرح . ومن ثم ذهبوا ينتحلون له التعاليل والفروض حتى انتهت عند ابن دريد (وهو من هو في انتحال الحكاية) برواية قصة[1] طريفة جداً زعم أنها وقعت لرجل عثرت به رجله فجرحت فرفعهاووضعهاعلى الأخرى ثم نادى بأعلى صوته فقال الناس رفع فلان عقيرته أي رجله المعقورة وتناسوا فيها دلالة الأصل لتدل على القصة من باب تأصيل الفرع . وعندنا أن الأصل في معنى (عقر) الصوت بدليل ظهوره في أغلب المواد من مثل (زعق) و (قرع) ونقل الى الجرح بالملابسة في موضوع بعينه ، وأميت في عقر المعنى الأصلي وبقيت العقيرة كحلقة اتصال بين التطورين على ما أثبتته القاعدة .

هذه هي أنحاء المناقشة على القاعدة ، ولقد يرى في وجوه الدفع على اجتماعها ما لا يصحح الغرض ولكن هذا لا يعني الشك في صحة القاعدة أبداً . فان جميعنا نذكر حديث الفروض الطبيعية الذي بها يتم التفسير الكوني . وصموت الطبيعي ووجومه الحائر امام التجارب التى لا تزال مجهولة الناموس على ان موضوع كون هذه القاعدة على ترتيبها اعتمدها الوضع القديم في واد ، وموضوع ضرورة اعتماد الوضع الحديث لها في واد آخر . فلقد تقرر بما لا يحتمل ريباً أن بين مواد الثلاثي الست جامعاً معنوياً وانما وجه الخلاف في الخصوصية فقط . وما من ثلاثي يمكن فرضه إلا وضع العرب عليه. بيد أنه لم يتم وضع كل مواده دائماً ، وعليه فيمكن انتزاع الجامع المعنوي منه وتعيين الخصوصية بمساعدة الثنائي الذي لا نظن في أمره مناقشة . وبهذه القاعدة يترتب الوضع ويستقيم وتظهر فائدتها في الاشياء التى تتفرع أنواعها عن وحدات كالفصائل في الحيوان والنبات والجراثيم . فالمادة الاولى تخص بالدلالة على الفصيلة ، ويوضع منها للنوع الذي تكون فيه أوضح ، ويوضع لبقية الأنواع على مقدار ما فيها من مشابهة في اللزوم أو الانفكاك . وفي حال ما إذا لم يعتمد تقديرنا في أن العربي كان سائراً

---

(١) راجع مقدمة الكافى للشيخ طاهر الجزائري .

بالافعال لطردها على باب (ضرب) نعتمد مذهب أبي زيد الانصاري الذي اعتمده الفيروزابادي في القاموس وهو اذا جاوزت المشاهير من الافعال فأنت بالخيار بين الكسر والضم . وان كنت أميل الى طرد الكسر للجمع بين مختلف آراء النحويين فان الفراء يذهب إلى أن الأصل في المضارع الكسر وعليه فأبو زيد يجيزه والفراء يعينه .

صرحنا منذ سالفة ان القلب عامل هام في تزايد الثروة اللغوية حتى أشبه من كل وجوهه التكاثر بالانقسام في التقاعيات . ومن هنا كان ذلك المد اللغوي الدائم في العربية حتى لم تعرف له جذراً إلا حين وقف عمل القلب فيها . ولقد بقيت عوامل أخرى ضعيفة في نفسها وضعيفة في انتاجها عملت في الثلاثي عملاً محدوداً جداً وهي. القلب اللفظي . الاعلال . الاتباع . تداخل اللغات . التخفيف بالاسكان . فملية المصدر . الرد الى الأصل . التضاد . الاشتراك . المزاوجة .

القلب اللفظى

هذا الذي عناه الأقدمون باسم القلب، وقد خرجوا عليه كثيراً واختلفوا في أمره كثيراً وأغرق فريق فأنكره كابن السكيت . وهم مع هذا التعليق الطويل والأخذ بالموضوع مأخذ الدرس الواسع لم يتحدد كما يجب فبقي غامضاً في شروطه غير متوضح في منحاه التعليمي . وكان في أوضح بحوثه قائمة من السماع .

وقد قدمنا شيئاً عنه وعلقنا على اختلافهم ، وليس بنا من حاجة هنا للاعادة مرة أخرى. وإنما سنقصد من أول الأمر للكلام على رأينا فيه دون ماوقوف عندماقرروه من أمثلة وشواهد . ولكن بماأن هذه الكثرة المثالية عرفت بأنها من القلب فلنتكلم على العوامل التي سببت اليها ونظن بأن لها سببين .

(١) اضطراب الحروف على اللسان . فلا تنطق موزونة و يدخل فيه الاختلاف القبلي وهذا هو القلب اللفظي فقط ومن أمثلته – لعمري ورعملي، وما أطيبه وأيطبه الخ.

(٢) الأماتة ونعني بها أن تكون مادة المقلوب حية بكل اشتقاقاتها ثم لايعرف منها إلا اشتقاق واحد بقي إما نسياناً أو استغناء فيلحق بالأقرب صورة ومعنى وأمثلته

ماء سلسال ولسلاس والخدخد والدخدخ الخ مما يمكن تمييزه بالرد إلى الأصول الثنائية التي هي المعلات وتبين المعنى فيها . إذن فهذه تنظر إلى مواد كانت كاملة الاشتقاق ثم اميتت ، ولم يبق منها إلا هذا النادر وقد بقي فى العربية كثير من هذا النوع ومنه (كهف) و (محارة) وهذه الأخيرة توضح شيئاً من غموض الموضوع . فان اللغويين لما لم يجدوا لها فعلا ألحقوها (بحور) . وهذا النحو من القلب ليس خاصاً بالمفرد بل يدخل الجموع ويظهر عليها بأكثر من ظهوره في المفرد . قالوا في جمع بئر آبار وفي جمع رئم آرام . إلى حد أنه يعاود وجوده مرة أخرى على كل لسان فانا كثيراً مانغلط عين الغلط في مثله ، وهو شيء فاش في اللهجة العامية ، فكثير من المناطق السورية ينطق (أليم في لئيم) والاستدلال [1] بعامية اليوم له وجه من الاعتبار . وضروري أن لا نغفل هنا شيئاً آخر كان له أثره وهو غلط الرواة وتحملهم بدون تمحيص . ولقد يكون من الظن القريب احتمال أن القلب نوع من الاتباع (حسن بسن) اتباع بالابدل و(سبسب وبسبس) اتباع بالقلب .

وبالجملة فليس في القلب اللفظي ما نستفيد منه في الوضع المستقبل أية فائدة بل على العكس هو سبب للاشتباه والمغلطة وإذا قصدنا الاستفادة بشيء منه ففي الجمع فقط إذا سمينا به فان الجمع العلمي يرفع اللبس .

الاعـــلال

حديث الاعلال في العربية متسع عريض ، فكان ظاهرة قوية الوضوح وعلى نحو بارز في الأفعال والمصادر والموازين والجموع ، والاعلال عندنا مظهر من مظاهر الاقتعاد اللغوي والبلوغ الفني ، وهذه نتيجة ضرورية للعمل النظامي الذي نشاهد أثره في شتى

---

(١) راجع المبهج لابن جني فقد احتج بعامية بغداد في عهده غير مامرة . والامر العجيب أن بعض النواحي فى لبنان لا ينطق أهله المهموز الا مقلوباً مما لا يبعد معه التقدير بان المهموز المقلوب من لهجات القبائل التي ربما يرجع اليها القوم الحاليون على طريقة المرحوم حفني ناصف

الألفاظ المعلة . ولقد تدهش حقاً للتحولات التي لاتشذ ولا تختلف وإنما تتبع سنة واحدة فيها من القوة مايجعلها ذات أهمية .

ومن ثم كان حديث الاعلال طريفاً أيضاً من حيث كونه حيلة لغوية لبقة ابتدأها العربي للمرة الأولى في الصميم من اللغة اداة للتصحيح [1] وللتمكين اللفظي واخفاء لمواطن الضعف في الكلمة . وفي العرض والتحليل غنية وكفاء . فاذا أخذنا مثلاً قانون (اعلال [2] الاتباع) الذي هو ملاحظة الحركة قبل النقل وتأثير هذه الملاحظة فيما بعد النقل ، نقف على مقدار الملاحظة الفنية العميقة ، وان تكن على تكلف فلا تنفي انها فنية جداً وعمل موزون وانه سبق بارتقاآت لغوية سامية أدت اليه . وأظن أحداً لا يخالف أبداً في براعة قواعد ادخال الواو على الياء والعكس وعمل التعويض في (اسطاع) [3] وقواعد الابدال في أحرف اللين إلى غير ذلك .

فالاعلال تصرف يأخذ طريقة ارتقائية محفوظة النسب لا تختلف إلا على ملاحظات معتبرة ، مما لا يدع شكاً عند الباحث بأنه نتيجة لمبالغات عالية في البناء والاسلوب ، وأفكار ناضجة في اللغة وفيه وحده مقنع للدارس اللغوي بما تناول اللغة من جهود وما استقر فيها من افكار تسامت بها .

ولا يحك في صدر أي باحث حَوْك من ظن أن قواعد الاعلال اصطناع النحاة واللغويين ونتيجة لتقديراتهم الشخصية المحضة . لان الاعلال حقيقة راهنة فى صميم اللغة سواء كان متخذاً اسلوب النحاة ولون تعبيرهم أم لا.ومن ثم ينبغي أن لا يتجاوز شكنا هذا اللون من التعبير فقط الذي اصطنعه النحاة ولم يشرحه على وجهه وأما هو في نفسه وحقيقته وفيما يكشف عنه من تسام صريح فمالا فيه ولا شك . وان مجرد ان يكون (قال) مثلا أصله (قول) واعتبار هذا الاعلال في كل الاشتقاق الفرعي عنه يحملنا على الدهشة الممزوجة بتقدير العقلية اللغوية التي صدرت عنها هذه التفعلات

(١) نعني بالتصحيح هنا التمكين اللفظي وليس المعنى الصرفي فانه معه على طرفي سلب وايجاب .

(٢) راجع شرح الجواليقي على أدب الكاتب لابن قتيبة .

(٣) راجع التصريف الملوكي لابن جني .

واذن فالاعلال في غايته يراد للتصحيح ، وهو وسيلة لبقة جداً وسامية . وان كنت اعجب من شيء فاكثر ما اعجب له . الشك في رقي عقلية العرب من هذه الناحية . وهذا لا يمنعنا من الدعوة الى اعادة النظر في قواعد الاعلال التي اقرها النحاة في اسلوب قد لا يجد شواهد عليه لا لعدم صدقها ولكن لانها انبنت على لف ودوران كثير . فاذا أخذت مثلا (اعلال الأتباع) رأيت فيه ظاهرة من هذا اللف ليست بأقل مما تجده في وجه اعلال مطايا وقضايا ويعد وسواهما مما هو كثير . بينما كان يمكننا أن نقرر قواعده في بساطة متناهية وصدق أيضاً فقد ظهر أن الاعلال وجه من الاتباع بالمثل أو بالاشباع ، وهو رأي أقرب ما يكون الى الصواب ، فان الاتباع قانون واسع العمل في العربية جداً يدخل في الأعراب والموازين والقلب والابدال ، ولا عجب فان اللغة التي تعطي من جانبها ميلا شديداً للجرس والنغم وتبني الكلمة والاسلوب بناء موسيقياً تترك لسلاسة الاتباع أثراً هاماً ، وقد يخرج هذا عن حد التقدير الى الاعتقاد حينما تقف على الانحاء التي وضح أثره عليها في بحث الاتباع .

وهذا لا يعنينا الآن كثيراً وسيأتي بسطه في محله . وانما اريد أن اقول في جملة الموضوع بان ما عرفناه من قواعد الاعلال وما اكثر به الصرفيون لم تعد اليه حاجة أبداً . وأما ما يفيدنا منه في الوضع الجديد فقد يكون غير يسير اذا أبقينا على التصحيح مع موجب الاعلال لدلالات بعينها . بعد تعيين مفاد الاعلال والتصحيح على الاطراد.

فالاعلال يفيد المعنى الطبيعي كما في (طال) فانه يفيد الطول بنمو طبيعي و(ماد) يفيد التحرك كذلك.والتصحيح مع موجب الاعلال، يفيد المعنى بتكلف او باضطراب (ميد) يفيد التحرك باضطراب اويتموج و (طول) يفيد التكلف فى الطول .

الاتبـــاع

لست اعلم قانونا كان اكثر عملا في اللغة من قانون الاتباع ،حتى كان في آخرته طابعاً لغوياً فظهر اثره (١) في الاصول والزوائد والكلمات والادوات والاشتقاق .

(١) ولا أدل على ذلك مما ذكره الزمخشري في الكشاف عند تفسير قوله تعالي (فاعبد ربك مخلصا له الدين) قال وقرئ بضم الهمزه اتباعا لحركة الباء

وهو يفسر غوامض اللغة تفسيراً بسيطاً جداً غير متكلف شيئاً من الفلسفة التي طالما اكثر من احمالها اللغويون الذين ارتضعوها وانطبعوا على اسلوبها . وقدامى النحاة فهموه ووقفوا على طرف من عمله ، وبدأ يتوضح لهم شيئاً بعد شيء كما غمض عليهم احياناً فلم يفهموه في الاعلال والقلب اللفظي والادغام ، بينما نجده تفسيراً معقولا لكل هذه الاشياء التي اعتبرها الاولون قوانين تعمل بنفسهما غير متأثرة .

ولقد يهمنا أن نفهم الاعلال على هذا الوجه ، لأنه عدا عن كونه يقرب العمل الصرفي ويختزله يوقفنا على تأثير ما للنغم والتناسب من عمــل في اللغة ويجعلنا نفسر الاعلال تفسيراً لا يتفاوت في النظائر ولا يستعبد مع طبيعة اللغــة . فان القواعد الصرفية المقررة للاعلال قد لا تستقيم كثيراً فهذه (يعد) واصلها (يوعد) وجهوها بان الواو لما وقعت بين عدوتيها اليــاء والكسرة حذفت ولكنه لا يتجه في (نعد) و (تعد) وهكذا بيدانا نجد توجيهه من باب الاتباع يستقيم في كل النظائر والشواهد لان الاتباع خفة وذلاقة . ونسوق هنا امثلة نأخذ عليها بمقارنة مجلى بياناً لمدى الدقة في تخريج الاعلال من باب الاتباع بدون ما اعتماد لشيء آخر .

قالوا أن الاصل في (مَطَايَا) جمــع مطية (مَطَايِو) قلبت الواو ياء لتطرفها بعد الكسرة ثم قلبت الاولى همزة كما في صحائف ثم ابدلت الكسرة فتحة ثم الياء الفاً ثم الهمزة ياء فصار (مطايا) بعد خمسة أعمال . ونحن نقول بان تقدير الاعلال على هذه الشاكلة عدا عن ان فيه محظور اجتماع اعلالين في قلب اليــاء همزة ثم قلبها ياء ، يبعد وقوعه على هذا المقدار من المبالغة واوضح منــه واقرب حتى لا يظن سواه في طبع العرب ، تخريجها من باب الاتباع وبيانه أن كسرة اليــاء في (مَطَايِو) ابدلت فتحة مجانسة أو اتباعاً للألف قبلها ثم قلبت الواو الفاً اتباعاً لحركة الياء . بدون تهويل ولا مطالعة ولا عبث مرهق طويل . وهم يقولون في اعلال (مَدَار) ان اصلها (مَدْوَر) نقلت حركة الواو الى الساكن قبلها ثم قلبت الواو الفاً لتحركها بحسب الاصل وانفتاح ماقبلها بحسب الآن . وعندنا ان الواو وقلبت الفاً اتباعاً لحركة الميم ، لما أن الساكن حاجز غيرحصين وشاهده قِنْوَان اتبعوا الحرف للحركه مع وجود الساكن فقالوا قِنْيان كما سبق . وعرفت الوجه عندهم لاعلال (نعد) وعندنا أن الواو قلبت ياء اتباعاً للكسرة ،

ولأخذ العربية باللفظية أخذاً عنيفاً حذفت . ويظهر أن العربي أخذ المثال في كل امثلته بالحذف في المضارع خفة ، وأن مجيئه في كل الباب كذلك دليل على ثبوت التطور في اللغة وعلى أن الاعلال اتباع فقط .

ولنشرح الاتباع في شيء من البسط لهذه الاهمية التى له في تكييف اللغة ، قلنا في بحث الاعلال أن الاتباع شمل انحاء من اللغة ويجدر بنا هنا تعدادها وهى .

(١) اتباع بالابدال : كحسن بسن .

(٢) اتباع بالقلب : كسبسب و بسبس .

(٣) اتباع بالحركة : كما في زِنْبِر ومِنْخِر وسَجَدات وتُنْضُب في تَنْضُب .

(٤) اتباع بالاعراب : كما في يا أيها الناسُ وكما في الجر بالمجاورة .

(٥) اتباع بالاعلال : وهو على وجهين اعلال بالمثل كما في (كَيّ) واعلال بالاشباع كما في (مدار) .

(٦) اتباع بالادغام : كما في عَضّ ومَصّ وقد تمكن هذا الاتباع في منطق العرب حتى أجروه على الحروف المتقاربة .

(٧) اتباع بالمزاوجة : كما في (ليرجعن مأزورات غير مأجورات)

(٨) اتباع بالتحريف أو التصحيف : كما في قول العباس (هو لشارب حِل وبِل)

وانما يعنينا هنا من كل أنواع الاتباع ما كان بالقلب وهو الذي اشتهر عند قدامى رجال اللغة بالاتباع على الاطلاق . وهم قد شرطوه بشروط أتى عليها اللغويون في كتب الدراسات كالمزهر والبلغة في أصول اللغة . ونحن لا نرى منها إلاَّ شرطاً واحداً فقط ولذا لا نذكر غيره ، قال السيوطي في المزهر [1] (ولا يكون مثل قول العباس في زمزم هي لشارب حل وبل من الاتباع لوجود العاطف) فكأن شرط الاتباع بالقلب عدم العاطف لما انه يفيد الغيرية كما هو مقرر عندهم . وانما اعتمدناه لما انه يساعدنا في الاستفادة منه كعامل في التكثير اللغوي .

---

(١) راجع المزهر ج ١ ص (٢٤٥) .

ورأيي في الاتباع بالقلب انه لا يكون إلا في حروف المعاقبة والإبدال السماعي .
والذي الفت نظري إلى هذا تعبير وقع للامام ابن الجوزي في كتابه[1] المدهش قال (وقد يريدون تكرير الكلمة ويكرهون اعادة اللفظ فيغيرون بعض الحروف وذلك يسمى الاتباع فيقولون اسوان اتوان وشيء تافه نافه وعفريت نفريت) الخ . فان تعبيره بقوله يكرهون اعادة اللفظ فيغيرون . يفيد أن التغيير جار على أصول ثابتة وليس متروكاً للعفو مما يعين انه جار في حروف الابدال أو المعاقبة أي الحروف التي تتناوب وتفيد عين الافادة .

هذا شيء نحن نستنتجه لأنفسنا ، ولا ندري بعدُ إذا كان ابن الجوزي يقصد هذا القصد أم لا ، ولكن على أي حال كذلك رأينا وفيه تعليل صحيح للاتباع بالقاب ولا يجعله على فوضى في لسان العرب . واذا صح هذا نستطيع أن نرتب حروف المعاقبة والإبدال في جدول منظم متسق وهو يفيدنا جداً في سير الاشتقاق الجديد كما سيأتي في بحث الابدال وأظن بأن هذا التفسير للاتباع بالقلب يقرب من الواقع إلى حد أن يكونه . واما تصور انه كان متروكاً للعفو أو للخاطر فانتزاع له خبيء . وكان العرب يقصدون بالابدال على هذا الوجه من المزاوجة والروي تأكيد المعنى وتهويل مقامه وربما فسره قول العربي لمن سأله عنه (هو شيء نتد به كلامنا) . وهو من جهة عمله يدخل في الكلمة والقصة - الصفة - ولكن الأمر الذي يدعو إلى التساؤل عدم استعمال القرآن لشيء منه على شتى ألوان التعبير فيه . وفي الحق انه تساؤل له أهميته . ومما لا يبعد احتماله[2] أن يكون الاتباع خاصاً بالكلام المرتجل .

---

(١) راجع المدهش لابن الجوزي ص (٢٥)

(٢) بسطنا الكلام في فصل (نثر القرآن) من مقدمة التفسير وذكرنا هناك وجها آخر لتعليل عدم وجود الاتباع بالقلب في القرآن ولا في الشعر . بنيناه على ما ذكره سبنسر في عرض كلامه على الرقي من أن اللغة التي تحكم بالنغم تكون على طفولة فلا بدع أن يكون الاتباع الذي فيه قسط كبير بل اكبر قسط من الاعتماد على النغم والجرس ان يكون ظاهرة من الطفولة وعلى كل فالامر الواقع أن القرآن لم يستعمل الاتباع في لون أ بداً من البيان وأن القرآن أسمى أثر أدبي تمخضت عنه اللغة فلا بدع أن يكون لشيء مما ذكرناه أو لشيء آخر لم يتضح لنا .

والذي نستطيع أن نستفيده منه في الاشتقاق الجديد ضئيل جداً فى الكلمة وأما في القصة فيكثر إلى حد أن لايختلف عما كان في العربية الأولى ، وأرى أن يوضع منه كل مالا يتأدى باللفظ الواحد كما قالوا (السكان مان).

وبالجملة فالاتباع لايختص بموضع من الكلمة فيكون في الفاء والعين واللام على حسب الاتساق وانتظام الروي ويكون واحداً وأكثر.

المزاوجـــة

ذكرنا أن المزاوجة نحو من الاتباع ، وهي لاتكون إلا في القصة . ومن ثم يظهر أن عملها في الاشتقاق ضعيف أو لا عمل لها أبداً وإنما قصدت ذلاقة فى الأسلوب ومسايرة للاتساق اللفظي.

والمزاوجة لاتخص بوجه من الوجوه التي يقع فيها الكلام ، بل تكون فى المفرد كما تكون فى الجمع وتكون في الأداة كما تكون في الكلمة . قالوا (رأيت الوليد بن اليزيد مباركا) وقالوا (ليرجعن مأزورات غير مأجورات) إلى كثير تجده في كتاب (ليس فى كلام العرب) وكتاب(الاتباع والمزاوجة لابن فارس) وكتاب(سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي).

وإذا أخذنا بتحليل قول النبي (ليرجعن مأزورات) وقوله (خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة) استطعنا أن ندرك سر المزاوجة. فان (مأزورات [1]) وأصلها(موزورات وهي من المعل المثال الذي سبق أن قررنا في شأنه أنه يصحح بالهمز ، تدلنا على أن المزاوجة إنما تجري في الحروف المتقاربة والمنقلبة. والمزاوجة لأنها تختص بالقصة فليست تفيد في العمل الاشتقاقى أبداً . وإنما فرضها التناسب بين مفردات الجملة الواحدة. على أنه يمكننا أن نستفيد من المزاوجة في الوضع الجديد بما يخص المشتقات فقط ، وأما في المواد فيمنع امنا للبس . ودعوتنا إلى الاشتقاق عليها ليس لأنها ثابتة العمـــل على

---

(١) وكذلك (مامورة) فانها ترجع إلي (موموروة) أي كثيرة النتاج .

الاطلاق بل لأنها من العوامل التي قد يستفاد منها ولو على قلة . وتكون لافادة معناها مع التأثر بما زاوجها .

التخفيف بالاسكان

هذا العامل قدره اللغويون الأولون في كلم كثيرة من اللغة ، حتى من كثرته عدوه قياسياً فيما كان حلقي الثاني ، وأوردوا عليه أمثلة كثيرة جداً . والذي يلمح اليه كلامهم انه مرادف للمتحرك ويظهر انه تطور من المتحرك ، ونظن زمن تولده في الدور الثاني من العهد اللفظي ، ومع الاعتقاد بأنه تطور نرى بأنه يراد للتنويع ولكن عدم حفظ الخصوصية صيره مرادفاً . فمن الضروري أن نستفيد منه نحن اليوم ونتحرى ما وقع فيه التخفيف بالاسكان ونتتبع دلالتـه بدقة ومقارنة . ولا بد اننا خارجون بعد هذه المقارنة بفارق قد نستفيد منه فائدة لها قيمتها في الوضع الجديد .

وعندي ان التخفيف يفيد أو يخص لافادة الملكة وزيادة التمكن في الوصف فاذا حاولنا تحديد (ثَبَتٌ وثَبْتٌ) كان لنا منهما الدلالة في الأول على المتثبت وفي الثاني على ذي الملكة . على انه وان كان قد ترك في العربيه ثروة لا بأس بها . فلسنا نستفيد منه اليوم في وضعنا الجديد إلا فائدة نذرة جداً ليست بذات بال كما يقولون .

فعليـــة المصدر

هذا بحث جديد الموضوع وجديد التفسير . كان الغرض منه درس أشكال من اللغة فيها غموض ليس بالقليل . واذا صح وجه الشرح الذي نأخذه به فلا ريب في أن العربي كان صاحب حيلة لغوية ولباقة بارعة .

حفظ عن العرب قولهم (تَمَنْدَل) و (تَمَدْرَع) و (تَمَسْكَن) إلى الفاظ عدها ابن خالويه في كتـاب (ليس في كلام العرب) ويظهر من قوله (ليس في كلامهم تمفعل الرجل انما هو تفعل إلا تمغفر الخ) انه وزان غير مقصود ، كما نلمس في عبارته

حيرة واضحة في وجه تعليله ، وكذلك إذا وقفت على ما عند ابن جني في كتابه المبهج حيث قال[١] (وتجشموا زيادة الميم في الفعـل وانما هي من خواص الاسم ومثله تمنطق من المنطقة) . وعندي أن الأمر على عكس ما قال ابن جني تماماً وذلك لأن العربي بعد أن اشتق المصدر الميمي ليؤدي به معنى مخصوصاً وتأدية بعينها، عاد فتوسع عليه توسعاً ظهر غريباً جداً فنقله الى الفعلية بزيادة التاء . ولـكن بقي سؤآل يحتاج إلى تفسير حتى يتسق ما نجيء به وهو لماذا كانت الزيادة بالتـاء دون غيرها ؟ وما المعنى المقصود من هذا الوزان ؟ والجواب الذي يتبادر عندي انه يراد لغاية هي الدلالة على التشكل بالمصدر وهذا آت من حرف (التاء) الذي أصله (تاو) بمعنى (علامة) واذا لاحظنا هذا المعنى في التاء وأضفناه إلى المصدر الذي هو(مَنْطَق) مثلاً ، كان المقصود منه (التنطق الذي صار علامة للفاعل) . ويدل علي هذا أن التاء تدخل على الوزان بدون ما تغيير فيه كما في (فَعَّل) مثل (حَجَّر) تقول منـه (تَفَعَّل) ومثاله (تحجر) ومعناه الذي صار الاستحجار علامة له ، ونفهم في هـذين الوزانين قصوراً على الفاعل وهو ناشيء من كونه علامة . واعتبر هذا ملحظاً دقيقاً جداً ولا أظن خلافاً له أو عليه لأن هذه الظاهرة وهي عدم تغيير ما تدخل عليه التاء لا تفسر إلا على هذا الوجه .

ولا يبعد احتمال أن العربي خرج بالمصدر الميمي الى الفعلية ابتداء بدون زيادة التاء فقال (مفعل يمفعل) ولـكن هذا وان كان يستقيم في بادي الاحتمال يحتـاج إلى أمثلة عليه من صميم اللغة تثبته ولقد سقطت على ما يمكن أن نكتفي به الآن عند ابن جني في المبهج (قالوا[٢] مَرْحَبَكَ الله ومسهلك) . ودون هـذا وذاك فهو يفسر ناحية غامضة من اللغة أو في طبع العرب اللغوي أحسن تفسير ويوقفنا في غير مشقـة على نشوء الفعل من المصدر ، وهو وان يكن مزيداً فانه يدلنا على مكان هذا الطبع من العربي بحيث كان يصدر عنه حتى في الثلاثي أيضاً .

---

(١) و (٢) راجع ابن جني في المبهج ص (٦٩) .

الرد الى الاصل

هم اعني الصرفيين يعللون مثل (تَمَطَّى وتَظَنَّى) بأنه تفعل من (مَطّ وظَنّ) ولكن كرهوا التكرار ، فاصطنعوه هذا الصنيع تشبيهاً له (بفعَّال) على ما ذكره ابن خالويه والاعلم الشنتمري في شرح ديوان طرفة . ونحن أولاً لا نسلم لهم توهم أن تظنى (تفعل) من ظن بل من ظنى وعدم وجود المعل ليس دليلاً على العدم ، لاحتمال الامانة وهذا كثير كما تقدم لك في كهف ومحر . وعلى مجاراة الجماعة في التقدير المذكور نخرجه من باب الرد الى الأصل لأن أصل الثنائي المضعف ، ثنائي معل كما سبق . فاذا زادوه زيادة تفضي به إلى الاستكراه اللفظي ردوه إلى الأصل أحياناً بدليل وجود كثرة من (تفعل) للثنائي على وجهه كما في تخدد وتجدد وسواء كان الصحيح فيه هذا الوجه من التخريج أم غيره . فوجه الاستفادة منه اليوم بجمله (تفعلاً) من الثنائي المضعف ويراد لدلالة بعينها غير دلالته لو كان على وجهه ، وضروري هنا أن نعرض لتحديد كلا الدلالتين .

فدلالة التفعل على وجهه من المضعف الثنائي ، التصنع .

ودلالة التفعل في صورة الرد إلى الأصل ، على المفاجأة .

وعليه (فتظَنَّنَ) يدل على تصنع الظنة دائماً . و (تَظَنَّى) يدل على المفاجأة بالظنة . وهذا قد يكون تخصيصاً محضاً أو اعتبارياً ولكنه لا يبعد أبداً عن الملحظ الوضعي والاستعمالي في طبع العرب . ويصح أيضاً أن تلغي هذه الملاحظة من الاعتبار الوضعي في غير العلوم بحيث لا يكون الملحظ الوضعي فيها إلا التحكم والتخصيص ، كما لو أخذنا مادة (ش ط ط) التي جاء منها بمعنى جار وقالوا منها بهذا المعنى (تشطط) وقالوا منها (الشط) بمعنى سيف البحر فيمكننا أن نقول منها على هذا المعنى (تشطى) أي سار على الشط .

الضـــد

ظاهرة غامضة تلك التي تسمى في العربية بالضد ، ومع كثرة البحوث عليها في

أقدم ما يكون قدامة وفي أحدث ما يكون حداثة ، لم تزل غامضة ولا استثني ظنوني أيضاً وإن كنت أطمئن إليها نوعاً ما وعلى مقـدار . وهي لا تزال تنظر إلى قصد في تفكير الغربي تناوشه الرغام ، ولم يبق منه إلا ما لا يكاد يبين في مواضعات الألفاظ رغم الجهود المنثورة فى هاتيك البحوث الشتى . ولعل أقرب الباحثين قصداً في التقدير ابن حبيب البصري حين ذهب مذهباً فذاً ولكنه قريب من المعقول أيضاً، وكانت نتيجة البحوث التي عرض بها للاضداد ونشرها أو انتشر بها على اللغـة ، أن الضد وجوده ليس بالقصد إليه وإنما كان من عموم المفهوم اتفاقاً فهو من لواحق الماصدق. وانظر كيف يخرّج مثلا (وراء وجلل وسواهما) التي ذكروا أنها ضد قال (وراء) حرف موضوع بمعنى التواري وهو حاصل في الأمام والخلف. و(جلل) حرف موضوع للغاية في الشيء فيوصف به العظيم والحقير ، ثم قام مقام الموصوف فكان ضداً الخ . وكل مايهول به من هذا لايخرج عن أن يكون اجتهاداً صرفاً لاشاهد عليه من اللغة يثبت له هذا الانفصال .

وأما نحن فنرى في وضعه رأياً آخر يجعل كل تقدير يرمي إلى عدم قصده بالوضع خطأ محضاً. وذلك لأنا رأينا كيف كان العربي يستخدم الملاحن في أغراض حازبة وظروف مرغمة محرجة ، على ماعرض علينا القالي من أمثالها وشيخه ابن دريد من قبله فى كتاب (الملاحن) . وتجاوز ابن دريد حد العرض إلى نوع من الاستفادة بها لايبعد أن يكون كذلك عند العربي ولهذه الغاية . قال في سبب التأليف (إنه وضعه لأجل المضطر والملجأ إلى الشهادة أو اليمين) أي وضعه حيلة قضائية عن طريق اللغة وإذا صح هذا فقد كان العربي يقصد إلى الوضع على هذا النحو من الغموض ليتسنى له تحقيق أغراضه حين الملحفة ، والابانة عن أفـكاره حينما تحوم من حوله الاذن . وإذا كانت الاضداد حيلة لغوية تفسر على هذا الوجه فيتحتم علينا جـداً أن نتريث في درسها لأنها قد توقفنا على نحو من (الشيفرة) عند العرب إذا قبلت هذه التسمية، وسواء صح هذا الرأى فى منشأ الاضداد أولا ، فان من الخطأ نحوياً النظر إلى الضد كظاهرة وحده بل ضروري أن يجعل وجهاً من الاشتراك اللفظي . وعليه فيقسم الاشتراك الى قسمين .

(١) (ملاحن) كمين وحاج .

(٢) (اضداد) كبعد ووراء .

وليلاحظ هنا أن الملاحن اللغوية ، غير الملاحن الأدبية لأن الأولى مرتجعها الى تعدد الوضع فيها والثانية مرتجعها إلى لباقة الاستعمال وتصنع الكناية ولو في الموضوع وضعاً واحداً كما في قصة الأسير في بكر بن وائل. وإنما نبهنا على هذا لأن ابن دريد اتسع في كتابه للنوعين بدون تنبيه ولا تفرقة.

على أنه يبدو لنا وجه آخر يمكن أن ينزل منزلة الاعتبار أيضاً في هذا الذي يسمونه بالضد وهو الاستعمال [1] الخطأ وغلبته

وبالاجمال فالاشتراك الذي الضد نوع منه، ظاهرة من ضعف اللغة وطفوليتها مهما التمس لتفسيره ومهما استخدم في شرحه وتعليله . وأما من حيث مايلزمنا منه اليوم في العمل اللغوي فانه لايلزمنا في شيء بل على العكس يضر به ضرراً بليغاً ويغلبه بكثير من القلق وعدم الاستقرار .

الترادف

يتخذ بعض من دارسي العربية اليوم ، الترادف علامة على قلق اللغة . وبعض آخر يتخذه أثراً من الاختلاف القبلي أو مايشبه الرواسب المتبقية من جراء امتدادات طويلة . والحقيقة وإن كان في المذهب الأخير شيء من القوة والصدق ليس هو كل الحق .

---

(١) وربما وجدنا الشاهد عليه في العربية الشائعة اليوم فان الاستعمال المشهور جرى على احلال البرهة في محل الفتره القليلة من الزمن وكان الوضع العربي القديم ارادها لمعنى عكسي تماما ولكن من يفهم استعمالها اليوم على حسب الوضع ومن يستعملها على مقتضاه وأذكر قصة وقعت لصاحب لي كان يدارسني القاموس فبينما كان يسرد مقدمته اجفل على معنى الدهشة لكون صاحب القاموس وهو من هو يستعمل لفظ البرهة في غير ما وضعت له حين قال (كنت برهة من الدهر التمس كتابا جامعا بسيطا ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطا) ولكنه دهش ثانية حينما نبته الى أن هذا صواب استعمالها والشائع هو الخطأ.

وأما الرأي الأول فليس إلا منكراً من القول وزوراً لاريب في ذلك ولاشك، ولقد يكون صحيحاً لو لم يكن من مواد لاتزال دارجة في اللغة ولها حياة قوية. فان من المعقول أن وجود مواد الاشتقاق بخصائصها المعنوية التى تعين ملحظ الاشتقاق في المترادف دليل على قصده بالوضع ، فأين منه القلق المزعوم .

كما أن تعليله بالاختلاف القبلي ليس مقبولاً على إطلاقه ، لأن من المعقول أيضاً أن الاختلاف بينها لن يبلغ هذا المبلغ الكبير إلى حد أن يكون الترادف في رقم الاربعماية أحياناً وفي رقم المائتين كثيراً وهكذا مما ذكره حمزة الاصبهاني . حتى قال ابو منصور الثعالبي (كثرت أسماء الدواهي من الدواهي) .

والحقيقة فيه انه عنوان على فراغ الأمة إلا من القول من وجه وعلى مرونة اللغة من وجه آخر ، وبما انه أصبح صفة ظاهرة من العربية إلى حد التفرد وليس هذا فقط بل أصبح الأديب العربي يضيق جداً اذا لم تكن له فسحة من الالفاظ الشتى التي تتلاق على معنى واحد ، وجب على الواضع الحديث أن لا يهمل هذه الناحية أبداً وفي اللغة كفاء وغناء . ولكن ضعف الطبع اللغوي في اللغويين جعلهم يتمنون على اللغة الأماني ، يتمنون أن لو كان لهم بهذه الكثرة من الترادف غنى يتناول ما في العلم وما تجيش به النفس ، ولكنها أمنيـة لو علموا تناهم أنفسهم دون اللغة . فان في هذا الترادف الذي سخروا منـه جوابها على الإجيال . هذا غناي إلى حد التزيد وهذا ضعفكم حتى عن الاستفادة بالاعلام المنثورة في متعرف السبل .

تداخل اللغـات

لا أدري مقدار تأثير هذا العامل في اللغة على وجه التحديد، وان كنت لا أرتاب فيه كذي أثر في توليد عدد من المواد والمشتقات ، وكما أظن بأن من الخطأ الشك في تأثيره وعمله ، كذلك أظن بأن من الخطأ المبالغة في عمله إلى الحـد الذي يصطنعه دارسو اللغة اليوم . لأنا على شبه اليقين أو اليقين كله في أن اللغـة خضعت لقوانين عامة ومواد عامة ، وكان أكبر الاختلاف يرجع الى اللهجة فقط ، وأما هذه الانفرادات

القَبَلية التي يرويها اللغويون فهي بقايا من متارك التطور عند التحقيق . كما رأينا في اسم الفاعل (من حديث التطور) ولكن هنا نذكر رأياً غريباً في اسم الفاعل نص عليه الفيومى قال[1] (وذهب آخرون إلى أن ورود فاعل من المضموم في الأصل من لغة أخرى فيكون من تداخل اللغات)

يمكننا أن نرى في دعوى هذا الأخير مقدار المجازفة ، فان دعوى التداخل لا تتم إلا بثبت هو أشد ما يكون افتقاراً اليه . ونخرج من جملة خلاف الجماعة بأن الشواهد المنصوبة من اللغة تثبت كل هذا الاختلاف . فهي تشهد للمنع كما تشهد للصحة وتقرر القضية بين السلب والإيجاب مما نفهم بأن للمسألة تعليلاً آخر غير ما يقدرون هو ما سبق لنا الاجتهاد بتقريره ، سنة عامة في اللغة فهي أثريات مضمحلة أو تنويعات لم تتمم والشاهد في هذا أن كثيراً من اللغويين كانوا يلجئون إلى دعوى التداخل كلما ضاقت بهم وجوه الحيلة في تعليل ما يقعون عليه من شذوذ . واليك شاهداً آخر ، تفهم منه أن لا معنى لهذا الاتساع في فهم التداخل والاختلاف القبلي . وهو ما أورده[2] صاحب المصباح ، أفعالاً عن مجيء فاعل لا فعل كامحل البلد فهو ما حل ثم نقل عن ابن القطاع زعم انها من تداخل اللغات . وهو خطأ من جملة ما هو من باب هذا التقدير ، وذلك لأنه بقي بين أيدينا ما يبين لنا نحواً من التلبد اللغوي وتداخل الأوضاع بنسيان الخصوصية أو بتقاربها قالوا (أحبَّ الرجل ومفعوله محبوب وحَبّ وفاعله مُحِبّ) واستغنوا بهذه المداخلة غير المقصودة عن حابّ ومُحَبّ لتقارب الخصوصية بين المزيد والاصل ، ويؤيد هذا مجيء اسم الفاعل من هذه الرباعيات على وجهه كما في أوْرَس فهو وَارِس ومُورِس وان نصوا على قلته أي مورس وكونه قليلاً يقوي لنا وجه الاستدلال به . لأن قلته عنوان على الأخذ باماتته بحكم الاستغناء عنه . وبالجملة فالتوسع بفهم الاختلاف القبلي والتداخل إلى هذا الحد خطأ محض . وقدامى اللغويين لم يغفلوا عمل هذا الضرب بل زعموه في الاعراب

---

(١) راجع المصباح المنير ج ٢ ص ١٠٦٦
(٢) راجع المصباح ج ٢ ص ١٠٧٠

واللغة على السواء ، وساقوا من أمثلته في اللغة (هلَك يهلَك) وأمثلة سواها ذكرها ابن خالويه والميداني ، وليس بنا حاجة إلى ذكرها هنا ونكتفي بمثل نبني عليه رأينا في الكيفية التي تمكننا من الاستفادة في العمل اللغوي الجديدة .

قالوا على ما ظن النحاة بأن هلك كانت تنطق في قبائل من باب (ضرب) وفي قبائل من باب (طرب) فداخلوا بين اللغتين . وهذا ظن قد يكون صحيحاً وسواء أصدق أم لا فان سبيل الاستفادة منه على وجه أن نداخل بين البابين لافادة أخرى فباب ضرب هو الأصل وباب طرب يدل على المفاجأة فنداخل بينهما لافادة الشيء يجيء تارة مفاجئاً وتارة على الطبيعة فاذا حللنا عليه (هلك) مثلا دلت من باب ضرب على الهلاك الطبيعي ومن باب طرب على الهـلاك الفجائي وفي التداخل على الهلاك مما لا ينتظر كالموت من الجرح البسيط بالتسمم . ويسمى هذا العامل بعد تقريره على هذا الوجه (بتداخل الاوضاع) .

الرباعى

لن يكون حديثنا عن الرباعي أقل مفاجأة من كل ما رأيت أو سمعت في منشأ الثلاثي وأدواره التي يعيش فيها على ما تمادى بنا التقدير هناك ، ولكن شيئاً سيتميز به هذا الحديث ، وهو ان له مسحة الحق من كل وجوهه ومعناه أيضاً . فهو حق يمكنك أن تطمئن اليه في غير تردد ولا ضعف منه ، ويمكنك أن تعتمد عليه في درس كل ما تحتفظ به المعاجم من الكلمات على الرباعي في غير وجل من نتائجه وأي وجل في التعويل على ما يفسر العربية من هذه الناحية تفسيراً صحيحاً وتصدق عليه صدقاً مطلقاً . وهو وان يكن تقديراً يري العربي على بلوغ لغوي حيث يعتمد ارتقاآت نظامية جداً وقواعد فيها من العقلية شيء غير يسير ، وهذا قد يستبعد مع ما كان عليه العرب من فطرة مطلقة ، فانه الحق الذي لا سبيل إلى سواه . ونحن مهما حاولنا أن نغمض النظر عن نبل العربية فانها ناطقة بذلك . ومن ثم كان من الخطأ أن نفسر اللغة بتاريخ العرب وانما نكون أكثر قصداً اذا فسرنا تاريخ العرب باللغة ،

وستكشف الأيام عن شيء غير يسير . وعلى أي الاعتبارات فاني أعتمد ما وصلت اليه من هذا اعتماداً غير محدود . ولنأخذ بالكلام عليه دون أن ننظر الى استبعاد مستبعد أو استنكار مستنكر ما دمنا نفهم منه كل ما نريد أن نفهمه من العربيةوكفى.

نرى في الرباعي أنه حلقة من حلقات التطور اللغوي وقد وفق فيه جيداً إذ توسل اليه ببساطة ودقة حتى كان عملاً فنياً منقطع النظير، واكثر ما يقضي به العجب انه استطاع أن يحفظ الفكرة الواضعة على تطورها ، وأن يجعل منها كائناً له أطواره الحية ومراحله التامة .

وهنا نستطيع أن نحصر خلافنا مع الأولين وقدامى النحاة . فهم يظنون على وجه العموم انه نشأ بواسطة النحت والاختزال من ثلاثيين ، فالرباعيات أو أكثرها ترجع عند هؤلاء إلى ثلاثيات اختزلت ، وهم يطمئنون الى هذا الظن كثيراً، وربما لا يشكون فيه فان ابن فارس اعتمده بصورة محضة في كتابه (مقاييس اللغة)وخرج عليه من هذا شيئاً كثيراً. وهذا التخريج إن يكن يدل على شيء فعلى قدرة لغوية فقط وتحيل عقلي ، واما شيء غير هذا فيما يتعلق بأنه صواب في نفسه ، وصحيح انه كذلك كان في صنيع العرب فليس من وجهه . وأظن بأن الذي روج لهذا التقدير ان كل الذين تناولوا العربية وحملوها وتخصصوا بعلمها كانوا أجانب يرون في لغاتهم شواهد منه فأخضعوا العربية لما ظنوه قانوناً لغوياً عاماً تشترك فيه اللغات على اختلافها وتباين ما بينها . وأياً كان حقيقة تعليله فالأمر الذي لا ريب فيه ان الأولين اعتمدوا الاختزال اعتماداً كاد يكون قانوناً يستندب في درس أي رباعي ومضوا على هذا قدماً في غير خلاف ولا نكرة . وهؤلاء هم أصحاب المذهب التعلبلي للغة ومع ان أسلوبهم غلب فى العهد الأخير وظهر في كتابات كل اللغويين بقي في نظرهم كشيء ظاهر الغرض لا يطمئن اليه إلا كما يطمئن للنكتة المستملحة . ولهذا لم يتناولوه كثيراً بالتمحيص ومحاولة التصحيح بل اقتصروا منه على مقدار ما به تكون تطريات الدراسات اللغوية التي قد تحتاج إلى طرافة من هذا القبيل . واما انهم عولوا على نتائج التقدير المذكور كما لو كان شيئاً يتم به التصحيح فلا . ولهذا لن اعنى كثيراً بالتوسع في محاذبة نظرية الجماعة لأنه ليس لها عناصر النظرية قبل أي اعتبار .

ولنخلص من هنا لتقرير نظريتنا في المزيد على الثلاثي مطلقاً في غير ما تكون الزيادة فيه حرفية وقد تقدمنا بشيء من هذا في الكلام على نشوء الثلاثي . قلنا يفرغ العربي من كل الوضع في الثلاثي ولا تزال في نفسه بقايا من معاني الاشياء لا يجد لها ما يحدها أو يحكي عنها في معجم الالفاظ . ولما كان للحروف اعتبارات ومعان. وهذا ما لا ينكر في مذهب اللغوية العربية ، فيدلف من طريقها ليعبر عما يلامس نفسه ويجده في الطبيعة مما تسخر له اللغة ، فكان أن ابتدع المزيد الاشتقاقي باضافة الحرف على آخر الثلاثي ليدل المؤلف الحرفي دلالة الثلاثي تزيد فيه الخصوصيـة على مقتضى الحرف وهذا هو الرباعي الأصم المعروف كذلك في تعبيرهم ، ومثله الخماسي وما اليه. وهي نظرية تبدو لأول وهلة شاذة غريبة ، بيـد أن الاستقراء والاستقراء وحده يصححها ، وسنرى في عرض الأمثلة بساطة متناهية تحكي الحقيقة في غير اصطناع ولا شطط . وماذا كنا نفعل لو أخذنا بأسلوب الاكراه والعنف سوى إنا نفرض على اللغة ما نريده فرضاً وسوى أنا نراوغ لأجل ما نريغ اليـه فقط . وفي نظري انه لا يستقيم لنا بحث إلا اذا صححنا طريقة العرض المتبعـة اليوم ، تلك التي تكون في حقيقتها عرضاً للنفس وللفكرة الشخصيـة فحسب . ولذلك كنا في أكثر أبحاثنا المنتشرة شخصيين على وجه خالص ، ولهذا أسباب من التقاليد التثقيفية التي تكيف اتجـاه التفكير عندنا على نحو قاصر جداً يكون لحركة الرحى تنبعث وتستقر في جهـد ضائع لا ينتقل بوضع الرحى ولا يترك شاهداً على انه كان أو انه وجد .

وبحسبي أن أتخذ سبيل العرض المجرد فقط بدون أية محاولة تكون في صـالح النظرية وأنا أطمئن إلى هذا العرض وهذا البسط وهذا الاستدل أيضاً الذي اعتبره بريئاً بالمعنى المطلق، على اني أتجاوز في فقه وفهم أسلوب الاستدلال إلى حد أن اتهم كل محاولة تزيد عن حدود العرض أو توضيحه ، وكذلك يرى كل من يحترم الامانة العلمية و يفهم مقدار ما في المجازفة خارجاً عنها من تبعات و يقدرها قدرها الصحيح .

(جخدب) الضخم الغليظ يرجع الى (جخد) الضخم وهذا يرجع إلى (جدى) الذي من مشتقاته الجدية بمعنى القطعة المحشوة و يظهر معنـاه في (جد) ومن مشتقاته ما بمنى الاتان السمينة .

(طمرس) اللئيم يرجع الى (طمر) ومنه الخبأ والدفن وهذا يظهر معناه في (طر) ومنه ما بمعنى الخلس والوغد .

(قلطف) الخفة في صغر جسم ترجع إلى (قلط) القصير جداً من الناس والخفيف وهذا الثلاثي يرجع الى (قطى) بمعنى قارب الخطو ويظهر معناه في (قط) ومنه فلان قارب الخطو وأسرع .

(طحلب) خضرة تعلو الماء المزمن يرجع الى (طحل) بمعنى فسد الماء وأنتن من حمأة ومنه الطحل الماء المطحلب وهذا يرجع الى (طلى) ومنه قولهم المنهل الطالي أي المطحلب .

ويقوي نظريتنا في الرباعي تقدير الامام أبي العباس ثعلب في (زغدب) انه من (زغد) والباء زائدة وتقدير محمد بن حبيب في (عنسل) ان أصله (عنس) ولكن العجب من ابن جني هذه اللهجة التي قابل بها تقدير الامام ثعلب في(زغدب) واليك عبارته قال[1] في الكلام على بغثر بن لقيط (كأنه من معنى الابغث ولست أقول ان الراء زائدة كما قال احمد بن يحيى ان الباء من زغدب زائدة لأنه أخذه من الزغد وهو الهدير يقطعه البعير من حلقه ، هذا ما لا أستجيزه وأعوذ بالله من مثله وأحسنُ الظن بأبي العباس أن يريد ما نذهب اليه نحن في نحو سبط وسبطر ودمث ودمثر ولؤلؤ ولآل وجعفة وجعفلة من انها أصول تقاربت وليست من واد الخ)

لهجة قاسية حقاً هذه التي توشح بالاستعاذة وعدم الاستجازة وكأن الأمر منكر لئيم من القول وعدوان من التخريج ، كل ذلك لاقتناعهم بامرين الاختزال في الرباعي، وان الرباعي مولود ابتداعي لا ينظر الى وجود سابق .

الرباعى المثلى او الجمْلى

تقف هنا على عنوان جديد ورأي جديد ، لم يتعرف عليه الأولون إلا على وجه

---

(١) راجع المبهج ص (٥٠)

عام . فهم لم يتركوه على معنى الاهمال له ولم يدرسوه دراسة تعنيه بالذات ، وانما من حيث كونه وجهاً من الرباعي أو بعبارة أصح مثلاً من أمثاله . هذا صحيح وقد كانوا موفقين نوعاً ما في فهمه والذي نعنيه بالتوفيق انه وحده الذي يمكننا أن نسلمه لهم على سنتهم في اعتبار الرباعي وكونه .

فالنحت له عمل ثابت في هذا النوع بعينه من الرباعي فقط لا شك في ذلك ولا ريب . ومن قلة محصوله في اللغة نسمح لأنفسنا بأن لا نعده في جملة القوانين التي عملت الثروة الهائلة ولا تزال آخذة بعملية الخلق والتكثير . وينبغي علينا أن نعين الآن ما نعني بكل هذا الذي نقوله .

قررنا منذ هنيهة بأن الرباعي ليس في الحقيقة وليداً إلا لزيادة الحرف فقط حسب أي ليس وليداً للاختزال من الثلاثيين فأكثر مما أكثروا التهويل به في ماضي حلقات الدرس المرسل . وقدمنا هناك مقدار ما تشهد به اللغة للظن الذي نظنه ، ومقدار ما تشهد به من تكلفة التقدير الآخر حتى كأنها تقول بأنه ليس منها . ولكن في هذا اللون من الرباعي نحقق انه وليد النحت وأثره ظاهر فيه بحيث لا يقتضي مجهوداً تبينه ، فلو أخذت (بسمل) و (حوقل) ومثلهما ثم تعاطيت لاذن عربية أي على طبع منها ، لم تترد في التعويل على التخريج لهما من بابه . واذا صح هذا فيمكننا أن نتحقق من الشروط التي تلزم في النحت . ونراها في أمور

(١) المفاجأة أو الكناية أو المثل : مما فيه اعتبار مجازي طريف أو تعريفي .

(٢) السهولة اللفظية .

(٣) وضوح الاختزال : ونعني بهذا أن لا تشبه صورة المنحوت رباعياً له معنى مادي .

ومع انا لا نحدد مجيئه من الكلمات فان مما يجب أن يلاحظ فيه ان مجيئه من الجملة المؤلفة من أكثر من كلمتين أكثر جداً . ويجدر بنا أن نأتي بتطبيقات على ما نرسله أو نُلَقّيه حتى لا ننتظر من غير العربية حكماً أو ملحظاً اعتبارياً .

قالوا (بسمل) و (حوقل) و (حيعل) الخ ونقتصر من أمثلتها على هذا

المقدار وفيه غناء . فان (بسمل) وأصلها (بسم الله الرحمن الرحيم) كناية مبنية على اعتبار طريف عند ابن ابي ربيعة في قوله :

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها فيا حبذا ذاك الحديث المبسمل

و يقوم على سهولة لفظيـة وعلى وضوح في الاختزال . و (حوقل) وأصلها (لا حول ولا قوة إلا بالله) تشتمل على مفاجأة وسهولة ووضوح . و (حيعـل) وأصلها (حي على الفلاح) تشتمل على مفاجأة أو كناية وسهولة ووضوح . و يحسن بنا أن ننبه هنا بأن المختزل الواحد قد يكون وارداً مختزلاً لاعتبارات شتى وكلها يقتضي عين الاقتضاء .

وقد جاء المولد أحياناً جامعاً لكل ملاحظ الاختزال وأحياناً قاصراً عنها فمثلاً (صلعم) كل القصد فيها السهولة فقط ، فلا تكون محيطة بكل ما يلزم فيها . بينما جاء بها الزمخشري على وجهها تماماً في قوله :

قد شبهوه بخلقـه فتخوفوا صنع الورى فتستروا بالبلكفة

فان (البلكفية) وأصلها (بلا كيف) كناية مبنيـة على اعتبار لاذع من التعريض وتشتمل على سهولة ووضوح ، وهي منه حسنة جداً وطريفة للغاية وجيدة أيما جودة . وكذلك يكون ذو الحاسة الفنية الدقيقة ومن كالزمخشري لغـة و بياناً .

هذا رأينا نعرضه بعد دراسة نظنها سامحة لنا بكل ما أتينا به من استنتاج حول الموضوع .

الرباعى غير الأصم

لن نقول شيئاً جديداً حول هذا اللون من الرباعي ، ولكن سنأخذ بمناقشـات على ما قالوا فيه وما ظنوا في نشوئه وما قرروا في معناه ، وليس قليلاً أن نتبين ان غاية ما تكلفوا فيه لم تكن إلا احتمالات مرسلة في غير تحر علمي ولا توفر على الدرس المعتبر .

قالوا[1] في نشوئه أنه تضعيف بالزيادة على الثنائي المضعف فكبكب أصله كبب ورقرق أصله رقق وأنشدوا

وتبرد برد رداء العروس في الصيف رقرقت فيه العبيرا

أراد رققت . هذا ظنهم في نشوئه وهو يقوم على تتبعات غير وافية ودراسة جد ناقصة لاتكون خليقة باعطاء نتيجة ما. وفيما إذا أخذت بالاستقراء تخرج بنتيجة صادقة جداً ولها اعتبارها وتقديرها الواقع ، ونحن هنا سنأتي على مااستطعنا فهمه فيه وأراني غير مقصر بدرك واقعه .

ينشأ الرباعي غير الأصم من ثنائيين يراد بضمهما (دلالة بين بين) وإذا صح فيه هذا الظن الذي يستقيم معناه عليه كثيراً ، أمكننا أن نتحقق من صدق ماتقدمنا به من اصالة الثنائي في اللغة . وأدركنا شيئاً آخر له قيمته، وهو أن هذا الوزان متأخر بمشتقاته لأنه يدل على معنى تركيبي في صورة البسيط . وكأنهم لاحظوا فيه التركيب الذي صارت عنه وحدة كما في الحركات العكسية المتعاقبة . فالذهاب والاياب السريعان المتعاقبان على المكان الواحد يقال عليهما من هذا الوزان . وعليه فيكون ثنائياً مكرراً لافادة تركيبية فاصل (ذَبْذَب) ذَبّ وذَبّ ، و (رَقْرَق) رَقّ ورَقّ وهكذا ويدل لما نذهب اليه قول ابن جني في الخصائص (الواو لا توجد أصلاً في ذوات الأربعة إلا مع المتكرر نحو الوصوصة والوحوحة) وهذه القولة تهدم مذهبهم هدماً حين أحالت ما يقدرون زيادته على مقتضى قولهم في (كبكب) .

ثم هم يقولون بأنه مضعف وهو خطأ . وانما هو مكرر . وفرق كبير بين التضعيف والتكرار ، ونحن اذا جاريناهم رأينا كيف يحاولون جعله وليد تضعيفين ،

(١) على الثنائي لتحصيل الثلاثي .

(٢) على الثلاثي لتحصيل الرباعي متخذاً وضعاً من التضعيف غريباً ومنفرداً شاذاً . وقد رأيت ما فيه من خطأ ومخالفة للأقرب اعتباراً وللأكثر، كما انا لا نرى عده في جملة الرباعي . واذا كان ما يشفع لهم في هذا فانما هو الصورة اللفظية التي

---

(١) راجع كتاب (ليس في كلام العرب) ص ١٧

تتألف عدديًا من أربعة حروف . والأقرب في مذهب التشعيب والتقسيم أن يعد قسماً من الثنائي وقسماً للثنائي المضعف وعليه فيقسم الثنائي إلى قسمين .

(١) الثنائي المضعف كشد ومد وجد وهكذا .

(٢) الثنائي المكرر كربرب ونضنض وهكذا .

وهم يقررون معنـاه خارجًا عن السماع ، بالقياس على مطلق الرباعي وهذا في نظري أشـد أوهامهم على الاطلاق . وذلك لأن هذا الوزان الذي ابتـدعه العربي لدلالة دقيقة جداً وفنية كثيراً يفقد كل ذلك بالذهاب مع وهم الجماعة المذكور . وأما معناه في نظري فقد صرحت بطرف منه قبل بضعة أسطر ، وخلاصـة المعنى فيه انه يغني عن العطف بالواو مع ملاحظة الورود على المورد الواحد . (فرقرق) مثلاً تدل على التموج الضعيف المتعاكس . ومن ثم قالوا (الرقارق) للضفاف التي يضعف فيها التموج و (نضنض) تدل على الانهاض الاين برشاقة وخفـة ، ومن ثم قالوا للأفعى (نضناض) وهكذا مما لو تتبعته إذا كنت تطاب المزيد .

وفائدتنا منه في الوضع الجديد كبيرة جداً . وبالأخص في الموضوعات العلميـة والصناعية كما في الذبذبات الكهربائية والصوتيـة والحركات العكسية والحركات الدولابية والرحوية بالاسنان .

النحت

لا يمكننا تجاهل أثر النحت في تهيئة الأوضاع التي تنتهي بها اللغات ، بل ربما كان له وحده الأثر الفعال في اعداد الالوان الشتى . ومع انا نفهمه بهذا المقدار نرى أن عمله أكثر ما يكون في الأساليب حيث تراد لتؤدي معنى واحداً على الانفراد . وأما في المادة اللغوية فعمله لا يكاد يذكر ، وخصوصاً في بناء اللغات التي تحتكم فيها الحركات دون الحروف ، وتقوم على الاشتقاق دون التركيب . ولذا كان في السامية أقل منه في الآرية وكان في العربية أقل من كل ما هو منه في سـائر الساميات الأخرى . والسبب الذي جعل العربية غير خاضعة لعمله على نحوين :

(١) قيام العربية قياماً كلياً على الحركات .

(٢) كون الثلاثي يدل دلالة تركيبية .

فان الأول يؤدي الى استثقال كل ما يدخله النحت من مثل ما وضعه بعضهم للفصيلة ذات الاربع الأيدي في الحيوان على طريق النحت فقال (أرْبَيَدِية) من أربع أيدي . وللبرشوت (ضِسْقُوط) من ضد السقوط وللبالون (سَفَنْجَوّ) من سفينة الجو وللجيولوجيا (أرْطَبَاق) من طبقات الارض و (مُحَرّ كْار) للموتير من محرك السيارة الى كثير من هذا الرطانة الممجوجة .

والثاني لا يترك مجالاً للنحت لأن عمله في الواقع لهذه الغاية المتأدية بالثلاثي العادي . وها هنا ملحظ ينبغي أن لا يفوتنا اعتباره ، فان له خطورته في درس النحت وهو ملحظ يظهر انه صحيح قريب . وهو ان الفطريين يجتهدون باعطاء تأديات تتناول الغرض المقصود من كل وجوهه بحيث تكون أقرب الى الاحاطة التامة . واليك مثالاً ذكره الاستاذ (Q. Velken) الهولندي في كتابه (بحث عن الامومة) من لغة قبائل (ما كاسل) وهو (Passarilattasgang) ومعناه اللغوي المقصود (الاخوة أو الاخوات) ومعناه الحرفي (النابتون من بطن واحد) بينما نجد مثل هذه العناية بالاحاطة تخف حماها كلما انتسبت الأمة الى نوع رقي عقلي يتبعه ارتقاء لغوي ضرورة ، حتى يكاد يكتفي فيما بعد بالرمز الى وجه المعنى رمزاً وينقلب الوضع تحكمياً أو لأدنى ملابسة ، ويظهر هذا ظهوراً واضحاً في المركبات الكيمائية الاصطلاحية وغيرها .

ويظهر من هذا ان اللغة عند الاولين تتحكم بالفكرة ، بينما هي عند الآخرين محكومة بالفكرة ومعنى هذا ان النحت يكون ضرورة حينما تضطر اللغة الى تأدية المعنى على هذه الصورة من التفصيل ومن ثم رأينا كيف انتحت سكان جزيرة (فا كوفر) كلمة (بكبيكوكس لكوس) بمعني الرجل الاوربي حتى صارت ليكبوس)

وكذلك اذا أردت درس النحت بفقه صحيح وجدته يدور في اللغات التي تكثر من الزوائد لتأدية المعنى الواحد . وهذه ظاهرة من طفولية اللغة ومن هنا قدرنا أن النحت لا يكون إلا في اللغات التي لم تبلغ البلوغ النهائي في التنزيل اللغوي .

هذا وان تقدير ان العربية لم تخضع للنحت يبدو لأول النظر غريباً ، بيد أنا

نطمئن اليه . لأن العربية لم تتناولها في بداءة تطورها حضارة تفضي بهـا الى تطور سريع بل بقيت تتطور تطوراً طبيعاً محضاً وعلى وجه من البساطة جعلها تحتفظ بكل مراحل التطور . فبقي للاحادي مفهومه وكذلك للثنائي . ومن ثم استعان العربي بهذه المخلفات على بناء اللغة بناء ثابتاً . واذا أردنا أن نحصي عمل النحت في العربيـة فلسنا نراه في غير الموازيين وبعض الادوات فعلية أو اسمية أو مشتركة وما سبق أن سميناه بالرباعي المثـلي وفيما عدا ذلك لا نكاد نقع له على أثر أبداً . ومن الخطأ بكل المعنى أن نذهب مطبقين لقانون النحت على العربيـة أخذاً باعتماد اللغات له ، لأن الواقع يشهد بأن العربية تنفرد باعتبارات هيأت لها مذهباً فذاً لا يتأتى تفسيره بمذهب اللغات سواها بل ربما كان هذا المنحى يزيدها غموضاً مطلقاً .

الخماسى والسداسى

لا اطالعك في موضوع الخماسي وما اليه بشيء جديد ، فقد أبدينا رأينا في زيادة الاشتقاق وهي تستوي في الرباعي والخماسي والسداسي ، وتلزم طريقة واحدة ومحلاً واحداً ، نكون منه في غير داعية الى تكرار الكلام عليه .

ولكن شيئاً واحداً سنفيض بالكلام عليـه وهو ما ذكرناه غير مرة في معرض الكلام على البناء وأعني به (السداسي) والحال أن سداسياً أصلياً لا يحفظ أبداً في شيء من الأسماء والأفعال . ونحن من هذا على خلاف ، لأن السداسية في المزيد الصرفي فرع السداسية في المزيد الاشتقاقي كما هو معقول . على ان عليه أمثلة لا تزال محفوظة في المعاجم وان كان اللغويون يخرجونها على غير بابه .

هذا وجه نحن منه على خلاف ، ووجه آخر وهو دعوى أن الخماسي لا يجيء من الافعال استناداً الى عدم الحفظ والورود ، وعليه ذهبوا يعللونه بعدم قابلية الفعل لثقله . قال العلامة الميداني في نزهة الطرف (الفعل على وجهين ثلاثي ورباعي نقصت الافعال من الاسماء بدرجة لثقلها وخفة الاسماء) ونحن لا نرى معنى لعدم مجيء الفعل منه مع مجيئـه من المزيد الصرفي ، وأي معقول في أن لا يكون وروده في الأسماء

دليلاً على وروده في الأفعال ، وعدم السماع ليس دليلاً على العدم لاحتمال أن يكون ترك العربي له اكتفاء بالرباعي واستثقالاً له ، وبالأخص إذا لاحظنا مجيء هذه الاسماء الخماسية صفات ، مما يكون في المنطق المعقول دليلاً على ان العربي صاغ منها أفعالاً ولكن أماتها بالاستغناء . ويقوي هذا أيضاً ملاحظة أن أكثر ما يجيء من الأسماء الخماسية يكون على صورة الفعل (كسفرجل) و (شمردل) . ومما يجعل منطقنا صحيحاً حينما ذهبنا نستدل بورود المزيد الصرفي . (الالحاق) فقد نجد الجماعة الصرفية على اتفاق في تخريج مثل جدول وكوثر وهما من الجدل والكثرة بالالحاق بجعفر ومثل (جحنفل) بسفرجل وهكذا مما يشعر بأن المزيد الصرفي مقيس على المزيد الاشتقاقي ، هذا صريح بأنه أصل وعليه فلا معنى اذن لأن نثبت الفعل في المزيد الصرفي الخماسي ولا نثبته في مثله من المزيد الاشتقاقي وبعبارة أوضح ، لا معنى لأن نثبت في المقيس ما لا نثبت في المقيس عليه في محل القياس . وكذلك لا معنى لأن نثبت السداسية في المزيد الصرفي ولا نثبتها في المزيد الاشتقاقي ، ونحن وان كنا ندعو في عملنا الاشتقاقي الجديد الى اعتبار السداسي ولكنا نقصره على الأسماء لأن التصريف يقتضي الزيادة والسداسي بلغ غاية البناء في العربية .

الابدال الاشتقاقي او المعاقبة

لا يحتاج الى تنبيه ان ما نعنيه هنا بالابدال غير ما اشتهر بالابدال على لسان الصرفيين ، ولا بأس من أن نفرق بينهما بالابدال الصرفي والابدال الاشتقاقي . وفي غير كبير جهد يمكننا أن نحدد غرضنا من الابدال الاشتقاقي الذي نريد به المعاقبة في الحروف المؤتلفة مع الترادف . ولكن يحول دون ما نبغي منه أن ما وقع فيه التعاقب ، وعلم أمره نذر جداً لا يفي بالقصد . بيد ان ما تقدمنا به من ان الاتباع يقوم على أساس الابدال مهد بين أيدينا سبيل استخراج جدول للحروف المتعاقبة أو القابلة . ولا يمنع من التعويل عليه انه قد لا يمكن تعليله لما انه يجري كثيراً في الحروف التي لا تنشا كل نوعاً ولا صفة وذلك لأن التعليل شيء آخر غير صحة العمل ،

والمقصد هنا ليس إلا تبين الاثار التي نهجها العربي لاحراز هذه الثروة في أكثر ما تكون غنى .

أثبت الأولون هذا الضرب من التنويع في اللغة بعنوان آخر غير عنوان الابدال ، لما أنهم اصطلحوه فيما يخص الابدال الصرفي فكان أن أخذوه بعنوان آخر ، وتتبعوه في الفاظ عدوا منها كثرة باسم (المعاقبة) ونحن نستحسن لهم هذه التسمية ، وان تكن كلمة الابدال أصرح بافادة المعنى المراد في قصد الاصطلاح ومميزات الابدال في نظر الأولين .

(١) يجري في حروف بعينها .

(٢) يكون تابعاً لرغبة المتكلم بتنويع المادة الواحدة .

(٣) يكون محتفظاً بدلالته على الانفراد .

هذه هي مميزات التعاقب كما يظهر من عباراتهم ، ومن هنا لم يجدوا في الاتباع صورة من التعاقب لأنه لا يكون إلا لاحقة ، فكان أن أفردوه بالتقسيم ولم يتخط البحث هذا المقدار على طيلة العهد بيد ما كان من السكاكي حيث أشار اشارة غامضة في الكلام على تنويع الحروف من أن الحروف المتقاربة المخرج أو الصفة تتعاقب ولم يزد ، على ان هذه الاشارة لا تقرر مذهباً أو تشيد رأياً . وجاء صاحب الفلسفة اللغوية وتناول الموضوع بالدرس المقارن وخرج منه بنتائج لا بأس بها غير انه لا يفرق كثيراً بين الابدال واختلاف اللغات ، والحال ان اختلاف اللغات شيء آخر ، ولذا لم يعد قدامي اللغويين مثل قول حاتم الطائي (هذا فزدي انه) وهو يريد (هذا فصدي أنا) معاقبة . ويظهر ان الذي حمله على هذا كون ملاحظته نشوئية وأياً كان فيجب على الباحث أن يفرق بين أوجه الابدال وأن يتوضح الفرق جيداً . ونحن نرى الابدال في شعب ثلاث :

(١) الابدال الطبيعي كما في اختلاف اللغات .

(٢) الابدال الاشتقاقي . وهو المعاقبة .

(٣) الابدال الصرفي . وهو الاعلال وما اليه .

أما الأول : فلا ريب في انه متأثر بعوامل النشأة وبما يحدها ، وشواهده كثيرة

في العربية القديمة كعنعنة تميم وتلتلة بهراء وفحفحة هذيل . وأما الثاني : فهو المقصود هنا بالبحث وذلك لنستفيد منــه في اعداد الثروة اللغوية كما استفاد العرب الأولون منه واستثمروه . وسنجتهد في تمثيله جيداً حتى نتمكن من الاستفادة في عمل الجانب الجديد من اللغة وفق ما طبع العرب عليه وحتى لا تكون اللغة إلا كما لو تساقطها مد الحياة فأورقت من الجانب الآخر بعد أن كانت تبدو فيه على ضمور وتقلص .

ونحن نرى على حسب الملاحظات التي قيدنا بها على مذهب الاولين انهم فهموا الوجه العملي من المعاقبة تماماً ، وانما نخالفهم في أمرين فقط .

(١) دعوى الترادف المطلق بين المتعاقبين .

(٢) دعوى ان الاتباع ليس معاقبة .

واذا صح ان الاتباع يجري في حروف الابدال استطعنا أن نضع جدولاً محرراً جداً لحروف المعاقبة ونحن لا نبدأ فنضع الجدول المذكور حتى نرى مقـدار ارتياح الرأي العربي لهذا التقدير . وفائدة الابدال في الوضع الجـديد ظاهرة جداً ، وذلك لأنه يفزع اليــه عندما تكون المادة قد استوفت الوضع ، وينبغي أن يُخضَع لشروط حتى لا يكون سبباً لاشتراك قريب .

(١) أن لا يستوفى من مادة الابدال كل موازين التصريف ، فلا يصـاغ منها مصدر وما أشبه اكتفاء بمصدر الأصل ولا يزاد فيها زيادات تصريفية .

(٢) أن لا تجرى عليها زيادة الاشتقاق .

(٣) أن لا تعم في كل دوائر الثلاثي .

(٤) أن تذكر في مادة المبدل منه لا في مكانها بحسب اقتضاء الحرف .

التعـــدى[1] واللزوم

حين انتهينا إلى النتيجة الخطيرة الشأن في موضوع الدراسات العربية ، حتى كان لها أن تغير وجهة الدرس العربي رأساً على عقب ، وتأخذ النقيض على ما كان عليه نقيضه ، وتبني الصرف وأيضاً النحو بناء آخر جديداً ، وتوضح كثيراً مما كان غامضاً وتشرح الشيء على حقيقته وعلى مقتضاه من الشرح ،وتفسره تفسيراً منطقياً ومعقولاً.

---

(١) بين يدي مواضيع ضافية طويلة الذيول هـذا احدها حاولت فيها درس ظواهر العربية في التذكير والتانيث والتضعيف والنقل والارتجال والافعال والاعراب والتعريب والمصادر والجموع والنسب والتصغير . ولـكن ظروف الطبع ابت الا اختصـارها في اسطر فاسقطتها وقيدت ما فيها من افكار جديدة.لتنشر إن شاء الله كاملة في الملاحق والاستدراكات على المقدمة.

(الافعال) تتلخص فكرتي في الافعال فيما عدا الجانب التاريخي والنشوئي الذي درست فيه اصل حروف (انيت) وكيف توصل العربي الي هذه الصور التى عليها الافعال مطلقا اذ كان منا التقدير بان الافعال على صورها مهذبة عن صور اخرى ترآى لى ان من بقاياها اسماء الافعال . عدا هذا الجانب التاريخي وما يتبعه يتلخص رأينا في الافعال بضربين .

١ — ما سبق لنا ان تكلمنا عليه وهو طرد الافعال مطلقا على باب (ضرب) .

٢ — قياسية كل المزيدات الصرفية ولكن لدلالات خاصة . وقد توصل الى شيء كبير من هذا الشق الثانى المأسوف عليه ظاهر خير الله الشويري في رسالته (اللمع النواجم) ولا يتسع المقام لايراد شيء من تخصيصـات المزيدات الصرفية على ان الصرفيين سقطوا على كثير من التحقيقات النفيسة فى بحث الافعال وبلغ بحث الافعال عندهم باكثر مما بلغ سواه ومن اراد تحقيقاً وتضيه على الافعال فعليه برسالة (اللمع النواجم) .

(التعريب) من اصعب البحوث ضبط التعريب حتى ان اللغويين القدماء انتهوا وما انتهت ابحاثهم فيه وخصه كثيرمنهم بالتاليف.وانا اخالف كل الجماعة السابقة في عمل التعريب وارده رداً عنيفا واعتقد بان الاسباب التي اظهرت حاجة العرب فى عصور مدنيتهم الى الاخذ به لم تكن سوى وقفة اللغويين والنحاة هذه الوقفة المنكرة ورأيي ان التعريب لا يدخل الا في نقل الاعلام ولكن بشرطين (١) ان ينقل العلم او الاسم على مقتضى الحروف العربية البحتة . فليس لنا من أجل نقل العلم ان نزيد فى ابجديتنا بل نُكَسِّر العلم على حروف الابجديه كما فعل العرب الاولون وكما يفعل الأجانب اليوم في كافة الاعلام الغربية والامثلة عليه أكثر من ان تحصى ولا داعي ابداً لايجاد (جاف) وما اليها وكان اول من فكر بزيادة حروف وحركات على وفق الاجنبيات فى العربية المرحوم الشيخ طاهر الجزائري فى كتاب (توجيه النظر)ولـكن رحمه الله كان أكثر حيلة حينما عمد الى احيائها من منطق العربيات المماتة (٢) ان ينقل العلم ايضاً مراعى فيه وزن عربي محفوظ وان لا يزيد عن سبعة احرف فاذا زاد انقص منه بحيث لا يخل بالعلم . وقد رتبت

وهي النتيجة التي قضت بأن العربية خضعت ككل شيء لناموس التطور العام ، وان القرآن تناولها وهي بين أيدي التطور أي لم تستقر بعد على أ كل الوجوه. بل لا زالت تنزع الى الهدف الأسمى الذي ترى مقدار ما هي تنظر اليه وتشخص نحوه في تماثل اليه وتسام قريب. حتى انتهينا الى النتيجة المذكورة التي لم تكن عليها ظاهرة واحدة من البناء أو الاعراب أو الاعلال أو الافعال أو الجموع أو تخصيص الموازيين أو همز المعل أو التذكير والتأنيث أو العروض بل كان لها ظواهر في كل ما من العربية في جوهرها وطبيعتها. وفي التعدي واللزوم ظاهرة أخرى من ظواهر قلق العربية وعدم استقرارها،

قواعد خاصة لنقل الاعلام لا يتسع المجال لذكرها هنا وهذا وان بدا غريباً نابياً فان للغة شخصية يجب ان تحفظ ومسحة يجب ان تظهر .

(الاعراب) نعتمد الآن في هذه الخلاصة ما انتهى اليه البحث الاستشراقي في الاعراب وفى حركاته انها بقايا ضمائر وادوات اشارية على ما ذكره العلامة (رايت) في كتاب (مقارنة نحو اللغات السامية) وانتهينا الى رأي جديد في التنوين وهو ان العربي لما أقر لغته فى اللفظية واستوى منطقه على اشده كره الصوتية فى الحركات الاعرابية التى يقتضى مدها عند الوقف عليها ظاهرة . فقطع المد بالتنوين وقد ظهرت محاولته هذه في تنوين الترنم من مثل قول الشاعر (اقلي اللوم عاذل والعتابن) والاصل العتابا . واذا صح هذا فيكون العربي قبل التنوين كان يقف على الحركات ممدودة مما يشعر بصحة الملحظ الاستشراقي والشيء الملفت حقاً هذا التناظر الشديد بين جمع المذكر السالم وبين المفرد المنون فى حالة الرفع في المفرد تقول (زَيْدٌ) بحيث لو مدت الضمة قليلا مع الاحتفاظ بالتنوين نشأ منها (زيدون) وكذلك في المثنى مما يظهر معه ان النون في الجمع تنظر حقيقة الى التنوين في المفرد .

(التذكير والتأنيث) في غير شك ان التذكير والتأنيث لم يتنقيا في العربية من الفوضى خذ العنق والابط والابهام الخ ثم أخذا بالاستقرار بعلامة فارقة اطردت بالتاء وكثرت بالالف المقصورة او الممدودة . وهذه الفوضى عزاها الاصمعي والمفضل وابن الاعرابي من الرواة الى الاختلاف القبلي وكذلك النضر بن شميل وسيبويه من النحاة وهم يطمئنون الى هذا الالتماس ونحن لا نطمئن ولصعوبة الموضوع خصوه بالتأليف ولكن يختلفون فيه اختلافاً كبيراً فما يقطع ابن سيده بتذكيره يجوز فيه الازهري التأنيث. ونحن نفهمه على انه كان امراً اعتبارياً يدور مع الملاحظة بدليل ما ذكر صاحب الامالي من ان اعرابيا سمع يقول فلان جاءته كتابى فاحتقرها ذهب الى معنى الصحيفة. ويقويه ان الاولين يتوهمون ذكورة وانوثة في غير الحيوانات. ولكن كما قلنا أخذت العربية بالاطراد تذكيراً وتانيثاً تبعا للعلامة فما ليس فيه علامة وهو مؤنث فاثري متخلف ولقد أحس بهذا بعض قدامى اللغويين كابن السكيت وابن الانباري فقد نقل الفيومي في خاتمة المصباح عازيا اليهما (ان العرب تجترىء على تذكير المؤنث اذا لم تكن فيه علامة تانيث) هذه

الذي غمض على علماء العربية السابقين وجه تعليله ، فاحتالوا بضروب من الحيلة حتى يستوي في ملاحظ يتسق مع ما يبدو من الاختلاف . وكذلك انتهى بهم الاجهاد العقلي والتفكير الطويل الى ما دعوه بالتضمين النحوي ، وهو بدون شك افتراض قدره النحوي ليعلل به هذه الظاهرة الغامضة ودائماً كان الافتراض سنة الشرح والتفسير . وهنا نقص حكاية التضمين كما نتصور منه . لما أخذ النحوي يحدد مفاهيم الادوات وانتهى إلى أن (على) تفيد الاستعلاء و (في) الظرفية و (الباء) الالصاق. أعترض بأمثلة لا يمكن أن تخرج على معانيها أو خصوصياتها فكان معقولاً (وهو لا يقدر بأن للعربية أدواراً عاشت فيها فقد تكون متخلفات) أن يقدر شيئاً آخر ، فقدر التضمين واقتنع به واطمئن اليه في كثير من اليقين ، ولأن كل القصد قد كان تفسير وجه النحو فنسب اليه. ولما قويت حركة البيان أخذوا هذا التضمين على وجه آخر ودعوه بيانياً وهو يقوم على ملاحظة معني لفظ المضمن والمضمن فيه ، ومن ثم اختلفوا في أنه حقيقة أو مجاز أو واسطة أو جمع بين الحقيقة والمجاز وهكذا مما تجده في حاشيه (يس) على التصريح . ونقل الانبابي في تقريره على حاشية السجاعي لقطر ابن هشام

القالة التي تحفظ عن ابن السكيت وناهيك به تفسح المجال لظن أكيد الصحة . وعليه فالتصنيف الذي نراه لكلمات العربية مطلقا .

١ — يتعين التذكير أو التأنيث فيما كان وضعه على الحيوان بفارقة أو بدونها وهذا ما يسمى بالحقيقي .

٢ — يتعين التذكير أو التأنيث تبعا للفارقة في غير الحقيقي .

٣ — يترجح التذكير فيما لا فارقة فيه نظراً الى ان العربي يجرؤ على تذكير ما ليس فيه علامة .

(التضعيف) انتهينا فيه الى انه على ضربين (١) التضعيف البسيط وأمثلته معروفة . (٢) التضعيف المركب وهذا شيء نحن نراه تعليلا لمجيء زيادتين في أوزان العربية كمثل (فعفعيل) و (فعلمال) وتأمل هذا التناظر المدهش بزيادة الفاء والعين في الاول وزيادة العين واللام في الثاني .

(الارتجال والنقل) ليس عندنا شيء غير منقول وما زعموه من الارتجال توهم محض جاءهم من عدم الحفظ لمادة الاشتقاق أو من المجيء على خلاف القياس والحال ان القياس معناه ما استقرت عليه العربية بعد تطورات طويلة . فما يسمونه مرتجلا هو من هذه البقايا الاثرية . وبالجملة فالاعلام في نظري تشتمل على قدر زاخر من تطور العربية لأن الاعلام تمتاز عدا عن انها وليدة انفصالات عدة بكونها تتناقل عادة على صورتها .

تصريحاً مهماً وهو ان أول من قدر التضمين البياني العلامة الأول السعد، اخذاً من عبارة وقعت للزمخشري في الكشاف على ما ذكره ابن كمال باشا في رسالة التضمين .

هذه حكاية التضمين في قسميه النحوي والبياني على ما نرى، وهو حق من كل وجوهه فاذا كان كل أمر التضمين البياني عبارة تقع من الزمخشري لم يردها محصلة أبداً لما فهمه السعد وبنى عليه . فكذلك كان الشأن من قبل في التضمين النحوي . شيء أدت اليه مصادفة الألفاظ المرسلة، والذي عندنا من أمره انه وان كان تكلفاً لاغباً في أوله، فقد عاد وله محل من الحاجة على أن يصطنع بمقدار من فصاحة البيان . وبحسبنا هذا المقدار من حديثه لنأخذ في حديث التعدية واللزوم وما هو في أصله ؟ والوضع الذي ينبغي أن ينتهي عليه . وهو لمن يريد أن يتناوله بالدرس على وجهين :

(١) كيف التعدي واللزوم .

(٢) معاني الحروف والتعديه على معانيها .

أما الأول : فيظهر ان الأصل في الافعال القصور على النفس واللزوم لها والتعدية من عوارض الافعال الثانية، فكان من المعقول أن تبدأ الأفعال وهي لازمة ثم تأخذ في تعدية عملها . فاذن التعدية فرع اللزوم وهذا معنى قول الاولين (واقع وغير واقع) . ولقد جنح العربي الى التعدية بعدة وسائل بالحرف والهمزة والتضعيف ثم يكتسب الفعل التعدية بنفسه . وفي هذا شاهد جديد على ما قررنا من تأثر الأصل بالحالة التي يكون عليها الفرع . وهذا ليس كلاماً مرسلاً بل فيه شكلة شديدة من الحقيقة واليك ما يشهد له قالوا (وقف، واوقفه، ووقفه) وعدوا (بباب المغالبة) وهو رجوع بالمزيد المعدى الى الثلاثي اللازم ليتعدى تعديته وبحسبي من شواهد الرأي المذكور (باب المغالبة) .

واليك صورة التطور من اللزوم الى التعدي على ما اتضح لنا .



واذا صح ان التعدية تسير هذا السير الارتقائي كان لنا أن نتحلل من بعض قيود التعـدية واللزوم لا على اطلاق القول فان فيه ما يذهب بشخصية العربيـة وطابعها من بعض الوجوه .

وأما الوجه الثاني : الذي هو معاني (الأدوات) والتعدية على معانيها فأكثر ما يكون لزوماً ، و بالفعل قد أخذت العربيـة في هذا السبيل وقطعت شوطاً واسعاً فيه كما يظهر في (على وفي واللام) .

وقبل أن أنتهي بالكلام عند هذه الغاية المجملة أنشر تساؤلاً وأجتهد بالجواب عليه . لماذا لزمت بعض المصادر ومشتقاتها التعدية بحرف شخصي من مثل (قصد) الذي يعدى (بالى) و (عمد) الذي يعدى (باللام) على ما هو الافصح، وتخصيص الحرف بالفعل يكاد يكون عاماً في مصادر العربية اللازمة . والذي يظهر انه آت من تدقيق الملابسة بين تمام معنى المصدر ومعنى الحرف فاننا بدرس (عمد) مثلا ومشتقاتها

(العمد والعامود والعمدة) نحرج بمعنى الارتكاز والتحامل على الشيء بثبات . وهذا لا يناسب أبداً حرف (الى) التي تفيد الانتهاء . وكم ترى مناسبته ظاهرة مع حرف (اللام) التي تفيد الاختصاص أو الملك . هذا هو وجه السر فقط على ما اتضح وليس آتياً أبداً من طبيعة الحروف أو من اعتبار آخر .

واذا كان هذا هو السر في اختصاص الحروف فقط ، فلا نرى حرجاً للكاتب العلمي والفني أن يجاوزه على ما وجدنا في (عمد) و (قصد) كيف يجاوز العربي بهما فصيح الربط ودقيق الملابسة في الاستعمال الشائع ، بدون أن يقال بتخطئة أو غلط . وان كنا نتحرج مع الأديب أمره ونأخذه بفصيح الروابط ودقيقها ما دام يختص للأدب ويكتب لخدمته .

نموذجات من المعجم الجديد

ليس هذا المقدار هو كل ما انتهى وضعه من المعجم بل قد استوى وضعه مع الجدول الهجائي بكامله على نسق هذه النموذجات وانما لم ننشر إلا مادة أو مادتين ليكون مثالاً للطريقة التي نجتهد في إحلالها محل العمل والقبول . وهو إذا لم يحز من ثقة الناس واعتدادهم النصيب الذي نرغب به فلن يكون شيئاً يزيد على انه عمل لنا مما نرى عبثاً محضاً اخراجه كذلك وافياً قبل أن يبدي الرأي العربي ارتياحه اليه . ونحن لن نلبث حتى نخرج المعجم الجديد في حجم (لاروس) أو يزيد قليلاً على أبلغ ما يمكن تحريراً ودقة من حيث موضع الاصطلاح ومنزلة الاسم العلمي من روح الدلالة .

هذا وقد اصطلحنا على ما هو نسق أجنبي في وضع المعاجم من التمييز بين الاسم والصفة والحقيقة والمجاز واصطلحنا على الرمز الى الابواب بحروف مفردة بقطع النظر عن مزايلة المصادر أحياناً بين بعضها وكذلك اصطلحنا على الرمز الى المصدر والتصريف و الوحدة[1] المعنوية والوحدة[2] المادية والاشتقاق والتعدية وهذا شيء نجد مثله كثيراً في المعاجم الاوربية تكتب بأحرف أخرى وتنزل وسط الأسطر في سير الشرح ولا نجد حرجاً من الأخذ على شبهه في وضع معجمنا العربي .

وهنا أسوق راموز الاصطلاحات على ما تم في المعجم .

(ل) الباب الاول	(حد) الوحدة المعنوية	(ج) الجمع .
(ن) الباب الثاني	(وحد) الوحدة المادية .	(جج) جمع الجمع .
(ث) الباب الثالث	(تص) التصريف .	(مك) المذكر .
(ع) الباب الرابع	(مص) المصدر .	(مث) مؤنث .
(خس) الباب الخامس	(مع) المعدى .	(سم) اسم
(س) الباب السادس	(شق) الاشتقاق	(صف) صفة .

(١) نعني بالوحدة المعنوية المعنى الذي تشترك فيه جميع المشتقات وتتلاقى عليه

(٢) نعني بالوحدة المادية جمل معنى كل مشتق على الانفراد وحدة للاشتقاق

(أبج)

« حد » الأبدية في الاشياء (تص) ؛ له ؛ (مص) أبنج . (شو) الأبنج « وحد » الأبَد

[أُبنج] (صف) الشيء يحتفظ على الابد بصناعة تدخله تقول هيكل رعمسيس ابج . وهياكل المصريين القدماء على وجه العموم آباج (سم) الابج والابجة المومياء

[أُباج] (صف) صورة المتأبد (سم) مجموعة صُور الموميآت تقول أُباج نفيس

[إِبَاجة] (سم) علم الاخنولوجيا أي علم آثار الاقدام في طبقات الأرض وإباجي (صف) أيُّ بحث يتعلق بأثر من هذا النوع كقدم النبي المزعومة على الاحجار . تقول رأيت بحثاً طريفاً حول آثار قدم النبي من الناحية الاباجية .

[أَبْجَن] (سم) الشخص المسيطرة عليه فكرة الخلود على هذا الشكل . تقول كان قدماء المصريين أباجن والفكرة نفسها (أَبْجَنَة) تقول بحث حول ابجنة المصريين القدماء .

[إِبْجِين] (صف) خلاصة تجعل الجسم متأبداً (سم) الاديبوشيرا وهي مادة بيضاء تعلو تلافيف الحيوان اذا دفن في منطقة باردة أو في الثلوج تحفظه من الفناء .

(أبد)

(حد) التمادي في جانبي الماضي والمستقبل والتوحش أيضاً وهو مجاز مرسل عن المنزل القفر لأنه تمادى عليه الدهر (تص) ل . له ؛ في التوحش والنفور ؛ ع ؛ في الغضب وجاء منه تأبد الرجل توحش . (مص) أُبُود . أبد (مع) بالباء . (شو) الأبَد (وحد) الدهر الطويل غير المحدود .

[أُباد] (سم) صورة الابد تقول أُبادة أي صورة من حياة الانسان في أقدم التاريخ .

[إِبادة] (سم) العلم الذي يبحث الاشكال التي كان عليها العالم في أقدم ما كان .

[أَبَادِيَة] وبالتشديد (سم) الفلسفة التي تقول بقدم المادة وان الدهر أسباب ونتائج متواصلة .

[إبْدِيت] (صف) الذي يستخفي فيه التوحش ويكون له روحان واحدة عصرية وأخرى جبلية ترجع به الوراء القهقرى أحقاباً وهما يحكمانه في تعاقب كالتي صورها الكاتب جاك لندن في اقصوصته (الحياة الاولى) تقول بحث حول شعور الابديت.

[إبْدِين] (سم) ا كسير الحياة .

[إبدِيَان] (صف) المائل إلى التوحش في تفكيره وتقاليده . وكذلك الذي يرمي إلى رد الناس الى حياة الفطرة (كروسو) تقول كان روسو ابدياناً في مذهبه الاجتماعي .

[أبْدُوان] (صف) المنزل التاريخي يصبح قفراً تقول رأيت أبدوان سامراء كميت أقبر حياً ثم لفظ أنفاسه في صموت موجع .

(اتب)

« حر » الرقة في غير تماسك شديد على الاشياء (تص) ؛ نه ؛ وجاء منه اتب الثوبُ صير اتباً . وتأتب به وأتتب لبسه . (مص) أتب (شو) الإتب « وهر » برد يشق فتلبسه المرأة من غير كمين . سراويل بلا رجلين .

[الأُتْب] (سم) الثوب يلقى على الكتفين وهو المعروف في الأجنبية (بالكاب) .

[الإِتاب] (سم) الثوب تلبسه المرأة في البيت كالعباءة يدعى في الاجنبية (كمنو) .

[الأُتِيب] (سم) الثوب تلبسه المرأة تحت الثياب الرسمية أشبه بالحمالة لها يدعى في الاجنبية (كملزون) .

[المِئتَب] (سم) سراويل الاستحمام والسباحة ويدعى في الاجنبية (مايوه) . (شعر)[1]

يا فتنة تنتثر على ضفاف البحر
وباقة تزدهر على دوار الصخر
يا حبذاه مسرحاً والخود فيه تجري
خرائد مثل الدمى يثبن وثب المهر
يثرن أسباب الهوى في وثبات الجري
برزن في (مآتب) ايقظن سحر السحر
ثم انحدرن غوصاً بين عباب البحر
تحسبهن بين موج الماء بلق الطير

---

(١) من قصيدة لنا (على شواطىء الاسكندرية) .

(أثب)

« حد » السهولة في تجدل ويظهر معناها في (وثب) والهمزة منقلبة .
(نص) ؛ ن ؛ أتب الرجل لعبت به الريح فجعلته في ارتفاعات وانخفاضات وأثب الماء اذا تسرد (مص) أثْب. مَأْثب (شو) مِثْثَب « وحد » الارض السهلة والجدول .

[مِثْثاب] (سم) آلة تختص بالاراضي الرملية .

[أُثْبان] (صف) المتفوق بتصوير الجداول أو بنحتها .

[أُثْبوَة] (سم) الجدول ينحدر من جبل ويوافق الجبل في هبوطه إلى الارض (شعر)

ان لبنان في الطبيعة عدن
صنو هاتيك في خيال الجنان
تستهام النفوس بين ذراه
وبأرجائه تهيم الأماني
(أثبوات) من فوقنا صامتات
فاذا ما انحدرن هن أغاني

مِثْثَب « وحد » ما ارتفع من الارض .

[الآثوب] (صف) المرتفع من الأرض ارتفاعاً يسامت معه السحاب . تقول جبل آثوب وجبال هملايا أواثيب .

(ابر)

« حد » الانسلال في الشيء والخروج منه بدون أثر يترك . « نص » ل . د، وجاء منه أبّر الزرع أي أصلحه . وأبّر الكلب أطعمه الابرة . وأبّر العقربُ لدغ بابرته . وأبّر الرجلَ اغتابه . « مص » أبْر. اِبارة . اِبار « مع » بالنفس « شو » اِبْرة « وحدة » آلة دقيقة فولاذية أو عظمية أو عاجية ذات رأس محدد تستخدم في الخياطة والتطريز وما أشبه .

[إبْوَر] « سم » ربو المحددين الذي يحصل بسبب غبار فولاذي يمتزج بالهواء ويدخل رئات عمال الابر .

[إبوَرة] « سم » رمد في الأعين يحصل بهذا السبب نفسه عند المحددين .

[مَثْبَرَ] « سم » الآلة التي تمنع من غبار الابر فلا يصيب المحددين .

[مِثْبَر] « سم » الآلة التي تصنع الابر

الأَبْر « وهر » للزرع اصلاحه

[إِبَارة] « سم » فن اصلاح الزرع .

[أُبار] « صف » صورة الزرع الصالح « سم » نموذج بالصور من اصلاح الزرع أو التعليم الزراعي المصور .

[أُبْرُم] « صف » توليد نوع أجود بالاصلاح المستمر على النبات « سم » قانون مندل ونخص (أُبْرُمة) بالتاء لتجربته التاريخية على القمح تقول درس على الابرمة أي تجربة مندل على القمح .

إبرة العقرب « وهر » طرف ذنبها الحاد .

[أُبْرة] « سم » العضو القائمة فيه الأبرة المذكورة ويتحرك بعمل عضلي .

الأَبر « وهر » للخصوم اهلاكهم والنميمة أيضاً .

[إبريت] « صف » صاحب النفسية التي لا يحلو لها العمر إلا بالايقاع بين الناس وكذلك تكون مفطورة على أن تنضح بالبعض الوبيل لأفراد النوع الانساني .

[أَيْبَر] « صف » الذي يهلك بطريق غير شرعي كما لو قضى على شخص بالابرة والأَيْبَرة نفس الاهلاك تقول اتخذ لخصومه ايبرة لئيمة جداً .

الأَبر « وهر » للعقرب اللدغ بالابرة .

[يؤبُور] « صف » لدغ كل ماهو على شاكلة العقرب أي يحمل ابرة يدفع بها عن نفسه تقول فصيلة يُؤبورية وحيوان يؤبوري .

مِئْبَر « وهر » موضع الابرة .

[مِئْبَرة] « سم » موضع الابرة مطلقاً من الآلات أي اسم للاداة التي تمسك الابرة .

الأَبْر « وهر » للبئر احتفاره .

[مِئْبَرٌ] « سم » الالة التي يحفر بها الآبار الحديثة

الأَبَار « وهر » البرغوث .

[مِئْبِير] سم برغوث الرمل .

ويشتق من الوحدة المعنوية للعمليات الجراحية الماهرة تقول استأبر في استئصال الزائدة المعوية بصورة مدهشة .

[أَبِير] « صف » الماهر في الجراحة إلى حد كبير « سم » لقب التفوق الذي يعطاه الجراح .

[مَأْبَرَان] « سم » المشرط الكهربائي الذي يكوي في وقت الجرح .

(أبت)

« مر » اشتداد الحرارة . « نص »

د. ع. ل ؛ أبت اليوم اشتد حره فهو آبت وأَبِت وأَبْت. وتأبّت الجمر احتدم. « مص » أَبْت. أُبُوت. « مع » بالنفس من « شو » الأَبْت « وهر » اشتداد الحر.

[الأَبْتَاء] « صف » التميز بشدة الحرارة تقول آلة ابتاء وسنة ابتاء « سم » خط الاستواء تقول مقاطعة ابتاوية أي واقعة في خط الاستواء .

[الأَبْتُوَة] « صف » الناشيء من الحرارة تقول ابتوة الحروق للثؤلولة التى تحدثها « سم » مرض باطني يمتاز بحرارة تحدث في سطح الجلد نتوءاً .

[الإِبْيُوت] « صف » كل مايتولد من تفاعل حرارة « سم » الغابة التى تحترق بمجرد احتكاك شجرها إذا حركها الريح .

[مَأْبَتَان] « صف » مقوي الحرارة أو مضعفها بصورة آلية .

[مِثْبَت] « صف » اداة تهييج النار واذكائها « سم » اداة تقوية المجرى الكهربائي .

[الأَبْت] « وهر » شدة حرارة الجو في النهار في قولهم ابت اليوم .

[الإِبُوَت] « صف » الآفة تنشأ عن شدة الحرارة الجوية .

التَأَبُّت « وهر » احتدام الجمر في قولهم تأبت الجمر .

[إِبِيْت] « صف » حالة احتدام الآلات المولدة للحرارة أو النار مطلقاً تقول السيارة في ابيت أي في حالة احتدام شديد .

الأَبْتَة « وهر » شدة الغضب في قولهم ابتة الغضب .

[أَبَاتِ] « سم » صورة الغضب الصحيحة عنه .

(أبز)

« مر » السير بتوثب « نص »

د ؛ قالوا ابز الظبي وثب أو تطلق في العدو والانسان استراح في العدو « مص » أَبْز. أُبُوز. أَبَزَى « شو » الأَبْز « وهر » الوثب .

[إِبْز] « صف » وثب خفيف منظم « سم » الوثب في الرياضة الملحقة بالالعاب السويدية .

[أَبُز] « صف » الذي يفعل الوثب في مضاعفات « سم » حيوان الكنجرو .

[ابُزان] « سم » الذي يثب في الهواء في مرات والذي يتقاب في الهواء مع الوثب .

[أَبَاز] « سم » صورة الوثبة البارعة مطلقاً ومجموعة الصور من هذا أيضاً تقول اباز جميل .

[أُبْزَة] « صف » ما يوثب بدفع « سم » كرة التنس .

[إِبَاز] « صف » تعاطي الوثوب مع آخر « سم » لعبة التنس

[إِبَازة] « سم » فن هذه اللعبة .

[أُبْز] « صف » السير بالتوثب تقول حيوان أُبزي وفصيلة ابزية .

[إِبوَز] « سم » مرض ينشأ عن الوثب .

[أُبَيْز] « سم » الحركة العضوية التى يقوم بها الحيوان الانقلابي كالحيوانات النباتية .

[إِبْزِز] « صف » وثب الحيوانات المصغرة الذي لا يقال له الدبيب .

الأَبْز « وحد » للظبي المنطلق في العدو .

[ابَز] « سم » السيارة تسير بدون مبالاة كسيارات الاسعاف والحريق .

[مُؤْبُوز] « صف » الذي يحس في باطنه توثباً من مرض أو عارض « سم » رعشة الغضب المكتومة أو رعشة الغضب على تذكر اهانة أو اساءة .

[إِبزِبت] « صف » الذي يريد أن ينتقم للتارخ ويثور له أشد الثورة وبوده لو يستقبل تاريخ الحادث حتى يحرق الارم .

(ابص)

« حد » النشاط البالغ « نص » ع ؛ « مص » أَبَص « شو » الأَبْص « وحد » النشاط

[أُبَاص] « صف » النشاط المتجسم تقول رجل يطالعك باباص دفاق « سم » صورة النشاط البارعة أو مجموعة الصور من ذلك .

[أَبْصَن] « صف » من عنده نشاط روحي قوي « سم » الشخص يتقوى عنده أثر العقل الباطن حتى يحل المسائل المعضلة في النوم . وتضاف التاء لافادة الوضعية تقول بحث حول (الابصنة) أي هذه الظاهرة .

[إِبْصِن] « سم » الشخص ضعيف النفسية الى حد الخور .

[أُبص] « صف » النشاط يكون في مضاعفات من النشاط تقول رجل ابص « سم » الرجل الذي يفوز بالبطولة في لعبة منشطة .

[مِبْبَص] « صف » اداة التنشيط مطلقاً « سم » آلة التنشيط المطاطية أو الزنبركية .

[مِبْبَاص] « سم » الأدوات الحديدية المبنية على نسب رياضية للأكف والاصابع والأيدي والصلب وهكذا .

[مِبْبِص] « صف » نسبة النشاط « سم » ميزان النشاط الرياضي .

[إِبْوَص] « صف » العارض المرضي ينشأ من النشاط .

[إِبْص] « سم » اللعب الرياضي الذي يعطي نشاطاً باطنياً بدون إجهاد لحركات التنفس الهندي الموزونة .

أُبُوص « وحد » الفرس النشيط السباق .

[آبُوص] « صف » صنف الخيل الممتاز « سم » حامل جائزة السبق من الخيول .

[أَبَص] « صف » نشاط الحيوان مطلقاً .

(ابض)

« حر » العقل بحيث يأخذ المسارب

« نص » ن : ع ؛ قالوا منه تأبض بمعنى أبض « مصى » أبض « مع » بالنفس « شو » الأَبْض « وحد » شد رسغ البعير الى عضده .

[مِبْبَض] « سم » الفرام في الاتوموبيلات وسواها .

[مِبْبَاض] « سم » مفتاح أو اداة الايقاف في السيارات الشديدة الاندفاع في الجو أو البحر أو الأرض .

[مِبْبِض] « صف » نسبة قوة الفرملات .

[مِنْبَضّ] « سم » المِنْبَض الحراكي (الاوتوماتيكي)

الإبَاض « وحد » الحبل الذي يشد به رسغ البعير .

[إبَاضَه] « سم » قطعة الحديد أو الخشب في عربات النقل التى تجمل فوق الدولاب للتوقيف أو ابطاء الحركة .

[إبْضَة] « سم » قطعة الكاوتشوك أو ما يقوم مقامها من الآلات المصغرة كالبسيكلاتات وهكذا .

المَأْبِض « وحد » باطن الركبة .

[إبْوَض] « صف » الآفة تصيب باطن الركبة كالقرحة .

الأُبْض « وحد » الدهر .

[الأَبَاضِيَة] « سم » المذهب الدهري المتشائم وأصحابه يجعلون الموت أمنية الاماني تقول كان الخيام أباضياً أي دهرياً متشائماً شديد التطير بالحياة .

(أبط)

« حد » الاستخفاء غير التام أو في غير شيء من الظهور « نص » ه ٠ ل ؛ قالوا ابطه الله هبطه وجاء منه تأبط وضع تحت الابط . وأتنبط اطمأن واستوى وفي النفس ثقلت « مص » أبط « مع » بالنفس « شو » الإبْط « وحد » ما رق من الرمل .

[مَأْبِط] « سم » الأرض تكون مغمورة بطبقة رملية رقيقة .

[أُبُط] « سم » الطبقة الرملية في باطن الأرض .

الإبْط « وحد » باطن المكتب .

[إبْوَط] « سم » الآفة تصيب باطن المكتب كالقرحة .

[أبْطَان] « صف » أكمل ما يكون عليه الابط من جمال في التكوين .

التأبط « وحد » ادخال الثوب من تحت اليد اليمنى والقاؤه على منكب اليسرى .

[إبْطِيَان] « سم » لباس جندية الرومان القديم « صف » كل لبسة تكون مائلة إلى التأبط .

تم

تنبيـــه !

وقعت في الكتاب أخطاء قصدت أن أتجاوز عنها وثوقاً بادراك المطالع . وأنا أعرف شخصاً تغلب عليه الدعابة ، كان يتجهم اذا عثر على جدول للخطأ والصواب، ذاهباً الى ان معناه عدم الاعتداد بالقارئ . وهذه وان تكن فكاهة فما لا ريب فيه أن على المطالع أن يتسامح اذا عثر على خطأ من هذا القبيل ، فانه أقل ما يتحمله من الاعباء . وقد نبهت على أخطاء سنحت لي سنوحاً ولها موضع .

خطأ	صواب	صفحة	سطر
الظلالِ . . .	الزُلالِ . . .	في قصيدة الاهداء	البيت ١٤
الظلالُ . . .	الزُلالُ . . .	في قصيدة الاهداء	البيت ١٥
فكثير . . .	فكثيراً . . .	٥	١١
»	»	٥	١٣
(لقي) . . .	لقى	٥	٢٣
ينهي . . .	أن ينهي . .	١٠	٥
يعطيانا . . .	يعطياننا . . .	١١	٢٢
العام الفائت .	سنة ١٩٣٧ . .	١٢	٢٧
النشوئي . . .	النشوئي . . .	١٥	٦
نفرد	ننفرد	١٥	١٩
(an arabe)	(an arabian)	٣٠	٢
(par)	(pear)	٣٢	٣
يريدونها . .	يريدون . . .	١٠٤	١٦
وهو (طومار)	(طومار) . .	١٧٢	٩
بأنها اسماء .	بأنها من اسماء .	١٨٥	١٢
وبقيت . . .	وبقية . . .	١٨٥	١٨